كِتَابُ

أُصُولِ الدِّين

لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سَعِيدٍ الْغَزْنَوِيِّ الْحَنَفِيِّ

(... - ٥٩٣ هـ)

تحقيقه وتعليقه

الدكتور عمر وفيق الداعوق

مُدرّس العقيدة في قسم أصول الدين
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

دار البشائر الإسلامية



كِتَابُ
أُصُولِ الدِّينِ

الطّبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار البشائر الإسلاميّة
للطبَاعَة وَالنشر وَالتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب : ٥٩٥٥ - ١٤

مقدمة التحقيق

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم أما بعد:

فإن العقيدة السليمة هي الأساس المتين الذي تبنى عليه فروع هذا الدين، ولما كان التوحيد أشرف العلوم لتعلقه بعلم أصول الدين، ومنها ما يختص بأسماء الباري تعالى وصفاته التامة، فإن شرف العلم يعلو بشرف المعلوم.

ولما كان هذا العلم، علماً جليل الشأن، عظيم الفائدة، فقد خضعت له جميع الفنون الأخرى، فلا عبادة ولا أركان ولا شعائر صحيحة، إلا إذا كانت العقيدة سليمة من كل نقص وزيف.

ولا نجد علماً راسخاً له جذور ضاربة في أعماق الحقائق، كهذا العلم، فلا يتبدل ولا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والحوادث، وعلى العكس فإننا نرى الشرائع تختلف من نبيّ إلى آخر وذلك لحكمة أرادها الباري سبحانه وتعالى.

ودين الله تعالى واحد، آمن به جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ودعوا إليه على بصيرة وأمروا أتباعهم بالسير قُدُماً لنشره.

ولما كانت بواعث المفسدين في الأرض تهدف إلى تشويه حقائق هذا الدين، حسداً من عند أنفسهم، فقد تجلّت حكمة الله تعالى ورحمته بعباده، أن أرسل

الرسل مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب والموازين. وهكذا كانت مهمة الرسل عليهم السلام قبل مبعث محمد ﷺ كامنة في أقوامهم.

وبعد ختم النبوّة بخير البريّة، المبعوث رحمة للعالمين، وبانقطاع الوحي وتوقف إرسال الرسل بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، فقد كان لزاماً على العلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يضطلعوا بمهام الدعوة، توجيهاً وإرشاداً وحفاظاً على العقيدة كلما حاول المغرضون الطعن فيها والنيل منها.

وقد قضت حكمة الله تعالى أن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، كما أضحت بإذنه تعالى شاهدة على الناس. ومن باب تهيئة الأسباب فقد قيّض الله تعالى لها علماء أفذاذاً، كافحوا ونافحوا عن حياض هذا الدين، فوقفوا في وجه الطغاة المعاندين، وردوا كيد أصحاب الملل والنحل من يهود ونصارى وملحدين، لتبقى عقيدة التوحيد نقية صافية كما أنزلها رب العالمين. ولا زالت الأجيال تكنّ لعلمائها وافر الاحترام والتكريم، على الرغم من مروق بعض الفئات المحسوبة على أفراد هذه الأمة وهم أشبه بالرعاع المتطاولين على العلماء ذماً وقدحاً وانتقاصاً، لا لشيء إلا اتباع الهوى، وغرور النفس. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

ويبقى علماء أهل السنّة والجماعة مشاعل نور تضيء درب السالكين، وكلهم على هدى سيد المرسلين وخاتم الرسل الكرام أجمعين.

وعلماء المدرسة الماتريدية كغيرهم من علماء هذه الأمة المرحومة، التي قدمت العديد من المواقف المشرّفة في مجال نشر الدعوة الإسلاَمية في ربوع الأرض، فقد كان لها قصب السبق في بلاد ما وراء النهر، كبخارى وسمرقند، وطاشقند، وخراسان (أفغانستان)، والهند وتركيا والبلقان والقوقاز، وغيرها من البلدان التي فتحها المسلمون جهاداً في سبيل الله تعالى.

إلا أن التاريخ الحديث الذي يُزَوَّر كل يوم من قبل مؤرخين مالكين لقوة السيف والقلم قد أغفل ذكر أمجاد هؤلاء، فباتت أعمالهم وآثارهم مطوية في أقبية الزمن. فمنها ما أتت عليه نيران الحقد الصليبـي، ومنها ما داسته أقدام الغدر الشيوعي، ومنها ما مزّقته سنابك خيل المجوس والهندوس. والله غالب على أمره، ولو كره الكافرون. وهو القاهر فوق عباده، والقادر على رد كيد المنكرين إلى نحورهم، وهو الذي يقلب القلوب بقدرته فيرفع من يشاء ويخفض من يشاء وهو العزيز الحكيم.

والكتاب ــ موضوع التحقيق ــ واحد من تلك الأعمال التي قام بها أولئك العلماء الأفذاذ، ممن نسبوا إلى مدرسة الشيخ أبـي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٣٣٣هـ، وهو الشيخ جمال الدين أحمد الغزنوي (ت ٥٩٣هـ)، صاحب الباع الطويل في العلم والتأليف والتدريس.

ووفاء بحق هؤلاء العلماء فقد أحببت أن أقدم هذا الكتاب في «أصول الدين» والذي يسدّ فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية، فعلى الرغم من وجود بعض الأعمال التي وصلتنا، إلا أن هذا النتاج العلمي لا يكفي لإعطاء هذه المدرسة حقها من الوجود والظهور كغيرها من مدارس أهل السنّة والجماعة. ونذكر على سبيل المثال كتاب «التوحيد»، للإمام أبـي منصور الماتريدي، فقد بذل فيه الدكتور فتح الله خليف جهداً مشكوراً لإخراجه على النسق الذي يليق بصاحبه، كما قام الدكتور علي عبد الفتاح المغربـي بالكتابة عن الماتريدي (إمام أهل السنّة والجماعة وآراؤه الكلامية)، وكذا الدكتور عبد الرحمن عميرة قام بتحقيق كتاب نفيس هو «شرح المقاصد» لسعد الدين التفتازاني، والدكتور أحمد حجازي السقا قام بتحقيق كتاب «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني، وكلود سلامة حقق كتاب «تبصرة الأدلة لأبـي معين النسفي»... وقد أجاد الدكتور بلقاسم الغالي في إخراجه لكتاب عن أبـي منصور الماتريدي موضحاً أصول منهجه في العقيدة. وكتاب الغزنوي اليوم

يضاف إلى تلك الكواكب النيرة، عسى الله تعالى أن يهيء المزيد من العلماء لإخراج ما تبقى من كنوز هذا التراث.

وعليه، فإنني أكرر الدعوة إلى الباحثين والمحققين للاطلاع على تراث هذه المدرسة، وإخراج تلك المخطوطات التي تعتبر بحق ثروة عظيمة لتراث هذه الأمة.

ولا يسعني هنا إلا أن أشكر جميع الذين قاموا بإسداء النصح والتوجيه لي، وإبداء الملحوظات والتصويبات لهذا العمل، وأخصّ بالذكر فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي مد الله في عمره، ونفع الأمة بعلمه وعمله، وجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء. وأخي الدكتور الشيخ صالح يوسف معتوق حفظه الله تعالى ورعاه.

كما أشكر الإخوة العاملين في مركز السيد جمعة الماجد، الذين أسهموا في تقديم المساعدة لي عند طلب الاطلاع على نسخة المخطوط وتصويرها.

هذا وقد قسمت هذا العمل إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تحدثت فيه عن عصر الغزنوي، وفيه:

أولاً: الحالة السياسية.

ثانياً: الحالة الاجتماعية.

ثالثاً: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: وفيه تحدثت عن حياة المؤلف على النحو التالي:

أولاً: اسمه ونسبه.

ثانياً: شيوخه.

ثالثاً: تلاميذه.

رابعاً: مؤلفاته.

خامساً: مذهبه.

سادساً: عقيدته.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن الكتاب ومنهج التحقيق على النحو التالي:

أولاً: نظرة علمية حول عنوان المخطوط.

ثانياً: مقارنة كتاب أصول الدين للغزنوي بالكتب الأخرى.

ثالثاً: منهج التحقيق.

رابعاً: وصف نسخة المخطوط.

ويلي هذه الفصول تحقيق الكتاب.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وهو الموفّق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله ربّ العالمين.

د. عمر وفيق الداعوق

مدرّس العقيدة والأديان

كلية الدراسات الإسلامية والعربية ــ دبي

الفصل الأول

عصر الغزنوي

وفيه:

أولاً: الحالة السياسية.

ثانياً: الحالة الاجتماعية.

ثالثاً: الحالة العلمية.



أولاً

الحالة السياسية في عصر الغزنوي

(... ـ ٥٩٣هـ) = (... ـ ١١٩٧م)

يجمع المؤرخون على أن القرن السادس الهجري يعتبر بداية النهاية للخلافة العباسية، التي بسطت نفوذها السياسي والاجتماعي على أرجاء واسعة من المعمورة. فقد وصل المد الإسلامي في عصور الازدهار إلى تخوم الصين شرقاً وأبواب فرنسا غرباً.

كما أن هذا القرن يعتبر من الفترات التاريخية الصعبة والحرجة التي مرّت بها الأمة الإسلامية، وبالتالي فقد بات من الصعب على المؤرخين والباحثين الوقوف على التاريخ ـ العلمي والأدبي ـ التفصيلي لتلك الحقبة من الزمن. ويعود ذلك إلى كثرة المشاكل الناجمة عن التغيّرات السياسية في أرض الخلافة، والتي تمخض عنها غياب الكثير من المعارف العلمية والسياسية[1].

إلا أنه يستحسن التعرف على بعض الأحداث منذ بداية ذلك القرن لإعطاء الصورة الإجمالية عنه، ويمكننا البدء بذكر أواخر خلفاء بني العباس وهم:

١ ـ الفضل، المسترشد بالله بن المستظهر (٥١٢ ـ ٥٢٩هـ).

---

(١) راجع في هذا الصدد: فهرس الوقائع والحوادث في كتاب تراجم رجال القرنين، للمقدسي ص٢٤٣، المعروف بالذيل على الروضتين.

٢ ــ المنصور الراشد بالله بن المسترشد (٥٢٩ ــ ٥٢٩هـ).

٣ ــ محمد المقتفي بالله بن المستظهر (٥٢٩ ــ ٥٥٥هـ).

٤ ــ يوسف المستنجد بن المقتفي (٥٥٥ ــ ٥٦٦هـ).

٥ ــ الحسن المستضيء بن المستنجد (٥٦٦ ــ ٥٧٥هـ).

٦ ــ أحمد الناصر بن المستضيء (٥٧٥هـ)[١].

كما أن المؤرخين لم يختلفوا على أن ضعف الخلفاء العباسيين من جهة وكثرة الأحداث الداخلية والخارجية من جهة أخرى قد أدّيا إلى تفكك أواصر الخلافة، وزوالها فيما بعد.

فقد قامت بعض الأقاليم بالاستقلال عن الخلفاء، وبرزت إبان تلك الفترات دويلات صغيرة استطاعت أن تبسط نفوذها السياسي والعسكري وتؤسّس حكمها الذي قد يتّسع أو يضيق بحسب قوة سلطانها أو ضعفه.

وعليه فقد دخلت العواصم الإسلامية في دوامة الصراع، وأخذت الولايات تتقلب وتتلون بحسب الولاة والحكام المستقلين عن عاصمة الخلافة.

ففي الشمال الشرقي للخلافة العباسية ظهرت الدولة الغزنوية وقد استمرت حوالي قرن من الزمن، وامتد نفوذها ليشمل: جل أفغانستان والبنجاب والهند ولاهور ومنه إلى أصفهان وسمرقند[٢].

ثم ظهرت دولة أخرى على أنقاض الأولى، وهي الدولة الغورية التي

---

(١) راجع: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن ٤/٩، وكذا: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، محمد الخضري بك ص٤٧٣ ــ ٤٧٤، وكذا: طبقات سلاطين الإسلام، استانلي بول ص٢٣.

(٢) طبقات سلاطين الإسلام ص٦٤ ــ ٢٦٨، وكذا انظر: زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، لصدر الدين أبـي الحسن الحسيني ص٢٦.

سيطرت على أملاك الدولة الغزنوية واتسع نفوذها ليشمل السند كلها[1].

ثم جاء بعد ذلك دور الأتراك السلاجقة الذين أسسوا الدولة السلجوقية على يد ركن الدين أبي طالب طغرل (٤٢٩ ــ ٥٢٢هـ).

وقد شهد عصر الغزنوي من سلاطين الدولة كلاً من:

١ ــ غياث الدين أبي شجاع محمد بن أبي الفتح ملكشاه (٤٩٨ ــ ٥١١هـ).

٢ ــ معزّ الدين أبي الحارث سنجر (٥١١ ــ ٥٥٢هـ).

وعلى الرغم من كثرة المشاكل فقد اعترف المؤرخون بأن كلاً من هاتين الدولتين والتي قبلهما كان لها الفضل في التطور الحضاري والعمراني لذلك العصر[2].

وقد انعكس هذا الأمر على الحياة العلمية والاجتماعية للعلماء لما له من أثر في الحياة الفكرية. وقبل الدخول في ذكر الحياة الاجتماعية في عصر المؤلف تجدر الإشارة إلى ما كان للدولة الغزنوية من آثار نافعة على العصور التي تلتها.

فقد كان للأفغان تاريخ مجيد في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية إذ قام مؤسس الدولة الغزنوية «سُبُكْتَكِين» بتوسيع الفتوحات الإسلامية في خراسان «أفغانستان» وسيستان وفيما وراء جبال الهندوكش حتى شملت فتوحاته الإسلامية شبه القارة الهندية.

وقد نهج السلطان محمود الغزنوي الذي ولي الملك بعد سبكتكين نهج سلفه. فقد ورث حكم السامانيين كله في خراسان وبلاد ما وراء النهر ووصل ملكه

---

(١) أفغانستان، صلاح الدين السلجوقي ص٢١ ــ ٢٢.

(٢) الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، د.محيي الدين الألوائي ص٣٥٩ ــ ٣٦٠.

إلى ما بعد إقليم «قزوين» وأخضع بلاد الغور فيما بين غزنة وهرات، ونشر الإسلام في هذه المناطق على نطاق واسع، ثم أعلن الجهاد في سبيل نشر الدين الإسلامي وتعاليمه حتى ذاع صيته، فغزا شبه القارة الهندية سبع عشرة مرة، في سبعة وعشرين عاماً فيما بين (٣٩٢ ــ ٤١٥هـ/ ١٠٠١ ــ ١٠٢٤م) حتى خضعت له شبه القارة الهندية خضوعاً تاماً[١].

كما نزل من مرتفعات إيران الشرقية إلى سهول هندوستان، وواصل الحرب حتى امتدت إلى حدود كشمير والبنجاب، واستولى على قنوج ومترا وضواحيهما سنة (٤٠٨ ــ ١٠١٧م)[٢] إلا أن حكم هذه الدولة قد انتهى على أيدي السلاجقة[٣].

كما شهد عصر المؤلف جانباً من حكم الدولة الفاطمية[٤]، والتي استمر نفوذها حتى سنة (٥٦٧هـ)، وشهد كذلك ظهور دولة المرابطين في المغرب والأندلس فيما بين (٤٤٨ ــ ٥٤١هـ)[٥]، وظهور الدولة الأيوبية بعدها.

• • •

(١) أفغانستان ص٢٠، وانظر: طبقات سلاطين الإسلام ص٢٦٦، وكذا: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، د. محيي الدين الألوائي ص٣٥٩ ــ ٣٦٠.

(٢) طبقات سلاطين الإسلام ص٢٦٦.

(٣) راجع تاريخ هذه الدولة وأعمال ولاتها في: زبدة التواريخ «أخبار الأمراء والملوك السلجوقية» ص٥٩ وما بعدها.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي ٤/ ١٧٨.

(٥) المصدر السابق ٤/ ١١٦.

ثانياً
الحالة الاجتماعية في عصر الغزنوي

انعكست الحياة السياسية في عصر المؤلف على الحياة الاجتماعية، فالحروب التي عصفت بدولة الخلافة، أدّت إلى حدوث الفوضى وعدم الاستقرار، الأمر الذي أدّى إلى ظهور الكثير من الإفرازات على الصعيدين الداخلي، كالنزاعات المنبثقة عن الصراع العصبي والقبلي بين المتخاصمين[١]، إضافة إلى التهديدات الخارجية، وما نجم عنها من الحروب[٢] الصليبية التي أدّت إلى إرهاق الحياة الاجتماعية، وتهديد الأمن والاستقرار الداخلي.

ومن جانب آخر فإن التوسّع الكبير للفتوحات الإسلامية على أيدي الخلفاء والسلاطين إبان الحقب الماضية أدى إلى وجود عدد كبير من الجنسيات المختلفة فضلاً عن الأعراق والألوان والأديان والفرق التي دالت فيما بعد لنفوذ الدولة الإسلامية. إلا أنها لم تكن تلتزم بالولاء على الدوام، مما جعل منها عاملاً كبيراً في إثارة المشاكل الدينية والاجتماعية والسياسية في المجتمع. كما كانت عاملاً مؤثراً في بعض الفرق السياسية الداخلية التي تأثرت بآراء أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين عاشوا في كنف الدولة، فظهرت الفرق الباطنية التي هددت

---

(١) طبقات سلاطين الإسلام ص٢٧١.

(٢) جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد عاشور ص٩٢، ٩٣.

المجتمع بأعمال إرهابية كالسطو والقتل والإغارة على الأملاك العامة والخاصة، بل استطاع بعض هؤلاء مثل القرامطة الاستيلاء على الحجر الأسود إبان العهد الفاطمي، وإنزال الرعب في صدور الناس.

أما بالنسبة لبقية النواحي الاجتماعية فإن الديار الإسلامية كانت تختلف من ناحية الازدهار الاقتصادي والعمراني بحسب الأقاليم التي وجدت فيها. وقد اتسم الاقتصاد بصورة عامة بعدم الاستقرار في أغلب المدن المتاخمة للثغور والتي كانت تهددها الحملات الصليبية وغيرها.

وإزاء ذلك فمن العسير وصف هذا العصر بالرخاء الاقتصادي، مما ينبىء عن بساطة العيش في أغلب الأقاليم. وعلى الرغم من ذلك فقد اهتم السلاطين والخلفاء بالناحية العمرانية[١]، من تشييد للمساجد، وإنشاء للمدارس العلمية، والدينية، ودور العلم الخاصة في إقامة المساجلات والمناظرات العلمية. إلى جانب بناء القصور والأروقة التي تميزت بطابعها الشرقي.

• • •

(١) أفغانستان ص٢١.

ثالثاً
الحالة العلمية في عصر الغزنوي

لم تحل الحروب الداخلية والخارجية التي خاضها الخلفاء والسلاطين في هذا العصر دون التوسع العلمي والحضاري، وهذه الميزة لا نكاد نجدها إلا في ظل هذا الدين القويم، الذي يمكّن للإنسان العيش في هذه الحياة بتوازن لا نجد مثيلاً له بين الأمم والشعوب، وقد قيّض الله تعالى لهذا العصر من الخلفاء والسلاطين من تابع نهج السلف الصالح علماً وأدباً وورعاً وثقافة. وعلى الرغم من ندرة أولئك السلاطين إلا أن آثارهم لا تزال باقية حتى يومنا هذا.

فعلى سبيل المثال، لو أخذنا أثر الدولتين الغزنوية والغورية في النواحي العلمية والأدبية والدينية لرأينا مدى اهتمام الأمراء فيهما بتنشيط الازدهار العلمي والثقافي.

فقد يعجب المرء مما قام به السلطان محمود الغزنوي الذي تمت على يديه فتوحات كبيرة، والذي اتسم بحسن السياسة والعدل، واتباع تعاليم الإسلام في نهجه. ومن مناقبه أنه جمع الكنوز التي سخرت له عبر غزواته، فما كان منه إلا أن أخذ يوزّعها على الفقراء والمساكين والعلماء والشعراء، ولقد اجتمع في بلاطه من هؤلاء وهؤلاء ما لم يجتمع عند غيره، فلم يكن فاتحاً غازياً عالي المكانة من الناحية العسكرية فحسب، بل كان سلطاناً عاقلاً أديباً كيّساً جامعاً بين دولتي السيف

والقلم. وقد ضمّ بلاطه كلاً من الفارابي والفردوسي والبيروني، ولقد اقترح السلطان محمود على الفردوسي نظم الشاهنامه، ووعده بأن يكافئه على كل بيتين، بقطعة من الذهب، كما نبغ في أيامه بديع الزمان الهمذاني وكان عامله على هرات، وكذلك نبغ في عهده أبو بكر الخوارزمي[(١)].

وعلى العموم فقد أبلى الغزنويون بلاء حسناً في نشر الإسلام، وكذلك الأمر بالنسبة لسلاطين الدولة الغورية الأفغان الذين حافظوا على رقعة البلاد المفتتحة وأضافوا إليها بلاداً أخرى كالبنغال، وقد استطاع السلطان الغوري إخضاع السند تحت سلطانه حتى وصل إلى البحر، وتحولت دولتهم إلى الاستقرار والإقامة الدائمة في البلاد التي فتحوها، وبذلك صار لهم دولة إسلامية قوية، مرهوبة الجانب، متسعة الرقعة، عظيمة السلطان، وما زالت آثارهم الثقافية والعلمية والفنية والعمرانية باقية حتى اليوم.

وقد عقد المؤرخون مقارنة بين شهاب الدين الغوري وبين السلطان محمود الغزنوي وأكدوا وجود الصلات الوثيقة بين هذين البطلين في الشجاعة والإقدام والغيرة على الإسلام. فكلاهما له قدم راسخة وجهاد مشكور في فتح الهند، وكان لشهاب الدين من مظاهر الحفاوة بالعلماء ما كان للسلطان محمود، فقد حضر درس تفسير للعالم المشهور فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير وقد وجه الرازي عظة إلى السلطان قال فيها: يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي، وأن مردنا إلى الله، فبكى شهاب الدين حتى رثى الناس لبكائه[(٢)].

إلى جانب ذلك، فقد شهد عصر المؤلف نخبة من كبار العلماء في شتى ميادين العلوم والفنون، وقد اعتبروا من كبار أئمة الدين، الذين يشار إليهم، ويعتمد على ما ألفوا من كتب.

---

(١) انظر: أفغانستان ص٢١.

(٢) المصدر السابق ص٢١ ــ ٢٢.

وكان للنبوغ العلمي دوره في مضمار الرقي والتقدم الحضاري لهذه الأمة، التي ضمت بين طياتها علماء من شتى الجنسيات المختلفة، ولم تكن الهوة العرقية، أو النزعة الإقليمية أو القومية تحول دون تواصل شعوب دولة الخلافة الإسلامية، كما لم تعق تحركهم ونشاطهم العلمي، وأيضاً لم تكن العوائق السياسية تحول دون تواصل أبناء الأمة فيما بينهم. ولقد مكّن هذا الجو من إقامة أواصر الأخوة والمصاهرة والصداقة بين المسلمين شرقاً وغرباً.

وربما يحار المرء من إنسان ينسب إلى بلاد الأفغان «كالغزنوي» ـ مثلاً ـ ونراه يتقلّد منصباً علمياً في حلب، ويتوفى ويدفن فيها، وهو واحد من مئات الآلاف الذين جابوا البقاع، إما طلباً للعلم، أو للتعليم. ويزول التعجب حينما نعلم أن هؤلاء كانوا يحتكمون إلى شرع الله تعالى.

ولعل أبرز أسباب النهضة العلمية في ذلك العصر هو اهتمام الخلفاء والولاة بتشجيع العلم وتفضيل العلماء وإجلالهم ورعايتهم، وإنشاء المدارس العلمية والثقافية المتخصصة، وتشييد المساجد والمستشفيات والإنفاق عليها، وفتح مجال العلم للعلماء لإجراء المناظرات العلمية والأدبية، إضافة إلى تأثر الأغنياء والتجار بنهج الخلفاء والسلاطين، فقد تنافس هؤلاء في بناء الدور والمساجد والمعاهد والمدارس ووقفها على العلماء وطلبة العلم، وإجراء الجرايات عليهم. وعليه فإننا نجد أعداداً هائلة من المدارس العلمية التي أقيمت في أرجاء الخلافة، ويمكننا أن نعطي أمثلة لذلك.

ففي بغداد تعددت المدارس، ومنها:

ـ المدرسة النظامية، وهي التي درس فيها العديد من العلماء ومنهم ابن الطبري (٥٠٦هـ)[1].

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي ١٧/ ١٢٨.

ـ مدرسة أبـي حنيفة (٥٢٣هـ)[١].

ـ مدرسة التتشي (٥٦٦هـ)[٢].

ـ مدرسة ابن الشمحل (٥٥٦هـ)[٣].

ـ مدرسة نظام الدين أبـي نصر بن جهير خاصة بالحنابلة وكان ابن الجوزي مدرّساً فيها (٥٧٠هـ)[٤].

ـ مدرسة ابن هبيرة، بناها الوزير ابن هبيرة لأصحاب أحمد بن حنبل (٥٥٧هـ)[٥].

ـ المدرسة الكمالية القضوية، أنشأها كمال الدين أبو الفتوح المعروف بابن بقشان (٥٥٦هـ)[٦].

ـ مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني، كانت خاصة بالحنابلة[٧].

ـ مدرسة أبـي النجيب السهروردي، أنشأها أبو النجيب سنة (٥٦٣هـ)[٨].

ـ المدرسة المغيثية، كانت خاصة بالحنفية[٩].

ـ المدرسة البهائية، كانت في شرق بغداد وخاصة بالشافعية[١٠].

ـ مدرسة فخر الدولة، بناها فخر الدولة سنة (٥٧٨هـ)[١١].

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك ١٨/ ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق ١٨/ ١٤٦.

(٣) المصدر السابق ١٨/ ١٤٧.

(٤) المصدر السابق ١٨/ ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٥٣.

(٦) طبقات الشافعية، للسبكي ٦/ ٦٧ و٨/ ٣٦٨، والتكملة لوفيات النقلة، للمنذري ١/ ١٢٢.

(٧) المنتظم ١٨/ ١٧٣، والتكملة ١/ ٢٨٩.

(٨) المنتظم ١٨/ ١٨٠ و٢٠٥، وطبقات الشافعية، للسبكي ٧/ ١٧٥.

(٩) التكملة ١/ ٣٥٧.

(١٠) المصدر السابق ٣/ ٥٢، وطبقات الشافعية ٦/ ٣٩٠.

(١١) الكامل لابن الأثير ١١/ ٤٩١ ـ ٤٩٢.

ـ مدرسة المليكة بنفشاه (أو بنفشة) درس فيها ابن الجوزي (٥٧٠ ـ ٥٧٤هـ)[١].

أما في مصـر: ففي القاهرة أنشىء العديد من المدارس أهمها:

ـ المدرسة الناصرية (٥٦٦هـ)، ودرس فيها التبريزي[٢].

ـ المدرسة القمحية (٥٦٦هـ)، وهي خاصة بالمالكية وقد درس فيها ابن رشيق[٣] وتعرف أيضاً بدار الغزل.

ـ المدرسة السيوفية، وهي من المدارس الحنفية (٥٧٢هـ)[٤].

ـ مدرسة الشافعي، عمّرها صلاح الدين الأيوبـي سنة (٥٧٢هـ)[٥].

أما مدارس بلاد الشام فمنها: مدارس دمشق:

ـ المدرسة الصادرية[٦].

ـ المدرسة النورية الكبرى (٥٦٣هـ)[٧].

ـ المدرسة الأمينية (٥١٤هـ)، بناها أمين الدولة[٨].

ـ المدرسة التقوية (٥٧٤هـ)[٩].

ـ المدرسة العذراوية (٥٩٣هـ)[١٠]، بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢١٤.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين، عبدالرحمن المقدسي، أبو شامة ١/ ١٩١.

(٣) حسن المحاضرة، للسيوطي ١/ ٤٥٥؛ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٥؛ والحياة العقلية ص٤٤.

(٤) حسن المحاضرة ١/ ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧، و٢/ ٢٥٦.

(٥) النجوم الزاهرة ٦/ ٥٧٢، وانظر: الحياة العقلية ص٤٥.

(٦) الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ١/ ٤١٣.

(٧) المصدر السابق ١/ ٤٦٦.

(٨) الروضتين ١/ ٩ ـ ١١ ـ ١٣، والدارس ١/ ١٣٢.

(٩) ذيل الروضتين ص١٣٧ ـ ١٣٨، والدارس ١/ ١٦٢.

(١٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٦/ ١٤٣ ـ ٣٤٠؛ وذيل الروضتين ص١١، وفي الدارس أنها بنيت سنة ٥٨٠هـ، انظر ١/ ٢٨٣ منه.

أما في حلب، فقد كانت تلي دمشق في المركز العلمي وأكثر مدارسها أنشىء في عهد نور الدين وأبناء صلاح الدين. وكان لمذهب أبـي حنيفة الغلبة من حيث عدد المدارس والتي بلغت زهاء أربعين مدرسة وصارت حلب في عهد الملك الظاهر، بفضل القاضي ابن شداد، محط رجال العلماء ومأوى أعلامهم، حتى إذا أغار التتار على حلب، كانت هذه المدارس من بين ضحاياهم، ولم تستعد حلب الحياة بعدئذ إلا في آخر عهد الحروب الصليبية[1].

ومن مدارسها في هذا العصر:

ـ المدرسة العصرونية (٥٤٥هـ)[2].

ـ المدرسة الحلوية (٥٤٤هـ)[3].

ـ المدرسة النورية الصغرى (٥٤٤هـ)[4].

ـ المدرسة الشعيبية، درس فيها الشيخ شعيب الأندلسي (٥٥٦هـ)[5].

إلى غير ذلك من المدارس.

* * *

كان لا بد من إلقاء نظرة سريعة على هذه المدارس خاصة إذا علمنا أن بعضاً من أفراد البيت الغزنوي كان يدرس في هذه المدارس، وهو برهان الدين إبراهيم بن محمود الغزنوي المعروف بأبـي الهول، الذي درّس في المدرسة الصادرية آنفة الذكر[6].

---

(١) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، أحمد بدوي ص٧٠.

(٢) الكامل لابن الأثير ١١/ ٢٠٠، والدارس ١/ ٣٠٢، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ ٢/ ٦٦.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٣.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٧، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٤٩٩.

(٥) إعلام النبلاء ٢/ ٦٧.

(٦) انظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١/ ٤١٣.

فلا بد وأن يكون المؤلف قد مر على تلك المدارس، ولم نرد الدخول في سرد هذه المدارس إلا لإعطاء الصورة الواضحة لأهمية المدارس آنذاك، وأنها كانت تمثل أهم المراكز العلمية في ذلك الوقت. والذي دعانا إلى ذلك أيضاً عدم وجود ترجمة وافية لحياة المؤلف من الناحية العلمية، فمن المؤكد وحسب مصادر ترجمته أنه قد تولى مناصب هامة في إحدى تلك المدارس، وخاصة ما يرجع منها إلى المدارس الحنفية، سواء في بلاد الشام وعلى الأخص حلب، أو في غيرها من الأقاليم الأخرى والبلدان التي ضن بها التاريخ علينا فلم يتسع لسرد حياة المؤلف العلمية. وربما كان الزلزال الذي نزل بحلب في تلك الفترة قد أتى على كثير من هذه المصادر. ونظراً لأهمية هذه المدارس يحسن إلقاء نظرة سريعة على بعض المناصب التي تولاها المؤلف، فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان معيد الدرس للشيخ الكاساني صاحب بدائع الصنائع[١].

فقد كان المدرسون على طبقتين: مدرسين ومعيدين، فالمدرس هو من يتصدى لتدريس العلم من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف وغير ذلك. أما المعيد فيلي رتبة المدرس، والأصل فيه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه، وكان عمل المعيد تبسيط العلم للشادين، وتوضيح الغامض لهم، فكان المدرس يلقي الثقافة العالية على سامعيه، فمن احتاج إلى إيضاح شيء أو فهمه عاد في ذلك إلى المعيد، ومن أجل هذا كان المعيد يجلس إلى جانب المدرس ليعرف سير الدرس فيوضح ما خفي منه، ويكون للمدرس الواحد معيد أو أكثر تبعاً لعدد الطلبة وكثرتهم[٢].

---

(١) راجع: تاج التراجم، لابن قطلوبغا ص١٠، والطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي ص٨٩.

(٢) راجع: صبح الأعشى، لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ٥/ ٤٦٤؛ والحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص٧٥ ــ ٧٦.

أما كبار علماء هذا العصر، فقد تنوعت اختصاصاتهم فمن ذلك:

علم القراءات:

ـ أحمد بن محمد (ابن العريف) (م٥٣٦هـ).

ـ عبد الله بن أحمد (الخشاب) (م٥٦٧هـ).

ـ القاسم بن فِيُّره (الشاطبي) (م٥٩٠هـ).

وفي علم التفسير:

ـ عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ابن عطية الأندلسي) (م٥٤٢هـ).

وفي علم الحديث:

ـ يحيى بن عبد الوهاب (ابن منده) (م٥١١هـ).

ـ الحسين بن مسعود الفراء (البغوي) (٥١٠هـ، أو٥١٦هـ).

ـ أبو الطاهر أحمد بن محمد (السِّلَفي) (م٥٧٦هـ).

وفي الأديان:

ـ محمد بن عبد الكريم (الشهرستاني) (م٥٤٨هـ).

وفي علم التاريخ:

ـ عبد الكريم بن محمد (السمعاني) (م٥٦٢هـ).

ـ علي بن الحسن (ابن عساكر) (م٥٧١هـ).

وفي اللغة:

ـ يحيى بن علي (أبو زكريا التبريزي) (٥٠٢هـ).

وفي العقيدة، والفلسفة:

ـ محمد بن محمد (الغزالي) (م٥٠٥هـ).

ـ ميمون بن محمد (أبو المعين النسفي) (٥٠٨هـ).

ـ محمد بن حيي (ابن ماجه) (٥٣٣هـ).

ـ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (٥٣٧هـ).

ـ محمد بن عبد الملك (ابن الطفيل) (م٥٨١هـ).

ـ محمد بن أحمد (ابن رشد الحفيد) (٥٩٥هـ)(١).

ـ الحركة الفكرية في عصر المؤلف: في مجال أصول الدين وأهميتها في تكوين شخصيته:

قبل الشروع في هذا الأمر تجدر الإشارة إلى أهمية العلماء الأفغان في نشر الدعوة الإسلامية والفكر الديني في أرجاء الخلافة الإسلامية.

فمنذ أن نقل العرب الإسلام إلى «خراسان» ودخل الأفغانيون فيه أفواجاً، أصبحوا بعد قليل من أرسخ المسلمين قدماً في الإسلام، وأشدهم تمسكاً بتعاليمه، بل أصبح كثير من أبناء الأفغانيين أئمة في الدين الإسلامي، وأساتذة في اللغة العربية، ومرجعاً في فهم التفسير والحديث وحل المشاكل العلمية الأخرى.

فقد نبغ عدد غير قليل من الأفغانيين نبوغاً كانت له شهرة واسعة، ومن أولئك الإمام أبو حنيفة النعمان، والإمام أحمد بن حنبل، كما ظهر الإمام البخاري والإمام الترمذي من تلك الأصقاع.

ومن بين أعلام اللغة العربية، الزمخشري والسكاكي والتفتازاني، ومن أعلام العقيدة وعلم الكلام: الإمام الرازي والنسفي، ومن الفلسفة: الفارابي وابن سينا «الشيخ الرئيس» ونصير الدين الطوسي، ومن أعلام التصوف: شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو الحسن الخرقاني، وشيخ الإسلام

---

(١) راجع: تاج التراجم ص٤٧، ٧٨؛ وتاريخ الإسلام ٤/ ٤٣٩، ٥٥٩. وراجع: مقدمة رؤوس المسائل للزمخشري، ت: عبد الله نذير أحمد ص٢٠ ـ ٢٢، وكذا مقدمة الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري، ت: سيد باغجوان ص٢٤.

أحمد الجامي، وإبراهيم بن أدهم البلخي، والصوفي الجليل شقيق البلخي، وجلال الدين البلخي المشهور بجلال الدين الرومي.

ومن أعلام الجبر محمد بن موسى الخوارزمي، وفي الكيمياء جابر بن حيان، وفي الترجمة موسى ويوسف ومحمد بن جهم البرمكي وفضل بن سهل السرخسي...

ولا ننسى أبا الريحان البيروني الذي يعتبر عند العلماء من أنبغ من برع في التاريخ والجغرافيا والفلك والفلسفة والجبر والرياضة، وكذلك السجاوندي الذي قام بخدمات جليلة في تنقيط حروف القرآن الكريم[١].

وبالرجوع إلى عصر المؤلف سوف نرى أثر هذه الثقافة التي أخرجتها «خراسان» في أرجاء الخلافة الإسلامية، فقد اهتم العلماء بعلم أصول الدين، وذلك «لتصحيح العقيدة الدينية، والدفاع عنها، في عصر كان من أشد العصور اصطداماً بالعقيدة المسيحية. فالحروب الصليبية كان الهدف منها في المقام الأول، ضرب العقيدة الإسلامية في الصميم واحتلال بيت المقدس، وتخريب الديار الإسلامية، فكان من الطبيعي أن يتصدى لدراسة هذه المادة رجال، يأخذون على عاتقهم توضيح العقيدة والدفاع عنها، وكثيراً ما كانت المناظرات تجري بين رجال من الصليبيين ورجال من المسلمين، كل يحبذ دينه ويقيم البرهان على صحته...

ويحسن بنا ذكر بعض العلماء ممن ألف في هذا العصر للرد على أصحاب الأهواء والبدع والملل والنحل فمن ذلك:

- الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء (ت٥٠٢هـ) له محاضرات الأدباء

---

(١) راجع في ذلك: أفغانستان ص٥٨، ٥٩.

ومحـــاورات الشعـراء تحـدث فـي بعـض فصـولـه عـن النصـرانيـة وفـرقهـا وعقائدها[1].

ـ محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام، متصوف (ت٥٠٥هـ) له (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل)[2].

ـ محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح (ت٥٤٨هـ)، له الملل والنحل، ذكر فيه أسماء هذه الطوائف وآرائها[3].

ـ عبد الـرحمـن بـن علـي بـن محمـد الجـوزي، القـرشـي البغـدادي أبـو الفـرج (٥٩٧هـ)، له كتاب «تلبيس إبليس» أشار فيه إلى بعض آراء النصارى في عقيدة التثليث[4].

ـ أحمد بن عبد الصمد بن أبـي عبيدة الخزرجي القرطبـي أبو جعفر فقيه أندلسي (ت٥٨٢هـ)، له كتاب «مقامع هامات الصلبان في الرد على عبدة الأوثان ومراتع روضات الإيمان»[5].

وهكذا نرى هذه الكوكبة من العلماء الأفذاذ كيف تصدت للرد على أهل الكتاب وعلى النصارى بشكل خاص وكذا الفرق الباطنية والرافضة، وبعد زوال الحكم الفاطمي عن المدن الإسلامية تمكن العلماء من حرية القول والتعبير عن آراء أهل السنّة والجماعة، وتصدوا للرد على آراء الرافضة.

---

(١) انظر: مقدمة كتاب معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ت نديم مرعشلي ص٨؛ وانظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ٢/١٦٠٩.

(٢) انظر: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٤/١٠، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي ١/٢٧٧؛ وهو مطبوع في مصر ١٣٩٤هـ في الهيئة العامة لشؤون المطابع.

(٣) انظر: وفيات الأعيان ١/٤٨٢؛ وهو مطبوع بمطبعة صبيح ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م بمصر.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١٣/٢٨؛ وهو مطبوع بدار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان.

(٥) وله اسم آخر قام بتحقيقه د. محمد شامة تحت اسم: «بين الإسلام والمسيحية».

وبالمقابل فقد ساد المذهب الأشعري في البلاد، وكذا المذهب الماتريدي، وتصدى العلماء لمناصرة هذين الإمامين والرد على المعارضين، ويجب الاعتراف أن الجدل بين الأشاعرة والحنابلة، أخذ مدى واسعاً، فنجد مثلاً بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل»[١] وكذلك ابن الجوزي يردان على من أخذ بظاهر النصوص والأخير حنبلي المذهب إلا أنه لم يسلك مسلك هؤلاء فكتب مؤلفاً أسماه «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة والمشبهة»[٢].

وعليه فقد وضع علماء ذلك العصر كتباً تتناول مسائل علم الكلام جميعها: من الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، فمنها ما وضعه ابن دقيق العيد[٣]، وأحمد بن محمد الغزنوي[٤]، وهو كتاب في أصول الدين موضوع هذا البحث، والحسن بن صافي المتوفى سنة ٥٦٨هـ[٥]، وأبو بكر بن مسعود الكاشاني[٦]، وأبو طاهر بن عوف المتوفى بالإسكندرية سنة (٥٨١هـ)[٧]، وهناك العديد من العلماء الآخرين.

وقد أسهب علماء هذا العصر في كتابة عقائدهم التي يدينون الله بها، ويرونها

(١) قام بتحقيقه فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي، وعلق على نصوصه.

(٢) نشر بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري. وهناك المزيد من هذه الكتب، راجع: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية (المقدمة) ص٥٢ ـ ٥٤، وكذا: الحياة العقلية ص١٨٨ ـ ١٩٠.

(٣) انظر: حسن المحاضرة ١/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٤) تاج التراجم لابن قطلوبغا ص١٠؛ والجواهر المضية لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر القرشي ١/ ٣٥٥.

(٥) معجم الأدباء ٨/ ١٢٣.

(٦) ويقال أيضاً: الكاساني. انظر: تاج التراجم، بتحقيق إبراهيم صالح ص٢٠٧.

(٧) انظر: كشف الظنون ١/ ٣٩٣.

وسيلة النجاة عنده، ووضع ذلك علماء الأشاعرة والماتريدية وغيرهم. . . وعالج بعض العلماء كثيراً من المسائل الجزئية التي كانت موضع جدل في ذلك العصر: مثل مسألة القضاء والقدر، وقد نالت من عناية رجال هذا العهد حظاً موفوراً. ومسألة الثواب والعقاب، وهي ترتبط بالمسألة السالفة. ونرى جهود علماء أهل السنّة والجماعة قد انصب للرد على المعتزلة وخاصة فيما يتعلق بأصولهم الخمسة.

كما ردوا على الذين[١] أثاروا موضوع صفات الله تعالى.

● ● ●

---

(١) طبقات الشافعية ٤/ ٢٥٩. وهناك العديد من هؤلاء العلماء. انظر بتوسع: الحياة العقلية في الحروب الصليبية ص١٩٠ ــ ١٩١.

الفصل الثاني

حياة المؤلف

وفيه:

أولاً: اسمه ونسبه.

ثانياً: شيوخه.

ثالثاً: تلاميذه.

رابعاً: مؤلفاته.

خامساً: مذهبه.

سادساً: عقيدته.



أولاً
اسـمـه ونـسـبـه

هو الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد، ولقب بالغزنوي، الحنفي، نسبة إلى مدينة غزنة[1].

أما عن مولده فلم تذكر المصادر[2] تاريخاً له. وكذا الأمر بالنسبة لأسرته. وحتى حياته في شبابه ونشأته لم تجد علينا تلك المصادر بشيء. وربما كان الزلزال الذي ضرب مدينة حلب آنذاك قد أتى على بقية المصادر التي تتعلق بترجمة المصنف. وربما أيضاً على بقية نسخ المخطوط موضوع هذا التحقيق.

---

(١) وهناك من يلفظها ويكتبها بالياء فيقول «غزني» قال ياقوت الحموي: «غزنة: هي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند ونسب إلى هذه المدينة من لا يعد ولا يحصى من العلماء وكانت آهلة بأهل الدين، ولزوم أهل الشريعة والسلف الصالح». معجم البلدان، ياقوت الحموي ٤/ ٢٠١.

(٢) انظر ترجمته في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي ١/ ٣١٥؛ وتاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا ص١٠؛ والطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر الغزي المصري الحنفي ٢/ ٨٩؛ والفوائد البهية في تراجم أئمة الحنفية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ص٤٠؛ ومفتاح السعادة ومصباح السيادة، لطاش كبري زاده ٢/ ٢٨٤؛ وكشف الظنون، لحاجي خليفة ١/ ٩٣٢؛ وهدية العارفين ٥/ ٨٩؛ وكشف القناع المرنى عن مهمات الأسامي والكنى، لبدر الدين العيني، ت: أحمد محمد نمر الخطيب ص٧٢؛ ومعجم المؤلفين ٢/ ١٥٦؛ وتاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ت: د. السيد يعقوب بكر ٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

ثانياً
شـيـوخـه

تفقّه الغزنوي على عدد من العلماء، أبرزهم:

١ ــ أحمد بن يوسف الحسيني العلوي[1].

٢ ــ أبو بكر مسعود بن أحمد الكاساني[2] (وقيل الكاشاني) (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م) (علاء الدين) فقيه أصولي، من آثاره: السلطان المبين في أصول الدين، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. قال القرشي: (تفقه صاحب «البدائع» على محمد بن أحمد أبـي أحمد السمرقندي علاء الدين، وقرأ عليه معظم تصانيفه، مثل: التحفة في الفقه، وغيرها من كتب الأصول. وزوجه شيخه ابنته فاطمة الفقيهة العالمة. . . وكانت قد حفظت «التحفة» وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم

(١) انظر: الجواهر المضية ٤/٤١٥؛ وتاج التراجم، لابن قطلوبغا ص١٠؛ والطبقات السنية، للغزي المصري ٢/٨٩؛ والمقدمة الغزنوية ص٧، في مقدمة التحقيق للشيخ خليل الميس. إلا أن صاحب الفوائد البهية ذكر أن اسمه محمد بن يوسف. . . وليس أحمد. انظر: ص٤٠ منه، والأصح ما ذكر أولاً.

(٢) انظر: الجواهر المضية ٤/٢٥؛ والفوائد البهية ص٤٠؛ والطبقات السنية ٢/٨٩؛ وتاج التراجم ص٨٤؛ والمقدمة الغزنوية ص٧؛ وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ ٢/٦٤؛ والكاساني نسبة إلى كاسان، مدينة في تركستان، وراء نهر سيحون، وراء الشاش. ولها قلعة حصينة وعلى بابها وادي أخسيكث، معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤/٤٣٠؛ ومعجم المؤلفين، كحالة ٣/٧٥.

فامتنع والدها، فجاء الكاساني ولزم والدها واشتغل عليه وبرع في علمي الأصول والفروع وصنف كتاب البدائع وهو شرح للتحفة وعرضه على شيخه فازداد فرحاً به، وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك. فقال الفقهاء في عصره: شرح تحفته، وزوجه ابنته)[1].

وله مناقب أخرى ذكرتها كتب التراجم[2].

● ● ●

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي ٤/ ٢٥ وما بعدها، وكذا: تاج التراجم ص٨٤.

(٢) انظر تاج التراجم ص٨٤.

ثالثاً

تـلامـيـذه

لم تذكر كتب التراجم عدد تلاميذه إلا أنها ذكرت واحداً من أبرز هؤلاء وهو:

ـ أحمد بن يوسف بن علي بن محمد بن أحمد، أبو نصر، وقيل أبو العباس عماد الدين الحسني.

تفقه على الغزنوي، وكان مولده سنة نيف وستين وخمس مئة بحلب، وسمع الحديث من أبـي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي شيخ الحنفية.

وخرج من حلب إلى مصر حين وصل التتار إلى بلاد الروم سنة أربعين وست مئة وحدث بها، وأضر بمصر، ثم عاد إلى حلب فأقام صابراً محتسباً، إلى أن مات في بعض شهور سنة ثمان وأربعين وست مئة بحلب[1].

• • •

---

(١) انظر ترجمته في: الجواهر المضية ١/ ٣٥٥؛ الطبقات السنية ٢/ ١٣٠ ــ ١٣١؛ والفوائد البهية ص٤٣.

رابعاً

مؤلفـات الغزنـــوي

يعتبر الغزنوي عالماً في الفقه والأصول، بارعاً في مسائل العقيدة، وعلم الكلام، يتجلى ذلك من خلال مصنفاته التي تراوحت بين هذه العلوم. ومن ذلك:

١ ــ كتاب: روضة اختلاف العلماء[١].

٢ ــ وكتاب: في أصول الفقه[٢].

٣ ــ وله: «مقدمة الغزنوي» في الفقه وهي مشهورة باسمه[٣].

قال صاحب الفوائد البهية: «قد طالعت من تآليفه «المقدمة» وهو مصغر حجماً مكبر علماً، أوله الحمد لله الذي عم البلاد بنعمته الخ».

٤ ــ وكتاب: روضة المتكلمين في أصول الدين[٤].

٥ ــ وكتاب: المنتقى من روضة المتكلمين[٥].

---

(١) الطبقات السنية ٢/ ٨٩؛ وتاج التراجم ص١٠؛ ومفتاح السعادة ٢/ ٢٨٤.

(٢) الطبقات السنية ٢/ ٨٩؛ وتاج التراجم ص١٠؛ ومفتاح السعادة ٢/ ٢٨٤.

(٣) وقد قام بتحقيقها أستاذنا الفاضل سماحة الشيخ خليل محيي الدين الميس، مفتي البقاع في لبنان، ومدير أزهر لبنان، عام ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م، طبعة دار الفكر، بيروت ــ لبنان.

(٤) ربما كان هذا الكتاب هو نفسه المسمى بأصول الدين موضوع التحقيق، كما هو مثبت في نهاية المخطوط، انظر: ص٣١٦.

(٥) هو اختصار لـ «روضة المتكلمين في أصول الدين»، وقد أشار إليه العديد من العلماء؛ انظر: =

٦ ـ كتاب: الحاوي القدسي في الفروع[١].

٧ ـ كتاب: عقائد الغزنوي[٢].

٨ ـ كتاب: النتف في الفتاوى[٣].

● ● ●

= الجواهر المضية، للقرشي ١/٣١٥؛ وكذا: الطبقات السنية للغزي ٢/٨٩؛ والفوائد البهية للكنوي ص٤٠ وغيرهم.

(١) هدية العارفين ٥/٨٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

خامساً

مذهب الغزنوي الفقهي

كان الغزنوي حنفي المذهب، وكانت «مقدمته» التي أشرنا إليها سابقاً، تدل على هذا الأمر. فضلاً عن إجماع العلماء والمؤرخين على ذلك:

وقد جاء في «مقدمة الغزنوي» (الباب الأول وفيه طلب العلم[1]، وفيه أربعة فصول: أ ـ في مناقب الإمام أبـي حنيفة رحمه الله تعالى. . . إلخ).

● ● ●

سادساً

عـقـيـدتـه

كان الغزنوي ـ رحمه الله ـ ماتريدياً، وذلك واضح من خلال آرائه التي بثها في كتابه موضوع التحقيق.

● ● ●

---

(١) انظر: مقدمة الغزنوي ص١٠.



الفصل الثالث

الكـتاب ومنهج التحقيق

وفــيــه:

أولاً: نظرة علمية حول عنوان المخطوط.

ثانياً: مقارنة الكتاب بالكتب الأخرى.

ثالثاً: منهج التحقيق.

رابعاً: وصف نسخة المخطوط.



أولاً
نظرة علمية حول عنوان المخطوط

من المشاكل التي تعترض الباحث حول هذا المخطوط:

العنوان، حيث وجد بآخره (تم كتاب الغزنوي «في أصول الدين» بحمده وعونه... إلخ)[1]، في حين أنه لم يرد لفظ «روضة المتكلمين» أو «المنتقى من روضة المتكلمين» لا في مقدمة المؤلف، ولا في الخاتمة.

وربما جاءت تسمية هذا المؤلف باسم «أصول الدين» أولاً ثم وسمه فيما بعد «بالروضة». ولما اختصره وسمه باسم «المنتقى» ولا يمكن ترجيح أي احتمال في غياب نسخ أخرى للمخطوط، إذ لم أعثر إلا على هذه النسخة التي بين أيدينا، والموجودة في «مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث» بدبي.

● ● ●

---

(١) انظر: ص٣١٦.

ثانياً

مقارنة كتاب أصول الدين للغزنوي

بكتب الأصول الأخرى

المطلع على كتب علم العقيدة والتوحيد الخاصة بالمدرسة «الماتريدية» يجد أن الباحثين الجدد قد غمطوا حقها في الظهور على صعيد إبراز تراثها ومؤلفاتها، وتحقيق المخطوط منها، فلم يظهر حتى الآن سوى القليل منها، كما أشرت إليه سابقاً.

وهذا ما يجعل كتاب الغزنوي يسد فراغاً مهماً في «مكتبة أصول الدين». ومن الجدير ذكره هنا أن المدرسة الماتريدية قد تخرج فيها العديد من كبار العلماء، فهناك «أبو المعين النسفي» صاحب كتاب «تبصرة الأدلة»[(١)] (ت٥٠٨هـ)، وكذلك «نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي»، صاحب كتاب «التمهيد لقواعد التوحيد»[(٢)] (ت٥٣٧هـ)، وكذلك «سعد الدين التفتازاني» شارح «العقائد النسفية»[(٣)] (ت٧٩١هـ)، وكذلك «الملا علي القاري» (ت١٠١٤هـ) الذي شرح كتاب «الفقه الأكبر»[(٤)] لأبي حنيفة رضي الله عنه وهناك العديد منهم.

---

(١) حققه كلود سلامة، طبع سنة ١٩٩٠م، دمشق.

(٢) حققه حبيب الله حسن أحمد، سنة ١٩٨٦، مصر.

(٣) حققه الدكتور أحمد حجازي السقا ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، بمصر.

(٤) مطبوع سنة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م، ولم يحقق.

ويمكن اعتبار كتاب الغزنوي هذا في الطبقة الثانية من كتب الماتريدية، وهو يماثل إلى حد ما كتاب التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي، وكذا كتاب شرح العقائد النسفية.

أما كتاب الإمام الماتريدي «التوحيد» فهو يعتبر في الطبقة الأولى، ثم كتاب تبصرة الأدلة لأبـي معين النسفي.

وبالإمكان القول أيضاً: إن كتاب الغزنوي يعتبر مرجعاً للعلماء، وكذا قواعد مهمة لطلبة العلم.

على أنه يجب الاعتراف، بأن المصنف رحمه الله تعالى، أسهب في ذكر بعض مباحث الكتاب، كما هو الحال عند شرحه للصفات الواجبة والجائزة والمستحيلة في حق الله تعالى. إذ استغرق ذلك منه ما يقارب خمسة وستين فصلاً. أما بقية المباحث فقد كانت متناسقة إلى حد ما، ومتوازنة من حيث مقدار فصولها.

ومن الناحية الشكلية كان توزيع المصنف لفصول الكتاب دون أن يذكر عنواناً لكل منها، واكتفى بعرض المسائل واحدة بعد أخرى. وقمت بوضع رقم لكل فصل.

أما مصادر المؤلف: فمنها العقيدة الطحاوية، للإمام أبـي جعفر الطحاوي(١)، ومنها التمهيد لقواعد التوحيد، وكذا شرح العقائد النسفية، والأربعين في أصول الدين للغزالي.

● ● ●

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ت: د.عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط ١/ ٤٣٢، ٤٥٦، ٤٥٨، ٥٤٠، ٥٥٥، ٧٤٠، ٧٤١. وقارن بما جاء في المخطوط، انظر الصفحات ٣٠١ ولغاية ٣٠٦ منه. وهذه الصفحات جاءت في الفصل الأخير من الكتاب وهو فصل (١٦٩) في مسائل متفرقة.

ثالثاً

منهـج التحقـيـق

قمت بضبط النص وفقاً لقواعد اللغة العربية، وأضفت بعض الكلمات التي يقتضيها السياق ووضعتها بين قوسين، خاصة عندما تكون الجملة مبهمة أو مكان كلمة مطموسة وغير مقروءة، وذلك بقدر محدود، حفاظاً على النص الأصلي، وبينت ذلك في الهامش. وربما عقبت على بعض الكلمات التي ذكرها المصنف في فصوله.

كما وضعت بعض العناوين لأهم فصول الكتاب تسهيلاً للقارىء، وتفصيلاً لمباحث هذا العلم. وذلك في كل موضوع على حدة. وجعلت هذه العناوين بين الأقواس.

وقمت بتخريج الآيات القرآنية، وصححت ما وجد خطأ في نص المخطوط، كما خرجت الأحاديث الواردة من مظانها ما أمكن.

كما علقت على فصول الكتاب بمزيد من الشرح والإيضاح، وذلك في المسائل الخلافية بين المذاهب، وقارنتها بآراء الخصوم، والرد عليهم كلما اقتضت الحاجة.

وخرجت النصوص التي استعان بها المؤلف من الكتب الأخرى، وبينت مكانها في مصادرها.

ثم وضعت فهرساً مفصلاً لمحتويات الكتاب.

ما يؤخذ على المؤلف:

١ ــ في الفصل [٤٨] عند حديثه عن أسماء الله تعالى اعتبر المصنف أن الأسماء والصفات سواء، وهو ما يخالف المذهب.

٢ ــ وعند حديثه عن صفة التكوين، لم يضع هذه الصفة في آخر صفات المعاني، بل إنه أخرها عنها، وكان الأولى به أن يضمها إلى بعضها لينسجم الموضوع ويتكامل.

٣ ــ كان الأولى بالمصنف أن يضع في مقدمات الفصول كلمة «الخالق» بدلاً من كلمة الصانع، لما لها من مدلول أوسع، وإن كان استعمالها جائزاً.

• • •

رابعاً

وصف نسخة المخطوط

إن عدم توفر أعداد من نسخ أي مخطوط تزيد من مسؤولية الباحث المحقق، كما أنها ترهق كاهله لما يترتب على ذلك من أعباء لا تخفى على أصحاب هذا الفن، ويزداد الأمر صعوبة كلما بَعُدَ زمن نسخ المخطوط عن عصر المؤلف، ويتضاعف هذا الجهد كلما كان الناسخ عديم الخبرة بالأساليب العلمية، وقواعد اللغة العربية والنحوية والإملائية، وناسخ هذا المخطوط من هذا القبيل.

إلا أن هذه النسخة خطها واضح، كما أن أوراقها لا زالت متماسكة، وقد بلغت أربعاً وعشرين ورقة، في كل منها سبعة عشر سطراً، تراوح واحدها ما بين تسع إلى عشر كلمات، ومقياس الصفحة: ٢٢,٥ × ١٦سم.

أما تاريخ نسخها فهو عام ١١٣٩هـ وفقاً لما هو مدون في آخرها حيث قال: (تم كتاب الغزنوي في أصول الدين بحمد الله وعونه وحسن توفيقه... سنة ١١٣٩هـ).

كما وجدت في هذه الصفحة تعليقات فيها نقد للمؤلف عند حديثه عن الدعاء، وكتب في نهاية التعقيب (لمحرره إبراهيم الريزوي). كما وجدت بعض التعقيبات الأخرى.

أما اسم ناسخ المخطوط فهو: أحمد بن أبـي الخير المرحومي. ولم أجد في كتب التراجم أي ذكر لمكانه أو بلده. والنسخة التي بين أيدينا الآن صورة عن

المخطوط المحفوظ تحت رقم (٩١ عقائد) في مركز السيد جمعة الماجد للثقافة والتراث ــ بدبـي.

والله أسأل التوفيق والسداد.

لما فيه الخير والرشاد.

المحـقـق

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

لاهل القبلة والمؤمنون كلهم اولياء الرحمن واكرمهم عند الله اطوعهم
له والله عز وجل مولى المؤمنين وان الكافرين لا مولى لهم
فصل ونعتقد ان الغسل والوضوء والتيمم والمسح على
الخفين والصلوة والزكاة والصوم والحج والجمعة والجماعة
والاذان والاقامة والجهاد والصلوة على الجنازة وصلوة
العيدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الرحم
وطاعة الوالدين وغيرذلك من جميع اوامر الشرع حق
وصدق والكف عن اذى الجار وعن جميع الناس واجب
والكذب والغيبة والنميمة والبهتان وشهادة الزور وايقاد
نار الفتنة بين المسلمين حرام وكذا لعن المسلم ودعاء السوء
وان كان ظالما حرام ولكن يقول اللهم ان كان من اهل التوبة
فتب عليه وان لم يكن من اهلها فكف شره عنا وعن جميع المسلمين
وكذا الطعن في ائمة الدين وعلماء السلف وارتكاب جميع المنهيات
حرام وان دين الله في السماء والارض واحد وهو الاسلام
ونسئل الله الثبات على الاسلام فهذا ديننا واعتقادنا
ظاهرا وباطنا والله اعلم تم كتاب الغزنوي في اصول
الدين بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على نبينا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما والحمد لله
رب العالمين
آمين

سنة ١١٣٩ بعد الالف ومائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

كتاب

أصول الدين

للشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي الحنفي

(... - ٥٩٣ هـ)

تحقيقه وتعليقه

الدكتور عمر وفيق الداعوق

مدرس العقيدة في قسم أصول الدين
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة الكتاب)

/ الحمد لله مجيب الداعين، ومثيب الساعين، ومعطي الطالبين، [١/ أ] ومرضي الراغبين، ومنجد الهالكين، ومرشد السالكين، رحيم، بالمؤمنين رحمان، تعم رحمته الطائعين والعاصين، أحمده سبحانه وتعالى، وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نبلغ بها أحسن المآب. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث لتشريع الملة[١] وتوجيه الخطاب وإيضاح الأحكام من المباح[٢]

---

(١) الملة في اللغة: هي (الطريقة المسلوكة، يقال: طريق ممل، أي: محب مسلوك، والمِلّة بالكسر: الدين والشريعة. والدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهباً. وقيل: الفرق بين الدين والملة أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد). انظر: الصحاح للجوهري مادة: ملل، والتعريفات للشريف الجرجاني ص٥٦.

(٢) المباح لغة: (مشتق من الإباحة، وهي الإظهار والإعلان. يقال: باح فلان بسره: أظهره. وفي الاصطلاح: هو ما دل الدليل السمعي على خطاب الشارع بالتخيير فيه بين الفعل والترك من غير بدل، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. أصول الفقه، لمحمد زكريا البرديسي ص٧٩ ــ ٨٠، وانظر حول «المباح» المحصول في علم أصول الفقه لفخر الدين الرازي ج١ ق٢ ص٣٥٧ وما بعدها.

والمندوب[1] والمحظور[2] والمفروض[3] والواجب[4] والاستحباب[5] والأمر بأدائها بالالتزام والإيجاب صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الجزاء وفصل الخطاب.

---

(١) المندوب في اللغة: (مأخوذ من الندب وهو الدعاء إلى أمر مهم... وفي الاصطلاح: ما طلب فعله شرعاً من غير ذم على تركه مطلقاً... ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. أصول الفقه للبرديسي ص٦٨ ـ ٦٩، وانظر: المحصول للرازي ج١ ق٢ ص٣٥٣ وما بعدها.

(٢) المحظور، يمكن تقسيمه إلى:

(أ) المكروه: وهو طلب الكف عن الفعل طلباً غير جازم كالقراءة في الركوع والسجود.

(ب) الحرام: وهو طلب الكف عن الفعل طلباً جازماً (كشرب الخمر والزنا). إرشاد الأنام في عقائد الإسلام، محمود صالح البغدادي ص٣٥.

(٣) المفروض، وهو من الفرض، وهو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه وهو لغة القطع والتقدير. وفي الشرع: ما ثبت بدليل لا شبهة فيه، وحكمه لزوم الاعتقاد والعمل، حتى (أنه يكفر جاحده ويفسق تاركه بلا عذر) إرشاد الأنام ص٣٥، والمغني في أصول الفقه للخبازي، ت: د. محمد مظهر بقا ص٨٣ ـ ٨٤.

(٤) الواجب: (من الوجوب وهو السقوط، سمي به لسقوطه عنا علماً أو لسقوطه علينا عملاً... وفي الشرع: اسم لما لزم بدليل فيه شبهة مثل الأضحية وتعيين الفاتحة وتعديل الأركان في الصلاة والطهارة في الطواف وصدقة الفطر والوتر... ويختلف الأصوليون في تعريفه). انظر: الميسر في أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم محمد سلقيني ص٢٠٥ ـ ٢٠٦، وكذا المغني، للخبازي ص٨٤.

(٥) وهو (ما فعله الرسول ﷺ أحياناً وتركه أحياناً، كالتصدق على الفقير، وصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، ويسمى هذا القسم بالنافلة أو المستحب). أصول الفقه، للبرديسي ص٧٠.

(الصـفـات)[1]

[١] فصـل: صانع[2] ....

---

(١) بدأ المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ هذا الفصل بذكر الصفات الواجبة لله تعالى. وقد قسم علماء العقيدة هذه الصفات على النحو التالي:
أولاً: الصفة النفسية وهي: الوجود.
ثانياً: الصفات السلبية وهي: القدم، البقاء، القيام بالنفس، الوحدانية، المخالفة للحوادث.
ثالثاً: صفات المعاني وهي: القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، البصر، السمع، الكلام.
وأضاف الماتريدية صفة ثامنة وهي التكوين أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].
رابعاً: الصفات المعنوية: وهي مترتبة على صفات المعاني وهي كونه تعالى قادراً مريداً... الخ.

(٢) قال الإمام البيهقي في باب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الباري جلّ ثناؤه والاعتراف بوجوده جلّ وعلا: (منها الصانع) ومعناه المركِّب والمهيّيء. قال الله عزّ وجلّ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقد يكون الصانع الفاعل فيدخل فيه الاختراع والتركيب معاً.
وبسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عزّ وجلّ صنع كل صانع وصنعته) الأسماء والصفات، للبيهقي ص٤٣.
وهذه الأسماء وكذا الصفات توقيفية، أي يتوقف جواز إطلاق الأسماء عليه تعالى على ورودها في الكتاب أو السنّة الصحيحة أو الحسنة أو الإجماع، لأنه غير خارج =

العالم[1] ليس بحادث[2]، فلو كان حادثاً فلا بد له من صانع أحدثه ومبدع أنشأه، وذلك هو الله تعالى[3]، وهو المبدىء المنشىء ـ تبارك الله رب

= عنها بخلاف السنّة الضعيفة. . . يقول صاحب الجوهرة:

واختيـــر أن أسمـــاه تـــوقيفيـــة كذا الصفات فاحفظ السمعية

أي فاحفظ الأسماء والصفات الواردة في السمع، كالواردة في الكتاب أو السنّة أو الثابتة بالإجماع كالصانع وواجب الوجود والقديم). راجع في ذلك: شرح جوهرة التوحيد، للشيخ عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني ١/٣٤٧ وما بعدها، وكذا: ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد، د. محمد رشاد عبد العزيز دهمش ص١٥.

(١) العالم هو كل شيء غير الله عزّ وجلّ. (والعالم نوعان: جواهر وأعراض. . . وقال آخرون إنه مأخوذ من العلم الذي هو العلامة. وهذا أصح لأنه كل ما في العالم علامة ودلالة دالة على صانعه) أصول الدين، للبغدادي ص٣٤.

(٢) الحادث: (ما يكون مسبوقاً بالعدم ويسمى: حدوثاً زمانياً، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير. ويسمى حدوثاً ذاتياً. . . فإذا قلنا: العالم محدث. أردنا به حدوث الجواهر والأعراض، لأنها محتاجة إلى غيرها في الوجود. . .) التعريفات، للشريف الجرجاني ص٤٤. وكذا أصول الدين، للبغدادي ص٣٣ ـ ٣٤.

(٣) هذه المقدمات لا تستقيم نتيجتها إلا إذا علمنا أن الله تعالى واجب الوجود لذاته، أي مستغن عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه، فلا يطرأ عليه العدم، ولا يقبله لا أزلاً ولا أبداً، فوجوده سبحانه حق وواجب، وما سواه جائز وممكن، والعالم ممكن الوجود قبل أن يوجد، وهو جائز الوجود أيضاً، وما دام كذلك فهو حادث وليس بقديم. ودليل حدوثه: أنه متغير، وكل متغير حادث، أي لا بد له من محدث أو خالق خلقه، والخالق يجب أن يتصف بالقدم، ويمتنع أن يكون حادثاً، وإلا أدى إلى الدور أو التسلسل وهما باطلان.

أما دليل تغير العالم فهو ثابت بالشرع والعقل. والماتريدية يستشهدون بهما. =

العالمين.

[٢] **فصل**: صانع العالم موجود[١]. من نظر في عجائب خلق السموات

= والدليل مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] (ومضمون الدليل أن العالم يتغير من حال إلى حال في الأكوان والأمثال المتجددات، والتغيير لا بد له من مغير لا يتغير كما هو المتبادر، والاحتياج إلى المغيّر المرجح ضروري في الممكن المتغير، فدل تغييره على وجود مغير له غالب على أمره هو الصانع الواجب المتقن لفعاله، يعني أن كل موجود من العالم يشاهد تغير حاله وانقلابه من العناصر والحيوان والمعادن والنبات ولا بد له من مغيّر صانع). انظر: المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد، د. نشأت ضيف ص٣١٢، وكذا إشارات المرام من عبارات الإمام، لكمال الدين البياضي الحنفي ص٩٣ ــ ٩٤.

(١) صفة الوجود: هي «صفة نفسية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها»، شرح جوهرة التوحيد، للقَّاني ص٨٥.

أما الدليل على وجوب الوجود له تعالى فهو أن نقول: (الله يجب افتقار العالم إليه، وكل من وجب افتقار العالم إليه فهو واجب الوجود، ينتج: أن الله واجب الوجود.

دليل الصغرى، ما تقدم من أن العالم حادث وكل حادث يجب افتقاره إلى محدث.

ودليل الكبرى: أنه لو لم يكن واجب الوجود، لكان جائزه، فيفتقر إلى محدث. ويفتقر محدثه إلى محدث، فإن رجع الأمر إلى الأول مباشرة أو بواسطة فالدور، لأنه دار الأمر ورجع إلى مبدئه، وإن تتابع المحدثون واحداً بعد واحد إلى ما لا نهاية له فالتسلسل، لأنه تسلسل الأمر وتتابع. وكل من الدور والتسلسل محال، فما أدى إليه وهو افتقاره إلى محدث محال، فما أدى إليه وهو كونه ليس واجب الوجود محال، وإذا استحال كونه ليس واجب الوجود ثبت كونه واجب الوجود وهو المطلوب)، شرح جوهرة التوحيد، للقاني ص٨٥ و٥٢. وللمزيد يراجع كتاب أركان الإيمان للشيخ وهبي غاوجي ص٢٥ ــ ٢٧.

[١/ ب]والأرض وبدائع فطرة الحيوان (يعلم أن تلك الأمور العجائب/ وذاك الصنع البديع والترتيب المحكم لا بد له من صانع يدبره ويحكمه ويفرده)[١].

فيستدل بوجود المصنوعات على وجود الصانع، قال الله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢].

[٣] **فصل**: معرفة الصانع واجبة، لأنه منعم، وشكر المنعم واجب عقلاً، وشرعاً[٣] فأول درجة الشكر معرفة المنعم.

• • •

(١) جاء في الأصل: (يعلم أن هؤلاء الأمور العجايب والصنع البدايع والترتيب المحكم لا بد من صانع يدبره وصانع يحكمه ويقره) وما أثبتناه مما اقتضاه السياق.

(٢) [إبراهيم: ١٠].

(٣) قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

(الصفات السلبية)[1]

(أولًا: الوحـــدانيـة)[2]

---

(١) الصفات السلبية: هي التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه، أي أنها تسلب من أذهاننا أضدادها، وهي غير قائمة بذات الله تبارك وتعالى.

(٢) معنى الوحدانية: عدم التعدد في الذات والصفات (بمعنى عدم النظير فيهما) أي أنه لا يوجد إله آخر يشاركه في الألوهية، ويتصف بصفاتها فلا ند له ولا نظير ولا شبيه، وهو واحد في صفاته، فصفاته قديمة كاملة لا يعرض لها زوال أو زيادة أو نقصان.
ومن الأدلة النقلية على إثبات الوحدانية له تعالى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].
وقد أشار الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أن المقصود بأن الله تعالى واحد (أي) لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له. أي حتى لا يتوهم أن يكون بعده أحد، فلا شريك له في نعته السرمدي لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا نظير له...
إذ لو كان له شريك في الألوهية لاستلزم المحال، لأن ما به التمايز لا يجوز أن يكون من لوازم الألوهية ضرورة اشتراكها بل من العوارض فيجوز مفارقتها فترتفع الإثنينية فيلزم جواز وحدة الاثنين وهو محال).
راجع في ذلك: المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد ص٣٢٦، وشرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ص٢٢، وإشارات المرام ص١٠٧.

[٤] **فصل**: صانع العالم واحد لا شريك[١] له، لأنه لو كان له صانعان أو أكثر لوقع بينهما تمانع[٢] وتدافع، وذلك خفض إلى الفساد ويؤدي إلى

---

(١) تقدم ذكر الأدلة النقلية على إثبات صفة الوحدانية. وهناك العديد من الأدلة العقلية على هذه الصفة. منها:

- دليل الاختراع.
- دليل التمانع.
- دليل الحركة.
- دليل الفطرة.
- دليل الافتقار إلى مسبب الأسباب.
- دليل التركيب... إلخ.

انظر في ذلك: كتاب دلائل التوحيد للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ص٢٢ ـ ٤٥، وكذا في كتاب أركان الإيمان للشيخ وهبي غاوجي ص٦٨ وما بعدها.

(٢) يستشهد العلماء بالنقل والعقل على إثبات صفة الوحدانية كما سبق ذكره آنفاً. ومن الأدلة على ذلك دليل التمانع. يقول الإمام الماتريدي رحمه الله: (ثم دلالة العقل أنه لو كان أكثر من واحد ما احتمل وجود العالم إلا بالاصطلاح، وفي ذلك فساد الربوبية، ومعنى آخر أن كل شيء يريد أحد ممن ينسب إليه إثباته يريد الآخر نفيه، وما يريد أحدهما إيجاده يريد الآخر إعدامه وكذلك في الإبقاء والإفناء. وفي ذلك تناقض وتناف، فدل الوجود على (أن) محدث العالم واحد...

أما الدليل الشرعي فهو: قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ويشرح الإمام البياضي هذا الدليل فيقول: (إن الإله لو تعدد، فقدرة كل واحد منهما وإرادته كان في الحدوث والتغيير أو لا؟ وعلى الأول: يلزم اجتماع العلتين الثابتتين على معلول واحد، وعلى الثاني: يلزم العجز المنافي للألوهية. =

عجز أحدهما، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. فإذا تعذر إثبات صانعين، كان واحداً ضرورة.

(ثانياً: القدم)[1]

[٥] **فصل**: صانع العالم قديم[2] لا أول له، لأنه لو كان محدَثاً لاقتضى

= ولا يمكن التوارد والاتفاق على الإيجاد بالاشتراك مع القدرة بالاستقلال، لأن تعلق إرادة كل واحد إن كان كافياً لزم المحذور الأول وإلا لزم الثاني..

الثاني: أنه لو تعدد لكان العالم محتاجاً إلى كل منهما ومستغنياً عنهما لكونهما مبدأين مستقلين له، واللازم باطل بالضرورة..

الثالث: أنه لو تعدد لجاز أن يريد أحدهما شيئاً والآخر ضده الذي لا ضد له غيره، كحركة زيد وسكونه، فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما، لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما، فتعين وقوع أحدهما، فيكون مريده وهو الإله دون الآخر فعجزه فلا يكون الإله إلا واحد...).

راجع: كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي، ت: فتح الله خليف ص٢٠؛ وإشارات المرام للبياضي ص٩٧؛ وللمزيد راجع: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص٢٩؛ وشرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ص٢٣.

(١) المراد بالقدم في حقه تعالى: القدم الذاتي (وهو عدم افتتاح الوجود، وإن شئت قلت: هو عدم الأولية للوجود، وأما القدم في حقنا فالمراد به الزماني وهو طول المدة، وضبط بسنة. حتى إذا قال: كل من كان من عبيدي قديماً فهو حر، عتق من له عنده سنة. وهذا مستحيل في حقه تعالى، وكذا القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للابن) شرح الجوهرة للقاني ص٥٤.

(٢) معنى القديم أن وجوده تعالى غير مسبوق بعدم (إذ لو كان حادثاً لافتقر إلى سبب آخر، وكذلك السبب الآخر، ويتسلسل إما إلى غير نهاية، وهو محال، وإما أن ينتهي إلى قديم لا محالة فيقف عنده، وهو الذي نطلبه ونسميه صانع العالم) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص٢٦.

محدِثاً، ثم كذلك محدثه اقتضى محدثاً آخر فيتسلسل[1] إلى ما لا نهاية له، فثبت أن صانع العالم قديم.

(ثالثاً: البقاء)[2]

[٦] **فصل**: صانع العالم أبدي لا آخر له، لأن من ثبت قدمه استحال

---

(١) التسلسل: هو أن يستند الممكن في وجوده إلى علة وهذه العلة تستند في وجودها إلى علة أخرى وهكذا إلى غير نهاية (وهو حكم عقلي باطل). ومن جملة الأحكام الباطلة أيضاً: الدور، وهو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ذلك الشيء (وينقسم إلى قسمين:
(أ) مصرح: وهو ما كان التوقف فيه بمرتبة واحدة، كأن يتوقف وجود محمود على كمال وكمال على محمود.
(ب) مضمر: وهو ما كان التوقف فيه بأكثر من مرتبة، كأن يتوقف وجود محمود على كمال وكمال على أحمد وأحمد على محمود. ولذلك عرّفوا الدور بأنه توقف الشيء على ما توقف عليه. إما بمرتبة أو أكثر) المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد ص٣١٣.

(٢) البقاء: يجب لله تعالى صفة البقاء (وهي عبارة عن عدم انتهاء الوجود أو عدم اختتام الوجود، وكل من ثبت قدمه يستحيل عدمه لاستحالة التغير على القديم... وأما ما تقرر في الشريعة من دوام الجنة والنار والعرش فهذا البقاء ليس بالذات بل لأن الله شاء لهم البقاء، فهم باعتبار ذاتهم يجوز عليهم الفناء. ووجوده تعالى لم يتغير فبقاؤه واجب لذاته لا لغيره): رسائل في بيان عقائد أهل السنّة والجماعة، للشيخ محمد بن درويش الحوت ص٤٧.
أما الدليل الشرعي على إثبات صفة البقاء لله تعالى فهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

عدمه، ولأن وجوده واجب، ووجوب وجوده يمنع عدم بقائه.

(رابعاً: المخالفة للحوادث)[1]

[٧] **فصل:** صانع العالم ليس بجوهر، لأن الجوهر متجزىء[2] وتحله الحوادث ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[3].

[٨] **فصل:** صانع العالم ليس بجسم[4]، لأن الجسم مؤلف من الجوهر/ [٢/ أ]

---

(١) المخالفة للحوادث... عبارة عن (سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عن الله تعالى، فلازم الجرمية التحيز، ولازم العرضية القيام بالغير، ولازم الكلية الكبر، ولازم الجزئية الصغر، إلى غير ذلك، فإذا ألقى الشيطان في ذهنك أنه إذا لم يكن المولى جرماً ولا عرضاً ولا كلاً ولا جزءاً فما حقيقته؟ فقل: في رد ذلك: لا يعلم الله إلا الله. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] شرح جوهرة التوحيد، للتتان ص٥٧.

هذا وإن الكرامية يصفون المعبود بأنه جسم له حد ونهاية. وقد رد العلماء عليهم في كثير من كتب التوحيد: انظر في إبطال الجواهر والأعراض شرح المواقف للجرجاني الموقف الخامس ص٤٤.

(٢) في الأصل: (متجز) والأصح ما أثبتناه.

(٣) أما دليل مخالفته تعالى للحوادث.... إنه لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً، ولو كان مماثلاً لها لكان حادثاً، كيف وقد سبق ثبوت قدمه سبحانه؟

ومن الشرع قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]. انظر: شرح جوهرة التوحيد للتتان ص٩١ ـ ٩٢.

(٤) الجسم: (جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: الجسم هو المركب المؤلف من الجوهر) التعريفات للجرجاني ص٤١. وقد تسربت العقائد الضالة إلى الحياة العقلية في المجتمع الإسلامي ومنها التجسيم والتشبيه وذلك عن طريق أهل الكتاب =

وإذا بطل كونه جوهراً بطل كونه جسماً ضرورة[١].

[٩] **فصل**: صانع العالم ليس بعرض[٢]، لأن العرض لا قيام له بذاته، بل هو مفتقر إلى جسم يقوم به، والقديم ــ عزّ وجلّ ــ قائم بذاته غير مفتقر إلى محل يقوم به.

[١٠] **فصل**: صانع العالم ليس بصورة[٣] لأن الصورة تنشأ عن التركيب،

= والزنادقة والمجوس. ومن بين الفرق التي ادعت التجسيم «الكرامية» (نسبة إلى عبد الله بن كرام الذي اغتر به أهل نيسابور وأفشى فيهم ضلالاته ومنها: أنه كان يسمي معبوده جسماً، وكان يقول: له حد واحد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ولا نهاية له من الجوانب الأخر...) راجع: التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ص١١١.

(١) يوضح الإمام الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ كيفية إبطال هذه الدعوى بقوله: (لأن كل جسم مؤلف من جوهرين متحيزين، وإذا استحال أن يكون جوهراً استحال أن يكون جسماً... ولأنه لو كان جسماً لكان مقدراً بمقدار مخصوص، ويجوز أن يكون أصغر منه أو أكبر، ولا يترجح أحد الجائزين عن الآخر إلا بمخصص ومرجح... فيفتقر إلى مخصص يتصرف فيه فيقدر بمقدار، فيكون مصنوعاً لا صانعاً ومخلوقاً لا خالقاً (وهذا باطل) ومحال على الله تعالى). الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص٢٨ ــ ٢٩.

(٢) العَرَض: (ما يقوم بالجوهر، وقيل ما يطرأ على الجواهر كالألوان والطعوم والروائح والعلوم والقدر والإرادات الحادثة وأضدادها والحياة والموت). لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنّة والجماعة لإمام الحرمين الجويني. ت: د.فوقية حسن ص٨٧، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي ١٠٧/١، والاقتصاد في الاعتقاد ص٢٩.

(٣) وذلك (مثل صورة إنسان أو فرس لأن ذلك من خواص الأجسام يتحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات والله تعالى منزه عن ذلك كله) انظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص٣٢.

فإذا نفينا كونه جوهراً وجسماً نفينا كونه صورة.

[١١] **فصل:** صانع العالم لا يوصف باللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، لأن الألوان والطعوم والحرارة والبرودة والروائح، والطبائع الأربعة أعراض تحل في الجواهر، فإذا نفينا كونه عرضاً وكونه محلاً للأعراض ينتفي جميع ذلك.

(خامساً: القيام بالنفس)(١)

[١٢] **فصل:** صانع العالم ليس في جهة(٢)، ولا تحويه الجهات الست،

---

(١) القيام بالنفس: (مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي قائم بنفسه وذاته وهي عبارة عن استغنائه تعالى عن المحل والمخصص تعالى الله عنها... فهو تعالى قائم بنفسه المقيم لغيره بالتدبير والحفظ) شرح العقيدة الطحاوية للميداني ص٥٥، ت: الأستاذ مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح...
فوجوده تعالى وبقاؤه قائمان وكائنان بذاته سبحانه لا باعتبار شيء آخر من إيجاد وخلق، وإمداد ورزق، فهو سبحانه وتعالى غير مفتقر إلى موجد يوجده، ولا مكان يحيزه، ولا إلى شيء من هواء وماء أو طعام ورزق، بخلاف قيام الخلق فإنه كائن بخلق الله تعالى، وباق بإمداد الله تعالى). أركان الإيمان للشيخ وهبي غاوجي ص٣٣.
والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥]، وكذا قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١ ــ ٢].
(ومعنى الصمد: أي السيد المقصود الذي يحتاج إليه ولا يحتاج إلى أحد وذلك هو الله سبحانه وتعالى). أركان الإيمان ص٣٤.

(٢) استغناؤه تعالى عن خلقه يقتضي استغناءه عن الجهة والمحل والحيز (فالجهات ست: فوق وأسفل وقدام وخلف ويمين وشمال، فمعنى كون الشيء فوقنا هو أنه =

لأنها حادثة، وهو الذي خلقها، فلو صار مختصاً بجهة بعدما خلقها لكان يتخصص بمخصص، وذلك باطل.

[١٣] **فصل**: صانع العالم ليس فوق العالم ولا في جهة خارجة[1] عنه،

= في حيز يلي جانب الرأس، ومعنى كونه تحتنا أنه في حيز جانب الرجل، وكذا سائر الجهات فكل ما قيل فيه إنه في جهة فقد قيل إنه في حيز مع زيادة إضافة). الاقتصاد في الاعتقاد ص٣٠، ومن الوجوه الدالة على بطلان الجهة والحيز: (أن كل ما كان مختصاً بمكان وجهة وحيز فهو منقسم، والمنقسم لا يكون واجباً لذاته، والباري عزّ وجلّ واجب الوجود لذاته، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون الباري منزهاً عن الجهة والمكان والحيز) المسائل الخمسون للإمام الرازي ص٣٦.

فالله تعالى كان قبل كل شيء، والعالم كله بما فيه مخلوق، والعالم له بداية ولم يكن قبلها موجوداً، فقبل أن يخلق الله العالم هل كان في جهة أو كان في مكان؟ الكل متفق على أن المكان والجهات كلها مخلوقة ومن قال غير هذا فقد كفر بملة الإسلام، فالله تعالى كان ولم يكن شيء غيره) حسن المحاجة، سعيد فودة ص٦.

(١) الله تعالى كان ولم يكن شيء غيره، فنحن في هذا الحال نسأل هؤلاء المجسمة: هل لله خارج وداخل، إن قالوا: نعم، كفروا. وأقروا على أنفسهم بأن الله محدود، وله جهات ومكان وقائل هذا كافر في هذا الحال.

ونسألهم: هل كان لله تعالى في هذه الحال جهة تحت وغيرها؟ إن قالوا نعم، كفروا وتناقضوا لأن الأصل أنه لا موجود إلا الله تعالى.

ونسألهم: هل يمكن أن يتصور العقل في هذه الحالة وجود جهات وأبعاد وغير هذا من موهمات؟ إن قالوا: نعم، كفروا وتناقضوا أيضاً.

فنقول: ولما خلق الله العالم، كيف تقولون إنه خلقه تحته وصار هو فوقه؟ إذاً الله تعالى بعد أن لم يكن محدوداً جعل نفسه محدوداً. فالله تعالى بعد أن لم يكن له تحت صار له تحت و(كذا) بعد أن لم يكن في جهة صار في جهة (و) بعد أن لم يكن في مكان صار في مكان! إذاً الله تعالى تأثر بوجود العالم وصار محدوداً وفي مكان وفي جهة... إلخ وهذا في غاية القبح) المرجع السابق، ص٦. =

لأنه لو كان كذلك لكان محاذياً للعالم، وكل محاذ بجسم: إما أن يكون[1] مثله أو أكبر أو أصغر، وكان ذلك تقديراً يحتاج إلى مقدر تعالى عن ذلك.

[١٤] **فصل**: رفع الأيدي إلى/ السماء عند الدعاء إنما ترفع لأنها قبلة [٢/ ب] الدعاء كالتوجه إلى الكعبة في الصلاة، ووضع الوجه على الأرض عند السجود وإن لم يكن الله ــ عزّ وجلّ ــ في الكعبة ولا تحت الأرض[2].

= وعليه فإن الذين (يدعون الجهة والجسمية والصورة والجوارح يقعون في الوهم المحض فهم يحكمون على غير المحسوس بأحكام المحسوس، والأدلة القطعية قائمة على التنزيهات فيجب أن يفوض علم النصوص إلى الله تعالى. على ما هو رأي السلف إيثاراً للطريق الأسلم. أو نؤول بتأويلات صحيحة على ما اختاره المتأخرون دفعاً لمطاعن الجاهلين) شرح العقائد النسفية ص٣٤ ــ ٣٥.

(١) في الأصل: كان.

(٢) بيّن الإمام الغزالي هذه المسألة فقال: (فإن قيل: إن لم يكن مخصوصاً بجهة فوق، فما بال الوجوه والأيدي ترفع إلى السماء في الأدعية شرعاً وطبعاً؟ وما باله ﷺ قال للجارية التي قصد إعتاقها فأراد أن يستيقن إيمانها أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقال: إنها مؤمنة. . .). فالجواب عن الأول: أن هذا يضاهي قول القائل: إن لم يكن الله تعالى في الكعبة وهو بيته فما بالنا نحجه ونزوره؟ وما بالنا نتذلل بوضع وجوهنا على الأرض في السجود؟ وهذا هذيان، بل يقال: قصد الشرع من تعبد الخلق بالكعبة في الصلاة ملازمة الثبوت في جهة واحدة. فإن ذلك لا محالة أقرب إلى الخشوع وحضور القلب من التردد على الجهات. ثم لما كانت الجهات متساوية من حيث إمكان الاستقبال خصص الله بقعة مخصوصة بالتشريف والتعظيم وشرفها بالإضافة إلى نفسه واستمال القلوب إليها بتشريفه ليثيب على استقبالها، فكذلك السماء قبلة الدعاء كما أن البيت قبلة الصلاة والمعبود بالصلاة والمقصود بالدعاء منزه عن الحلول في البيت والسماء) الاقتصاد في الاعتقاد ص٣٣ ــ ٣٤.
وقد عقب الإمام النووي على حديث الجارية الوارد في صحيح مسلم (باب تحريم =

[١٥] **فصل:** صانع العالم لا يوصف بكونه متمكناً في مكان[١]، لأنه كان في الأزل غير متمكن، فلو تمكن بعدما خلق المكان لتغير عما كان ــ تعالى الله ــ عن ذلك.

= الكلام في الصلاة رقم ٣٣/ ٥٣٧) ٣/ ٢٣ ــ ٢٤ ومما جاء في قوله:
(هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيها مذهبان، تقدم ذكرهما مرات في كتاب الإيمان:
أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وتنزيهه عن سمات المخلوقات.
والثاني: تأويله بما يليق به، فمن قال بهذا قال: كان المراد امتحانها، هل هي موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء، كما إذا صلى المصلي استقبل الكعبة؟ وليس ذلك لأنه منحصر في السماء، كما أنه ليس منحصراً في جهة الكعبة، بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين، كما أن الكعبة قبلة المصلين، أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم. . .) صحيح مسلم ٩/ ٣٠.

(١) لا يوصف الله تعالى بكونه متمكناً في مكان أو في حيز. فالتمكن من لوازم الحوادث، وهو تعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخل: إما أن يكون ساكناً في حيزه أو متحركاً عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتاً. والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصصاً، وكذا ينبغي أن يقال: ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تحس بالأجرام.
أما قولهم خلق الأماكن في ذاته فثبت انفصاله عنها؛ قلنا: ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شيء وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط) دفع شبه التشبيه، لابن الجوزي ص٤١.

(الاستواء)[1]

(١) ورد الاستواء في القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤].
وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].
وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].
كما ورد في [طه: ٥]، و[الإسراء: ٤٢] وغيرها.
وللعلماء أقوال في الاستواء: فقد (ذهب الإمام مالك بن أنس وفقهاء المدينة والأصمعي إلى أن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وروي أن مالكاً سئل عن الاستواء، فقال: الاستواء (معلوم) وكيفيته مجهولة، والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب.
ومنهم من قال: إن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواءً، كما أحدث في بنيان قوم فعلاً سماه إتياناً ولم يكن ذلك نزولاً ولا حركة وهذا قول أبـي الحسن الأشعري.
ومنهم من قال: إن استواءه على العرش كونه فوق العرش بلا مماسة. وهذا قول القلانسي وعبد الله بن سعيد ذكره في كتاب الصفات.
وذهب البغدادي إلى أن تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك، كأنه أراد (أن الملك ما استوى لأحد غيره) انظر أصول الدين للبغدادي ص١١٢ ــ ١١٣.
على أن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، مجمعون على إمرار هذه الآيات وغيرها من المتشابهات كما جاءت. فقد روى الإمام البيهقي عن الوليد بن مسلم قال: سئل الإمام الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه =

= الأحاديث (فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية). الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام البيهقي ص٧٢.

ويقول الإمام أبو حنيفة في كتابه الوصية: (نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش: فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى؟ فهو منزه عن ذلك علواً كبيراً. . .) شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ص٦١.

واتبع الماتريدي ــ رحمه الله تعالى ــ السلف الصالح في هذا الأمر حيث قال في كتابه «التوحيد»: (وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى عن نفسه شبه خلقه، وقد بينا أنه في فعله وصفته متعال عن الأشباه، فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل، وثبت ذلك في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتمال غيره مما ذكرنا واحتماله أيضاً ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق، ونؤمن بما أراد الله به وكذلك في كل أمر ثبت التنزيل فيه نحو: الرؤية وغير ذلك، يجب نفي الشبه عنه والإيمان بما أراده من غير تحقيق على شيء دون شيء والله الموفق) كتاب التوحيد، لأبـي منصور الماتريدي ص٧٤.

إلا أن المتأخرين من العلماء عندما رأوا الكثير من الفرق الزائغة عن الحق والتي كان تأثرها بأديان أهل الكتاب والزنادقة والمجسمة خطراً على عقيدة التوحيد، انبروا للتصدي لهذه الموجات الإلحادية، يقول النسفي في كتاب التمهيد:

الله تعالى لا يوصف بكونه متمكناً في مكان لاستحالة قدم غير الله تعالى، فالتمكن في الأزل والمماسة للعرش منفيان عنه تعالى (فلو تمكن بعدما خلق المكان لتغير عما كان عليه ولحدثت فيه مماسة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدث وهو مستحيل على الله تعالى). . .

وفي رده على الخصوم يقول: (وتعلق الخصوم بالدلائل السمعية من نحو قوله=

[١٦] **فصل**: استواؤه على العرش حق وصدق. ونحن نؤمن ونعتقد على الوجه الذي أراده ولا نشتغل بكيفيته[١].

• • •

= تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٤﴾ [الزخرف: ١١] باطل لأنهم إن تمسكوا بظاهر كل آية منها لزم المحال، فإنه تعالى يكون على العرش حسب كون الملك على السرير، ويكون في السماء حسب كون المظروف في الظرف، ويكون في الأرض مع كونه في السماء محال، والمحال مندفع، فالشرع لا يَرِدُ به، فعلم أن الآيات كلها معدولة عن ظواهرها لئلا يتمكن التناقض والتدافع في كلام الحكيم الخبير، فيجب صرف كل آية إلى ما يليق بالربوبية ولا يناقض حجة الله تعالى ــ العقل ولا يعارض قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين النسفي ص١٦٠ ــ ١٦١.

(١) قول المصنف (ولا نشتغل بكيفيته): لتعذر الإحاطة بها، وقد سبقت الإشارة إلى (قول الإمام مالك رضي الله عنه، فقد قال عبد الله بن وهب: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف، والكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة فأخرجوه فخرج) انظر: الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب، لأبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي، ت: د. محمد منير الإمام ص٥٣.

(النـــزول)

[١٧] فصــل: نـزولـه إلـى السمـاء الـدنيـا[1]، تفضـل ورحمـة لا نقلـة

(١) أحاديث النزول كثيرة منها ما رواه الشيخان وأصحاب السنن واللفظ للبخاري بسنده عن (أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، صحيح الإمام البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ص١٤، وفي صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء ١٦٨ ــ ١٧٠.

ومنها: (إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه، من ذا الذي يسترزقني فأرزقه حتى ينفجر الفجر)، أخرجه الإمام أحمد ٣، ٢٥٨، ٥٢١.

(وقد سئل أبو حنيفة ــ رحمه الله عما ورد في شأن النزول فقال: ينزل بلا كيف. . . فيجب أن يجرى على ظاهره، ويفوض أمر علمه إلى قائله، وينزه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثات)، شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص٦٠.

لكن عندما استفحل أمر أهل الغواية والزندقة ممن أراد النيل من عقائد الأمة، حين بدأت رؤوس المجسمة بالظهور، متمسكة بظواهر النصوص، وظهر خطرها على العوام، انبرى أئمة أهل السنّة للذب عن دين الله تعالى خاصة بعد أن فسروا النزول =

= بالانتقال والحركة وما إلى ذلك من صفات الحوادث. وقد فند الإمام ابن الجوزي مزاعم المجسمة فقال: (وقد روى حديث النزول عشرون صحابياً وقد سبق القول إنه يستحيل على الله عزّ وجلّ الحركة والنقلة والتغيير، فيبقى الناس رجلين:
أحدهما: المتأول له بمعنى: أنه يقرب رحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وإن كان معدنه بالأرض. وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] ومن لم يعرف كيف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجمل؟ والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك: (روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروا هذه الأحاديث بلا كيف، قلت وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالٍ، وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعاً... فإن قال العاميّ: فما الذي أراد بالنزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه، فإن قال: كيف حدث بما لا أفهمه؟ قلنا: قد علمت أن النازل إليك قريب منك، فاقتنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام... قال ابن حامد: هو على العرش بذاته، مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فينزل وينتقل. قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.
وقال القاضي: النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال.
قلت: وهذا مغالطة، ومنهم من قال: يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق. وقد حكوا عن أحمد ذلك. وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة) الباز الأشهب، لأبـي الفرج ابن الجوزي ص٩٦ ــ ٩٧.
وقد رد جمهور العلماء على من أثبت النزول بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك لأنه يفضي إلى التحيز، والله تعالى منزه عن ذلك. ونقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ٣/ ٣٠ ــ ٣١.

وحركة[1] لما ذكرنا.

[١٨] **فصل**: وله يدان هما صفته[2] يخلق بهما ما يشاء وهما يد خلق

---

(١) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقوله: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].
وقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٣].
وقوله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].
إلى غير ذلك من الآيات، وقد شرح الملا علي القاري قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: (ولكن يده صفته بلا كيف) أي بلا معرفة كيفيته كعجزنا عن معرفة كنه بَقِيَّة صفاته فضلاً عن معرفة كنه ذاته. قال فخر الإسلام: إثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة في هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول فصاروا معطلة. وكذا ذكر شمس الأئمة السرخسي، ثم قال: وأهل السنّة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص أي بالآيات القطعية اليقينية، وتوقفوا فيما هو متشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك، كما وصف الله به الراسخين في العلم: ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧]، شرح الفقه الأكبر ص٥٩ ــ ٦٠.

(٢) هذه العبارة فيها إثبات للنص دون الخروج عنه ونفي ما قد يتوهم من التشبيه والتجسيم، فالله تبارك وتعالى منزه عن مشابهة خلقه، وإمعاناً في تنزيهه تعالى فقد ذهب الأشاعرة إلى تأويل اليد وحملها على سبيل المجاز. وذلك لما رأوا الناس يخوضون في الكيفيات، وهذا ما أدى بهم إلى صرف اللفظ عن الظاهر منعاً من الوقوع في التشبيه.
يقول الفخر الرازي: (اعلم أن لفظ اليد حقيقة في هذه الجارحة المخصوصة، إلا أنه يستعمل على سبيل المجاز في أمور غيرها، فالأول: أنه يستعمل لفظ اليد في القدرة. يقال يد السلطان فوق يد الرعية. أي قدرته غالبة، والسبب في حسن هذا =

وقدرة لا يد بطش وجارحة لما ذكرنا.

[١٩] **فصل:** وله وجه(١) هو صفته(٢) وهو وجه إكرام وإقبال لا وجه مقابلة ومواجهة، لما ذكرنا.

[٢٠] **فصل:** صانع العالم لا يشبه العالم(٣) ....

= المجاز: أن كمال حال هذا العضو إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة، ولما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد على قدرتهم... وقد يقال: هذه البلدة في يد الأمير، وإن كان الأمير مقطوع اليد، ويقال فلان في يده الأمر والنهي والحل والعقد. والمراد ما ذكرناه.

والثاني: أن اليد قد يراد بها النعمة، وإنما حسن هذا المجاز، لأن آلة إعطاء النعمة اليد، فإطلاق اسم اليد على النعمة إطلاق لاسم السبب على المسبب.

الثالث: أنه قد يذكر لفظ اليد صلة للكلام على سبيل التأكيد، كقولهم يداك أوكتا، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]. أما قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. فالمعنى: أن قدرة الله تعالى غالبة على قدرة الخلق..) أساس التقديس ص١٦٢ ــ ١٦٣، للرازي.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].
وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].
وقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢].
وقال أيضاً: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

(٢) وجّه السلف هذه الآيات الوجهة المطلوبة فأثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه. يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف)، شرح الفقه الأكبر ص٥٨.

(٣) لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. أي: =

ولا شيئاً[1] منه، لأنه لو كان يشبهه للزم[2] حدوثه أو قدم العالم وكلاهما منتفيان[3].

[٢١] **فصل**: صانع العالم لا يقال له: ما هو؟.. لأن «ما» سؤال عن الجنس[4] ولا جنس ....

= ليس كذاته ولا كصفاته صفات، وهو تعالى لا يشبهه شيء من المخلوقين وصفاتهم وأحوالهم. (فهو منزه عن المماثلة لأن مثل الشيء ما يكون مشاركاً له في جميع أوصافه الجائزة والواجبة والمستحيلة، ويعبر عنه بأن المثلين: كل شيئين ينوب أحدهما مناب صاحبه). انظر التبصير في الدين للإسفراييني ص١٥٧ ــ ١٥٨، وشرح جوهرة التوحيد، للشيخ التتان ص١٥٤، وكذا شرح العقيدة الطحاوية ص٥٩، لابن أبي العز.

(١) في الأصل: شياء.

(٢) في الأصل: لزم.

(٣) يقول النسفي في هذا الصدد: (إن الله تعالى لو كان مثلاً للعالم أو لشيء من أجزائه من جميع الوجوه لكان هو ــ جلّ جلاله ــ محدثاً من جميع الوجوه، أو كان ما يماثله قديماً من جميع الوجوه، ولو كان يماثله بوجه من الوجوه لكان هو تعالى محدثاً من ذلك الوجه أو ما يماثله قديماً من ذلك الوجه، والقول بحدوث القديم من جميع الوجوه أو بوجه من الوجوه أو قدم المحدث من جميع الوجوه، أو بوجه محال، وبالوقوف على هذه الجملة يعرف بطلان قول المشبهة)، التمهيد لقواعد التوحيد، لأبي المعين النسفي ص١٥٠.

(٤) الجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما، من حيث هو كذلك. وقد يقال في تعريفه: هو مفهوم كلي يشتمل على كل الماهية المشتركة بين متعدد مختلف في الحقيقة، مثاله كلمة: حيوان، فهو كلي يتناول الإنسان والفرس والغزال وسائر الحيوانات، وهذه الأفراد مختلفة في حقيقتها، إذ الماهية الكاملة للإنسان مخالفة للماهية الكاملة للفرس أو للغزال، وإن اشتركت هذه الكليات في =

له[1].

[٢٢] **فصل:** صانع العالم لا يقال كيف هو؟، لأن الكيف يستخبر به عن الهيئة والحال، ولا هيئة/ له ولا حال[2]. [٣/ أ]

[٢٣] **فصل:** صانع العالم لا يقال له: أين هو؟ لأن «أين» يستخبر به عن المكان ولا مكان له[3].

[٢٤] **فصل:** صانع العالم لا يقال له: كم هو[4]؟ لأن «الكم» يستخبر به

= جزء الماهية وهي الحيوانية...) انظر التعريفات للجرجاني ص٤٢، وضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص٣٥، والمرشد السليم في المنطق الحديث والقديم: د.عوض الله جاد حجازي ص٦٦.

(١) قد تقدم أن الجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين في الحقيقة في جواب ما هو، ومعنى ما هو؟ من أي جنس هو؟. (والمجانسة توجب التمايز عن المجانسات بفصول مقومة، فيلزم التركيب)، «وهو باطل». شرح العقائد النسفية ص٣٣.

(٢) هذه الأمور من صفات الأجسام، والله تعالى لا يوصف بها ولا بالكيفية كما تقدم (ومنها اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وكذلك مما هو من الصفات «المحدثة» وتوابع المزاج والتركيب). المصدر السابق ص٣٣.

(٣) لأن التمكن عبارة عن نفوذ بُعدٍ في بعد آخر متحقق أو متوهم، يسمونه المكان، والبعد عبارة عن امتداد قائم بالجسم أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء ــ والله تعالى ــ منزه عن الامتداد والمقدار لاستلزامه التجزّء. شرح العقائد النسفية ص٣٣. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/ ٢٢١: (فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر، فلا يتوجه على حكمه لِمَ ولا كيف؛ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث).

(٤) الكم: (هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته، وهو إما متصل أو منفصل لأن أجزاءه إما أن تشترك في حدود يكون كل منها نهاية جزء وبداية آخر، وهو المتصل أو لا وهو المنفصل. والمتصل إما قار الذات مجتمع الأجزاء في الوجود، وهو =

عن العدد، ولا عدد له[1].

[٢٥] **فصل**: صانع العالم لا يقال له متى كان؟[2]، لأن متى سؤال عن

= المقدار المنقسم إلى: الخط والسطح والثخن وهو الجسم التعليمي. أو غير قار الذات وهو الزمان. والمنفصل هو العدد فقط كالعشرين والثلاثين). التعريفات للجرجاني ص٩٩.

(١) الله تعالى منزه عن التعدد. فمن أسمائه تعالى «الواحد» و«الأحد» ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]. ومعنى أنه تعالى (واحد) أي لا من طريق العدد، بل من طريق أنه لا شريك له ــ كما مر ــ في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله (والوحدانية) صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع:

الأول: الوحدة في الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته بمعنى عدم قبولها الانقسام.

الثاني: الوحدة في الصفات، والمراد بها انتفاء النظير له تعالى في كل صفة من صفاته. فيمتنع أن يكون له تعالى علوم وقدرات متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات، بل علمه تعالى واحد ومعلوماته كثيرة، وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة، وعلى هذا جميع صفاته.

والثالث: الوحدة في الأفعال، والمراد بها انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموماً، وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلاً). شرح العقيدة الطحاوية للميداني. ت: الحافظ والمالح، ص٤٧ ــ ٤٨.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه أن النبيّ ﷺ قال: (كان الله ولم يكن شيء وكان عرشه على الماء) باب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٨/ ١٧٥.

وأخرجه أحمد عن عمران بن حصين بلفظ: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء)، مسند الإمام أحمد ٢/ ٣١٣، ٥٠١، ٤/ ٤٣١.

وأخرج البيهقي عن عمران بن حصين قال: أتيت رسول الله ﷺ فجاءه نفر من أهل =

الزمان ولا يجري عليه زمان[1].

[٢٦] **فصل:** صانع العالم لا يقال له لِمَ فعل؟[2]، لأن «لِمَ» يقال لمن فعل

= اليمن، فقالوا: يا رسول الله أتيناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذ الأمر كيف كان؟ قال: كان الله عزّ وجلّ ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي ص٥٥.

(١) قول المصنف: (ولا يجري عليه زمان) لأن الزمان عندنا عبارة عن متجدد آخر. وعند الفلاسفة عن مقدار الحركة، والله منزه عن ذلك)، شرح العقائد النسفية ص٣٣ ـ ٣٤.

(٢) قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه.

(وهم يسئلون) أي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ١٧٥/٣.

وقد سميت هذه المسألة عند العلماء: بنفي العلة الغائية عن أفعاله تعالى وأخذت حيزاً كبيراً من أبحاثهم. ويقصد بالعلة الغائية، (الغرض الذي يقوم في ذهن الإنسان ويتجه إلى تحقيقه، فيدفعه إلى تنفيذ الوسائل والأسباب التي توصله إلى ذلك الغرض، فالغرض الذي قام في ذهنه هو العلة لتحقيق تلك الوسائل والأسباب ومن أجل أن هذا الغرض هو في الحقيقة غاية يستقدمها الإنسان عند مباشرة الأسباب، يطلق عليه العلماء اسم العلة الغائية ومن شأن هذه العلة أنها في الوجود الذهني تكون سابقة على القيام بالوسائل والأسباب. وأما في الوجود الخارجي والحقيقي فتأتي متأخرة) كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص١٤٢ ـ =

لعلة أو حاجة أو ضرورة وهو منزّه عن ذلك.

[٢٧] **فصل:** صانع العالم لا نزول[١] له، ولا صعود له، ولا التفات، ولا تفكّر، ولا حاجة، ولا شهوة، ولا نوم، ولا سنة، ولا آفة، ولا علل، ولا سرور، ولا حزن، ولا رضى، ولا غضب، بمعنى التغير في ذاته[٢] ولا رجاء

= ١٤٩، وانظر كذلك: القضاء والقدر في الإسلام د.فاروق دسوقي ١/١٤٨ ـ ١٩٧.

(١) سبقت الإشارة إلى مسألة النزول في الفصل [١٧]، وقد بين الإمام البيهقي رحمه الله تعالى ما كان عليه سلف الأمة بعد أن روى حديث النزول وقد عقب عليه قائلاً: (وهذا الحديث صحيح رواه جماعة من الصحابة عن النبيّ ﷺ وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنّة من أمثال هذا، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله إلا على قسمين:

ـ منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله، ووكل علمه إلى الله، ونفى الكيفية والتشبيه عنه.

ـ ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه استعماله في اللغة، ولا يناقض التوحيد.

ثم تحدث عن بقية المسائل الأخرى فقال:

(وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان. وأن مجيئه ليس بحركة وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هي أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٥]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

(٢) من مقتضيات تنزيه الباري عزّ وجلّ أنه لا يجري عليه تعالى: (ما يجري على =

ولا طمع ولا حسد[1] ولا أكل[2]، ولا شرب، ولا قيام، ولا قعود، ولا

= المخلوقات من التغير والانتقال والزمان ــ كما مرّ ــ فلا تتصف ذاته وصفاته بقبول التغير والانتقال لاستلزامه الحدوث) إشارات المرام ص١١٠.

ونفي المؤلف الغضب والرضى بمعنى عدم التغير في ذاته كما أشار، وإلا فإنه قد ورد في الشرع ما يثبت صفة الغضب والرضى والحب والبغض والولاء والعداء، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣].

وفي صفة الحب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وفي الولاء: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨].

وفي البغض جاء في قوله ﷺ: ثلاثة يبغضهم الله تعالى (شيخ زان، وبائع حلاف، وفقير مختال) رواه الترمذي في سننه ١٠: ٤٠ باب من أبواب صفة الجنة.

وما ذكر من هذه الصفات من الغضب والسخط والحب وغيرها إنما هي إرادته لإثابة من رضي عنه وأحبه ووالاه ونفعه، وأن غضبه وسخطه وبغضه إنما هو إرادة عقاب من غضب عليه وسخط وعادى، وإيلامه وضرره.

أما الدليل على ذلك: (أن الغضب والرضا ونحو ذلك لا يخلو، إما أن يكون المراد به إرادة النفع والضر فقط، أو يكون المراد به نفور الطبع وتغيره عند الغضب، ورقته وميله وسكونه عند الرضا، فلما لم يجز أن يكون الباري ــ جلت قدرته ــ ذا طبع يتغير وينفر ولا ذا طبع يسكن ويرق، وأن هذه من صفات المخلوقين وهو يتعالى عن جميع ذلك: ثبت أن المراد ببغضه ورضاه ورحمته وسخطه إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان في معلومه أنه ينفعه، وضرر من سبق علمه وخبره أنه يضره، لا غير ذلك) الإنصاف، للباقلاني ص٦٢، ٦٣.

(١) في الأصل: حسا.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ــ ٥٨].

مشي، ولا عَدْوَ، ولا هرولة[1]، ولا استناد، ولا اتكاء، ولا اضطجاع، ولا ضحك[2]، ولا تبسم، ولا قهقهة، ولا قرب ولا بعد، بمعنى المسافة

---

(١) أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) صحيح البخاري: ٨/ ١٧١ باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه، وكتاب التوحيد ١٥/ ٥، وفي صحيح مسلم في باب التوبة ١.

قال الإمام البيهقي رحمه الله: (فتقرب العبد بالإحسان وتقرب الحق بالامتنان، يريد أنه الذي أدناه، وتقرب العبد إليه بالتوبة والإنابة، وتقرب الباري إليه بالرحمة والمغفرة وتقرب العبد إليه بالسؤال، وتقربه إليه بالنوال، وتقرب العبد إليه بالسر وتقربه إليه بالبشر. . . إن قرب الباري من خلقه بقربهم إليه بالخروج فيما أوجبه عليهم، هكذا القول في الهرولة، إنما يخبر عن سرعة القبول، وحقيقة الإقبال ودرجة الوصول، والوصف الذي يرجع إليه المخلوق مصروف على ما هو به لائق، وبكونه متحقق، والوصف الذي يرجع إلى الله سبحانه وتعالى يصرفه لسان التوحيد، وبيان التجريد إلى نعوته المتعالية، وأسمائه الحسنى)، الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٧٨.

(٢) الضحك: ما يوصف به البشر من الضحك وغيره لا يجوز في حقه تعالى، وما ورد من أخبار عن المولى عزّ وجلّ إنما هو تعبير عن رضا الرب بفعل العبد وطاعته.

وقد روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها =

والمكان، ولا وزير له ولا شريك[1]، ولا مدبر له، ولا نظير له، ولا معين،

= ونومت صبيانها. ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين. فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليلة «أو عجب» من فعالكما. فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩]. صحيح الإمام البخاري باب يؤثرون على أنفسهم (١٠، ٤/٢٢٦).

كما أخرج الشيخان عن أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد) صحيح البخاري باب الجهاد ٢٨، وصحيح مسلم باب الإمارة ١٢٨ ـ ١٢٩، والنسائي في الجهاد ٣٨.

قال ابن جماعة: (اعلم أن الضحك الذي يعتري البشر عند حصول فرح القلب أو استفزاز طرب، أو ظهور أمر مستور جهل سببه محال على الله تعالى. ومعناه فينا يرجع إلى ظهور أمر مستور، وكأن السرور بالشيء أظهر بضحكه، هذا بدايته، وأما نهايته فترتب أثره عليه، ولما كان الضحك محالاً على الله تعالى، فلا بد من تأويل الحديث.

قال البخاري: ضحكه: رحمته. وقال الخطابـي: الضحك هنا: الإخبار عن رضاه وحسن مجازاته لعبده، وهو مجاز سائغ، فالمراد به هنا نهاية الضحك فينا، وهو ترتيب أجره عليه، ومعناه إظهار كرامته لعبده وفضله عليه، وإقباله، لأن المسرور بالشيء المقبل عليه يبش عند رؤيته ويضحك فهو عبارة بالسبب عن المسبب، وهو مجاز سائغ مستعمل. . .).

إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، ت: الشيخ وهبـي غاوجي ص١٦٨.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣].

ولا قرين، ولا حاجب، ولا بواب، ولا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا أمام ولا وراء، ولا خاطر ولا رأي، ولا حظ فيما أعطى، ولا ندم[١] فيما وهب. لأن هذه الأشياء من أمارات الحدوث، وهو قديم منزّه عن جميع الحادثات/ وعن تغيره من حال إلى حال تبارك الله رب العالمين. [٣/ ب]

[٢٨] **فصل**: ولا والد له ولا ولد[٢]، ولا صاحبة[٣]، . . . .

---

(١) وقول المصنف: (ولا ندم) من أسباب كفر اليهود ـ لعنهم الله ـ أنهم شبهوا الله تعالى بصفات خلقه ووصفوه بما لا يليق بذاته تبارك وتعالى.
فمن ذلك ما جاء في توراتهم المزعومة على لسان موسى عليه السلام مخاطباً ربه تعالى عن قولهم (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، اذكر إسماعيل وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت بهم بنفسك، وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه) سفر الخروج ٣٢: ١٢ ـ ١٤.
وانظر كذلك: في سفر صموئيل الأول ١٥: ١٠ ـ ١١، والثاني ٢٤: ١٦، والمزامير ١٠٦: ٤٤ ـ ٤٥. وأرميا ٢٦: ١٣، وعاموس ٧: ٣ ـ ٨، ويونان ٣: ١٠.

وهذا كله تشبيه لله تعالى بصفات المخلوقين، والله تعالى منزّه عن التشبيه.

(٢) قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

(٣) قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].
وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣]. فالله تعالى قد نزّه نفسه عن اتخاذ الصاحبة والولد لأنه تعالى مستغن عن كل ما سواه، وقد نسب إليه أهل الكتاب زوراً اتخاذ الولد ـ تعالى عما يقولون ـ حيث فضح الحق ادعاءهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ =

لأن الوالد سبب لحدوث الولد، وهو قديم لا يحدث له. والولد جزء الوالد، وهو أحديّ الذات، صمديّ الصفات[1]، . . . .

= قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

والسبب في قول أهل الكتاب على الله ما قالوه يعود إلى تسرب العقائد الوثنية القديمة التي كان يعتنقها المصريون القدماء والهندوس واليونان وغيرهم الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى ونسبوا إليه الصاحبة والولد.

ولهذا فقد كذّبهم الله تعالى بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٥].

ونسبة الولد لله تعالى كفر صريح، وتبنّي النصارى بعد اليهود لهذه العقيدة أوقعهم بعقيدة ألوهية المسيح، ولهذا جاء وعيد الباري عزّ وجلّ بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

وهذا ما تبرّأ منه المسيح عليه السلام وقد جاء ذلك صريحاً في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

(١) الصمد هو (الذي يصمد إليه في الحاجات أي يقصد لكونه قادراً على قضائها. . . وقيل في معنى الصمد: الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزول) فتح القدير للشوكاني ٥: ٥١٦. وقال ابن كثير: (الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عزّ وجلّ لا يموت ولا يورث) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٥.

لا يقبل التجزء[١] والانقسام، والزوجة لمن جارت عليه الشهوة وهو سبحانه وتعالى منزّه عنها.

[٢٩] **فصل:** صانع العالم لا علة لصنعه، ولا في أفعاله[٢] ولا زيغ في أحكامه[٣] ولا ميل في قضائه[٤] وقدره، لأنه يوصف بصفة العدل[٥]

---

(١) في الأصل: التجزي.

(٢) راجع فصل[٢٦].

(٣) قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

والحكيم: من أسمائه تعالى، قال الإمام البيهقي: قال الحُلَيْمي في معنى الحكيم: (الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حيّ عالم قدير. قال أبو سليمان: الحكيم هو المحكم لخلق الأشياء) الأسماء والصفات للبيهقي ص٣٨.

(٤) القضاء (معناه عند الماتريدية: إيجاد الله تعالى الأشياء مع الإحكام والإتقان وهو من صفات الأفعال.

والقدر عندهم: هو تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وما إلى ذلك. أي: علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات، فيرجع عندهم إلى صفة العلم وهي من صفات الذات) ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد. د. محمد رشاد دهمش ص٨٦.

(٥) العدل: قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥].

والفضل[١].

[٣٠] **فصل:** صانع العالم لا يقدره فهم ولا يصوره وهم[٢]، ولا يدركه بصر[٣]، ولا عقل ولا يبلغه علم[٤]، ولا يقوم بذاته حادث ولا يدخل في

---

(١) الفضل: من أسمائه تعالى ذو الفضل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة: ٤].

قال البيهقي: (قال الحليمي: وهو المنعم بما لا يلزمه) الأسماء والصفات ص١١٠.

(٢) لأن أفهام البشر عاجزة عن الإحاطة التامة بكل شيء، وأن المعلوم عندهم (أحد أمور أربعة: إما الوجود، وإما كيفيات الوجود، وهي الأزلية والأبدية والوجوب).

وأما السلوب وهي أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، وأما الإضافات وهي العالمية والقادرية، والذات المخصوصة الموصوفة بهذه الصفات المفهومات مغايرة لها لا محالة، وليس عندنا من تلك الذات المخصوصة إلا أنها ذات لا يدرى ما هي إلا أنها موصوفة بهذه الصفات وهذا يدل على أن حقيقته المخصوصة غير معلومة) أصول الدين للرازي ص٧٩.

(وعليه ينبغي أن يعلم أن كل ما تصور في الوهم من: طول وعرض وعمق وألوان وهيئات مختلفة ينبغي أن تعتقد أن صانع العالم بخلافه وأنه قادر على خلق مثله. وإلى هذا أشار الصديق رضي الله عنه بقوله: العجز عن درك الإدراك إدراك، ومعناه إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق صحّ عندك أنه خلاف المخلوقات) التبصير في الدين للإسفراييني ص١٦٠.

(٣) قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(٤) مهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة إلا أنه قاصر عن إدراك العلم الشامل والمحيط، والباري تعالى خلق الإنسان وعلمه البيان إلا أنه لم يعطه من العلم إلا القليل. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

صفاته تغير[1]، وكل ما خطر ببالك كذلك، فهو قادر على أن يخلق ذلك وأمثاله فتبارك رب العالمين.

• • •

(١) الباري تعالى منزّه عن النقص، فذاته القديمة تنفي الحدوث وكذلك صفاته ليست حادثة (لأنها لو كانت حادثة للزم قيام الحوادث بذاته تعالى، ويلزم كونه تعالى عارياً عنها في الأزل، ويلزم افتقارها إلى مخصص، وهو ينافي وجوب الغنى المطلق وهو انتفاء الحاجات مطلقاً، وهو لا يكون إلا لله تعالى.
والدليل على نفي الحدوث والتغير في ذاته تعالى أن نقول: (إن تلك الصفة الحادثة في ذاته تعالى هي إما صفات الكمال أو لا. فإن كان من صفات الكمال فإنه يقال: قبل حدوث تلك الصفة، كانت الذات خالية عن صفة الكمال، وخلو ذات الله عن صفة الكمال محال. وإن لم تكن تلك الصفة من صفات الكمال امتنع قيامها بذات الباري، لأن العقلاء أجمعوا على أن جميع صفات الحق لا بد أن تكون من صفات الكمال. فثبت: أن قيام الحوادث بذات الباري محال)، شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص٨٩، والمسائل الخمسون في أصول الدين، للرازي ص٣٤ ـ ٤٤، ولمع الأدلة للجويني ص١٠٩.

(صفة الحياة)

[٣١] **فصل**: صانع العالم حي(١) بحياة أزلية(٢) لا بروح بداخله ولا نفس يخرج منه. لأن وجود هذا العالم البديع صنعته لن يتصور إلا من حي قادر.

(١) قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٢) الحيّ: من أسمائه تعالى: وقد ورد ذكره في قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

(وصفة الحياة صفة أزلية توجب صحة العلم والقدرة ولذا قامت عليهما، ويذهب بعض العلماء إلى أنها صفة أزلية قائمة من غير روح ولا غذاء ولا تنفس، وهي حياة لا تقوم على مشابهة الخلق، والله تعالى أعلم بحقيقتها وسائر صفاته سبحانه، والذي علينا أن نؤمن بهذه الصفة له سبحانه مع تنزيهه جلّ جلاله.

أما الدليل على وجودها: فإنه لولا امتياز الحي عن الجماد بصفة لما أمكن اتصاف الحي بجواز العلم والقدرة. وأيضاً فإن الفعل يستحيل وجوده من الموت الذي لا حياة له، والله تعالى فاعل الأشياء ومنشئها، فوجب أن يكون حياً.

والحياة غير الروح لأنها صفة. والأرواح أجسام، فأما الأرواح المنسوبة إليه (سبحانه) في القرآن فهي من خلقه كعيسى وجبرائيل والملك الذي يقوم في القيامة صفاً واحداً):

انظر: إشارات المرام، للبياضي ص١١٨؛ والإنصاف، للباقلاني ص٥١؛ وأصول الدين، للبغدادي ص١٠٥؛ وأركان الإيمان للشيخ وهبي غاوجي ص٥٣ ـ ٥٤.

(العلم)

[٣٢] **فصل:** صانع العالم عالم[١] بجميع المعلومات كليتها وجزئياتها[٢]

---

(١) قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٤﴾ [التوبة: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ [السجدة: ٦].

قال الإمام البيهقي: (قال الحليمي رحمه الله في معنى العالم: (إله مدرك الأشياء على ما هي به، وإنما وجب أن يوصف القديم عزّ اسمه بالعالم لأنه قد ثبت أن ما عداه من الموجودات فعل له، وأنه لا يمكن أن يكون فعل إلا باختيار وإرادة، والفعل على هذا الوجه لا يظهر إلا من عالم كما لا يظهر إلا من حي) الأسماء والصفات ص٣٧.

أما الدليل على صفة العلم فهو ما تقدم من الآيات القرآنية، وعليه فإن العلم صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ينكشف بها المعلومات لتعلقها بها.

وكذلك: إن أفعاله تعالى محكمة متقنة وكل من كانت أفعاله محكمة، متقنة، فهو عالم فيلزم أن يكون صانع العالم عالماً...) انظر: إشارات المرام ص١١٨؛ «والمسائل الخمسون» في أصول الدين، للرازي ص٤٦.

(٢) سبق القول إن العلم صفة شاملة كاشفة لا يعتريها النقص، إذ النقص عليه تعالى محال. وقد أنكرت الفلاسفة كونه تعالى عالماً بالجزئيات وللعلماء في إبطال قولهم وجوه: =

لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات العلا[1] ولا في الأرضين السفلى[2]/ لأنه لو لم يكن عالماً لكان موصوفاً بضده وهو الجهل وذلك [٤/ أ] نقص ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ .

● ● ●

= (الأول: إنه تعالى هو الفاعل ولا بد أن خالق الحيوانات هو فاعلها، وعليه يجب أن يكون عالماً بها، وذلك يدل على كونه عالماً بالجزئيات.
الثاني: إن العلم صفة كمال والجهل صفة نقص، ويجب تنزيه الله تعالى عن النقائص.
الثالث: إن كون الماهية موصوفة بالقيود التي صارت لأجلها شخصاً معيناً واقعاً في وقت معين من معلومات ذات الله تعالى إما بواسطة أو بغير واسطة، وعندهم أن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فوجب من علمه تعالى بذاته علمه بهذه الجزئيات. . . وذاته مخصوصة موجبة للعلم بكل شيء بشرط وقوع ذلك الشيء فعند حصول كل واحد من الأحوال تقتضي ذاته المخصوصة العلم بتلك الأحوال).
أصول الدين للرازي ص٥٧؛ وانظر أفكار المتقدمين للرازي ص٢٥٥، وكذا: تهافت الفلاسفة، للإمام الغزالي ص٢٠٧ ـ ٢١١، رقم المسألة (٢١).

(١) في الأصل: العلي.
(٢) في الأصل: السفلي.

(القــدرة)

[٣٣] **فصــل:** صانع العالم قادر[1] بقدرة كاملة، لأن حصول الأفعال المحكمة المتقنة لن يتصور وجودها إلا من قادر قدير.

• • •

(١) قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠].
وقال كذلك: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ [الأحقاف: ٣٣].
ونقل البيهقي عن الحليمي في معنى القادر: (إنه لا يعجزه شيء بل يستتب له ما يريد على ما يريد لأن أفعاله قد ظهرت، ولا يظهر الفعل اختياراً إلا من قادر غير عاجز، كما لا يظهر إلا من حي عالم) الأسماء والصفات ص٣٧ ــ ٣٨.
والقدرة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها.
وهو تعالى يقدر على جميع الممكنات كما دل الإطلاق. والتقييد بالممكنات (لأن) القدرة صفة مؤثرة وفق الإرادة، وهي لا تتعلق بغير الممكنات (لا كقدرتنا) ولأن قدرته تعالى شاملة للممكنات وغير متناهية، بمعنى أنها لا تصير بحيث يمتنع تعلقها، لأن ذلك عجز ونقص) راجع: شرح الفقه الأكبر ص٢٦، وإشارات المرام ص١٣٠؛ وانظر في الرد على المخالفين في إثبات القدرة، المسائل الخمسون للرازي ص٥٢؛ وانظر شرح الجوهرة ص٦٤.

(الإرادة)

[٣٤] **فصل**: صانع العالم مريد[1] الكائنات مدبر الحادثات، لأنه لو لم يكن مريداً، ولا تحدث الأشياء إلا بإرادته ومشيئته، لكان مضطراً وهو أمارة العجز ـ تعالى الله عن ذلك ـ .

---

(١) الإرادة لغة: مطلق القصد، وعرفاً صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، وهي الممكنات المتقابلات الستة المنظومة في قول بعضهم:

الممكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير روى الثقات

وحيث إن الله تعالى خالق لجميع الحوادث فيترتب على ذلك أنه مريد لما خلق، قاصد إلى إبداع ما اخترع، وهو تعالى مريد لجميع الحوادث على الحقيقة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥]. وترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت، ومكان دون مكان، وزمان دون زمان، يدل على أنه تعالى مريد. انظر: شرح جوهرة التوحيد ص٦٥؛ ولمع الأدلة، للجويني ص١١٠؛ وكذا الإنصاف ص٥٤ ـ ٥٥.

(السمع والبصر)

[٣٥] **فصل:** صانع العالم سميع[١] بصير[٢]، لأن السمع والبصر هما

---

(١) السميع: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

أما معنى السميع: (المدْرِك للأصوات التي يدركها المخلوقون بآذانهم، من غير أن يكون له آذان، وذلك راجع إلى أن الأصوات لا تخفى عليه، وإن كان غير موصوف بالحس المركب في الأذن، لا كالأصم من الناس، لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلاً لإدراك الأصوات). نقله البيهقي عن الحليمي ونقل عن الخطابي قوله: السميع بمعنى السامع إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل بناء المبالغة وهو يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفت، والنطق والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى الإجابة والقبول كقول النبيّ ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع) أي من دعاء لا يستجاب.

وقال البغدادي: إن سمعه تعالى صفة واحدة أزلية وهو يسمع به جميع المسموعات من الأصوات والكلام، انظر: الأسماء والصفات ص٦٢، وأصول الدين للبغدادي ص٩٦.

(٢) البصير: قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦]، ويقول: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣].

=

صفتا مدح وكمال، فنفيهما نقص، تعالى الله عن ذلك.

• • •

= (والبصير هو المبصر، فعيل بمعنى مفعل، كقولهم أليم بمعنى مؤلم، ومن معانيه: المدرك للأشخاص والألوان التي يدركها المخلوقون بأبصارهم من غير أن يكون له جارحة العين، وذلك راجع إلى أن ما ذكرناه لا يخفى عليه، وإن كان غير موصوف بالحس المركب في العين، لا كالأعمى الذي لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلاً لإدراك شخص ولا لون.

والبصير هو المبصر، ويقال العالم بخفيات الأمور، ورؤيته لا كرؤيتنا الأشياء لأنا نحتاج إلى الآلة لسبب عجزنا وقصورنا، وذات الباري تعالى منزهة عن القصور يتحصل له بلا آلة ما لا يحصل لنا إلا بها، فرؤيته تعالى خلاف رؤيتنا، وفيه إشارة إلى أن رؤيته تعالى تتعلق بالموجودات دون المعدومات... واستدلوا عليه بأن الرؤية إنما تتعلق بما يصح أن يكون مرئياً، والمعدوم في حال عدمه ليس كذلك فلا تتعلق به إلا بعد وجوده ولا يلزم نقص فيها لعدم التعلق بالمعدومات.

ومن الأدلة العقلية على وجوب السمع والبصر لله تعالى: هو أنا نعلم قطعاً (أن السميع والبصير والمتكلم أكمل ممن لا يكون سميعاً بصيراً متكلماً. فلو لم يكن الباري سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الصفات للزم أن يكون العبد أكمل من الرب تعالى وهو محال. فثبت أنه سميع بصير متكلم من غير صماخ ولا حدقة ولا لسان ــ تعالى ربنا عن الجوارح والأجزاء).

راجع: شرح أسماء الله الحسنى، للرازي ص٢٤٧، والأسماء والصفات للبيهقي ص٦٣، وإشارات المرام ص١٣٦ ــ ١٣٧، والمسائل الخمسون للرازي ص٤٨، والإنصاف للباقلاني ص٥٥ ــ ٥٦، ولمع الأدلة للجويني ص٩٧.

(الكــلام)

[٣٦] **فصل:** صانع العالم متكلم(١)، لأنه لو لم يكن متكلماً لكان موصوفاً

---

(١) وتعريف صفة الكلام: أنها صفة أزلية قائمة بذاته تعالى (منافية للسكوت والآفة، وهو بها آمر، ناه، مخبر إلى غير ذلك، يدل عليها بالعبارة والكتاب والإشارة) التعليقات على شارح الجوهرة «إتحاف المريد»، الشيخ محمد يوسف موسى ص٦١ ــ ٦٢.
والدليل عليه من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].
وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].
وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].

وما يقال في علم الله تعالى يقال في كلامه، (فكلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى مثل العلم فهو عام التعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، ولا تتناقص متعلقاته وهو واحد لأنه لم يرد السمع بالتعدد، بل انعقد الإجماع على نفي كلام ثان قديم، لكن تعلق العلم على سبيل الكشف. أما تعلق الكلام فعلى سبيل الدلالة، وهو تعلق تنجيزي قديم بالنظر لغير الأمر والنهي فهو يدل أزلاً على أن ذاته وصفاته تعالى واجبة، وعلى أن الشريك والولد مستحيلان، وأن رزق زيد وعلمه جائزان، وأن من =

بضده وهو الخرس ــ تعالى الله عن ذلك ــ .

[٣٧] **فصل**: وله كلام، لأن الأمر والنهي لا يتم إلا بالكلام، وكلامه قديم لأنه لو لم يكن قديماً لكان الله تعالى في الأزل متغيراً عن الكلام ــ تعالى الله عن ذلك ــ وكلامه[1] غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقاً لكان الله تعالى محلاً للحوادث ــ تعالى الله عن ذلك ــ . وكلامه قائم بذاته لا يقبل الانفصال عنه والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق لأنه كلامه، وكلامه

= أطاع فله الجنة، ويسمى هذا وعداً، ومن عصى فله النار، وسمي هذا وعيداً، أما بالنسبة للأمر والنهي فإن اشترط وجود المأمور والمنهي فتعلق تنجيزي، وإلا فقديم) شرح جوهرة التوحيد، للتتان والكيلاني ص١٣٩ .

(١) لعل أبرز القضايا التي كانت مثار اختلاف العلماء مسألة «كلام الله تعالى». يقول الحافظ ابن حجر: (وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله. وقال بعضهم: القرآن يطلق ويراد به المقروء، وهو الصفة القديمة ويطلق ويراد به القراءة، وهي الألفاظ الدالة على ذلك، وبسبب ذلك وقع الاختلاف) فتح الباري ١٣/ ٤٩٢ ــ ٤٩٤ .

والمجمع عليه بين أهل السنّة هو ما يراد بالكلام النفسي وهو المعنى القائم بذاته تعالى، (وهو ليس بحرف مطلقاً، قديماً كان أو حادثاً، ولا بصوت وهو الذي عليه المحققون من الأشعرية والماتريدية وهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به، وهو مكتوب في المصاحف، ومقروء بالألسنة، ومحفوظ في الصدور، أي مكتوب على ما يدل عليه، ومقروء على ما يدل عليه، ومحفوظ على ما يدل عليه، وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ لأنها أمور حادثة.

والكلام بالمعنى المذكور لا ترتيب فيه، ولا تقدم ولا تأخر كالكلام القائم بالقوة الحافظة منا، ولله المثل الأعلى، بل الترتيب إنما هو من التلفظ به في الشاهد) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، الحسن بن عبد المحسن المشهور بأبـي عذبة، ت: د. عبد الرحمن عميرة ص٨١ .

[٤/ ب]صفته، وصفاته قائمة/ بذاته لا تقبل[(١)] الانفصال عنه والافتراق، وهذه العبارات دالة على كلامه القديم[(٢)] الأزلي القائم بذاته، وتسمى العبارات كلام الله تعالى وهي محدثة مخلوقة[(٣)]، وهي الحروف والأصوات وتتابع الحروف والكلمات، وهي قائمة بذاته بمحلها. وغير مخلوقة يعبر بما هو المخلوق. دل عليه قول الشاعر:

إن الكــلام لفــي الفــؤاد وإنمــا جعل اللسان على الفؤاد دليلا[(٤)]

[٣٨] **فصـل:** وكلامه ليس بحرف، لأن الحروف[(٥)] في أنفسها متضادة،

---

(١) في الأصل: لا يقبل.

(٢) قال الملا علي القاري: (إذا كلم «الله» أحداً من خلقه فإنما يكلمه بكلامه القديم الذي كتب بالحروف والكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ بأمره لا بكلام حادث، فإنما الحادث دلائل كلامه وهي الحروف والكلمات، لا حقيقة كلامه القائم بالذات، فإن كلامه لا يشبه كلام الخلق كسائر الصفات.
وقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، أي بأن يوحي إليه في الرؤيا كالأنبياء عليهم السلام أو بالإلهام كالأولياء رحمهم الله، ومنه الخبر بأن الله لينطق على لسان عمر رضي الله عنه، أو من وراء حجاب بأن يسمع كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام، أو يرسل رسولاً أي ملكاً كجبرائيل عليه السلام فيوحي أي الرسول إلى المرسل إليه، بمعنى أنه يكلمه ويبلغه بإذنه ـ أي بأمر ربه ـ ما يشاء أي الله من إعلامه) شرح الفقه الأكبر ص٢٩.

(٣) من حيث إن القارىء ينطق بصوت وحرف وهما راجعان إليه.

(٤) من شعر للأخطل. وراجع التعليقات على شارح الجوهرة ص٦٣ ـ ٦٤، هامش ٥.

(٥) تنزيه أهل السنّة كلام الله تعالى عن الحروف والأصوات المراد به (الكلام النفسي القائم بالذات المقدسة فهو من الصفات الموجودة القديمة، وأما الحروف فإن كانت حركات أدوات، كاللسان والشفتين فهي أعراض، وإن كانت كتابة فهي أجسام وقيام =

ولا توجد دفعة واحدة إلا متعاقبة[1]، وذلك يوجب حدوثه، وكلامه قديم.

[٣٩] **فصل**: وكلامه ليس بصوت، لأن الأصوات يدرك تجانسها بالجنس، فلو أن كلامه صوتاً لكان جنساً من هذه الأصوات[2] وذلك محال لاقتضائه الحدث وكلامه ليس بعربي[3] ولا بسرياني ولا بعبراني، لأن هذه اللغات أوصاف للفظ المركب من الحروف، وكلامه ليس بحرف.

[٤٠] **فصل**: وقراءة كلام الله بالعربية تسمى قرآناً، وبالسريانية تسمى إنجيلاً، وبالعبرانية تسمى توراة، ويكون الكل كلام الله عزّ وجلّ على معنى أنه يتلى بلغتهم[4].

= الأجسام والأعراض بذات الله تعالى محال...) فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤.

(١) أي: مرتبة بحسب التسلسل اللفظي للكلمة.

(٢) والجنس: من خواص المحدثات، فلا يجوز أن يتصف الباري به.

(٣) أي لا يوصف بأنه عربي إلا إذا تعلق بالقرآن، ولا يوصف كلامه بالعبري إلا إذا تعلق بالتوراة، وهكذا....

(٤) قال في إتحاف المريد: (فالمسمى واحد وإن اختلفت العبارات، هذا معنى كلامه سبحانه وتعالى). وعقب الشارح على ذلك قائلاً:

(ذكر هذه العبارة تنصيصاً وتأكيداً لمعنى كلامه تعالى الذي يثبته أهل السنّة مخالفين في ذلك لجميع الفرق، وقد رد رحمه الله على المعتزلة الذين أثبتوا له كلاماً لفظياً حادثاً لكنه ليس صفة له تعالى حقيقة بل محله أمر مباين له تعالى كالشجرة).

كذلك رد على الذين أثبتوا له كلاماً لفظياً صفة له حقيقة فقال:

(ولما منعوا قيام الحوادث بذاته تعالى (على خلاف بينهم) زعموا أن ذلك الكلام اللفظي قديم وهو مخالف للبداهة كما ترى.

والكرّامية أثبتوا له كلاماً لفظياً هو صفة له حقيقة، وهو حادث ولا مانع من قيام =

[٥/ أ][٤١] **فصل**: القرآن كلام الله تعالى/ غير مخلوق، وهو مكتوب في المصاحف مقروء بالألسنة محفوظ في القلوب، غير حالّ فيها، كما تقول: إن الله تعالى مذكور بالألسن، معلوم في القلوب، معبود في المساجد، غير حال فيها.

فالمراد بقولنا إن القرآن كلام الله تعالى المقروء دون القراءة التي هي فعل العبد، لأن القرآن في اللغة وإن كان عبارة عن القراءة حقيقة لكان جاز أن يذكر ويراد به المقروء.

وعلى هذا قال مشايخنا: لا يجوز أن يقال القرآن غير مخلوق[١]، ولكن يجب أن يقال: القرآن الذي هو كلام الله غير مخلوق[٢].

[٤٢] **فصل**: والكلام[٣] واحد كالعلم، والقدرة، والإرادة، لأن الواحد

= الحوادث بذاته تعالى «عندهم».

فجميع الفرق تثبت له كلاماً كما يثبت له أهل السنّة، فلا بد من بيان مذهبهم حتى يتميز عن بقية المذاهب، بل يتحدد تبعاً لذلك محل النزاع بين الفرق جميعاً).

التعليقات على شارح الجوهرة ص٦٣، هامش٣.

(١) على اعتبار ما سبقت الإشارة إليه من كونه متلواً ومقروءاً من قبل العبد.

(٢) على اعتبار أنه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى. فيكون الكلام النفسي شاملاً واللفظ والمعنى جميعاً قائماً بذاته تعالى، وهو مكتوب في المصاحف، ومقروء بالألسن، محفوظ في الصدور، وهو غير الكتابة والقراءة.

(٣) قال صاحب شرح المواقف: (كلامه تعالى واحد عندنا: (أن) القدرة لو تعددت لاستندت إلى الذات: إما بالاختيار أو بالإيجاب.

أما الأول: فلأن القديم لا يستند إلى المختار.

وأما الثاني: فلأن نسبة الموجب إلى جميع الأعداد سواء، فيلزم قدر لا تتناهى، شرح المواقف ص١٥٨ ــ ١٥٩.

لا بد له من إثبات، والعدد يتعارض القول فيه بلا عدد أو من عدد.

[٤٣] **فصل**: وتسمية كلامه قرآناً وتوراة وإنجيلاً وزبوراً لا يقتضي كثرة الكلام، كما أن الله عزّ وجلّ يسمى بالعربية الله وبالعجمية (خُداي) وبالتركية (تكري)[١] وهو واحد فكذا كلامه.

[٤٤] **فصل**: وكلامه أمر ونهي وخبر ونداء[٢] ووعد ووعيد، وقصص وأمثال وموعظة، وهو كلام واحد.

[٤٥] **فصل**: وكلامه لا يجوز أن يُسمع[٣] على المعنى الذي ذكرناه.

[٤٦] /**فصل**: إذا ثبت أن الباري ـ سبحانه وتعالى ـ حي عالم قادر مريد [٥/ ب] سميع بصير متكلم، ثبت أن له حياة وعلماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً وكلاماً[٤]، إذ القول بعالم لا علم له، وقادر لا قدرة له كالقول بمتحرك لا حركة له، وساكن لا سكون له، وكالقول[٥] بأن الله لا علم له بنا، ولا قدرة له علينا، وهذا شنيع محال.

---

(١) والمستعمل اليوم باللغة التركية «تنغري».

(٢) وهذا التقسيم جاء بحسب التعلق (فذلك الكلام الواحد باعتبار تعلقه بشيء على وجه مخصوص بكونه خبراً، وباعتبار تعلقه بشيء آخر أو على وجه آخر، ويكون أمراً وكذا الحال في البواقي) شرح المواقف، للجرجاني، الموقف الخامس ص١٥٩.

(٣) هذه من جملة المسائل المختلف فيها بين الأشاعرة والماتريدية، انظر الروضة البهية ص٧٠ ـ ٧٣.

(٤) أي: إذا ثبت لله تعالى هذه الأسماء، فلا بد أن يثبت له تلك الصفات، وهو رد على المعتزلة الذين أثبتوا لله ـ تعالى ـ الأسماء ونفوا الصفات.

(٥) في الأصل: فالقول.

[٤٧] **فصل**: وعلمه ليس بكسبي[1]، ولا ضروري[2]، لأن ذلك من أمارات الحدوث.

• • •

(١) لأن الكسبي لا يكون إلا حادثاً، (وعلمه تعالى قديم لا يتجدد. والكسبي عرفاً هو العلم الحاصل عن النظر والاستدلال. أو ما تعلقت به القدرة الحادثة، وعليه فلا بد من تجدده وحدوثه فيستلزم قيامه به تعالى قيام الحوادث بذاته وسبق جهله ــ تعالى ــ بما اكتسب علمه وهو محال) التعليقات ص٦٠ ــ ٦١.

(٢) لأن الضروري يحصل بدون اختيار وهو محال على الله تعالى، إذ أنه ــ تعالى ــ فاعل بالاختيار وليس موجباً بالذات.

(الأسـماء)

[٤٨] **فصل**: وأسماء الله تعالى صفاته[١] وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ولله

(١) ما أثبته المصنف هنا لا يعبر عن رأي الماتريدية في الأسماء والصفات. يقول الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله: (فهو «الله» مسمّى بما سمّى به نفسه، موصوف بما وصف به نفسه) كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي ت: د.فتح الله خليف ص٤٤.

ويقول أيضاً: (وأما الأصل عندنا أن لله أسماء ذاتية يسمى بها، نحو قوله: الرحمن، وصفات ذاتية بها يوصف نحو العلم بالشيء والقدرة عليه) المصدر السابق ص٩٣.

ويستند الماتريدية إلى قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في تفسيره لسورة الإخلاص: (لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل، ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية).

ويعقب القاري على قول الإمام قائلاً: (لم يزل أي فيما مضى ولا يزال أي فيما بقي بأسمائه أي منعوتاً بأسمائه وصفاته الذاتية كالعلم والحياة والكلام وهي قديمة بالاتفاق والفعلية أي موصوفاً بصفاته الفعلية كالخلق والرزق ونحوهما...) شرح الفقه الأكبر، ص٢٥.

ولا شك أن هناك فرقاً بين الأسماء والصفات، وقد فرق العلماء بينهما، فقال الإمام الرازي: (فكل لفظ دل على معنى كان سمة على ذلك المعنى وعلامة عليه، (و) إذا ثبت فنقول: كل لفظ يفيد معنى فإنه يجب أن يكون اسماً على هذا التفسير... ويقول=

الأسماء الحسنى﴾ أي صفاته العلا[1].

[٤٩] **فصل:** وأسماء الله عزّ وجلّ تؤخذ توقيفاً[2] ولا يجوز أخذها قياساً.

= أيضاً: ثم إن المتكلمين خصصوا لفظ الاسم ببعض هذا القسم، وذلك لأن كل ماهية فإما أن تعتبر من حيث هي هي، أو من حيث إنها موصوفة بصفة معينة. فالأول هو الاسم والثاني هو الصفة، فالسماء والأرض والرجل والجدار أسماء. والخالق والرازق والطويل والقصير صفات، وهذا هو الفرق بين الاسم والصفة على قول المتكلمين). شرح أسماء الله الحسنى، للفخر الرازي، ت: طه عبد الرؤوف سعد ص٣٠ ـ ٣١.

(١) في الأصل: العلي، والآية من سورة الأعراف: ١٨٠.

(٢) أي إن أسماء الله تعالى (قديمة توقيفية، بمعنى أنها تعليمية يتوقف جواز إطلاقها عليه سبحانه على تعليم الشارع وإذنه، فلا يصح إطلاق اسم ما على الله خلاف ما ورد به صحيح النص وصريحه من القرآن والسنّة. فما أذن الشارع في إطلاقه واستعماله مما لم يكن إطلاقه موهماً نقصاً بل كان مشعراً بالمدح جاز اتفاقاً وما لا فعلى المنع والتحريم، إذ لا يجوز أن يسمى النبيّ ﷺ بما ليس من أسمائه، بل لو سمي واحد من أفراد الناس بما لم يسمه به أبواه لما ارتضاه، فالباري تعالى أولى، وليس الكلام في أسمائه الأعلام الموضوعة في اللغات، وإنما الخلاف في الأسماء المأخوذة من الصفات والأفعال...

واختلف علماء أهل السنّة والمعتزلة حول إطلاق الأسماء والصفات.

فذهب المعتزلة إلى جواز إثبات ما كان متصفاً بمعناه ولم يوهم نقصاً وإن لم يرد توقيف من الشارع، بل يكفي عندهم أن نحكم العقل واللغة، فإذا تبين أن الاسم لا يوهم نقصاً في حقه تعالى وأن العقل يجيز ذلك، وأن اللغة لا تمنع هذا الإطلاق، وأطلقنا الاسم على الله تعالى، فإذا دل العقل على أن الله عالم فواجب أن نسميه عالماً، وإن لم يسم نفسه ذلك. أما إذا كان المعنى يوهم نقصاً فلا يجوز إطلاق هذا الاسم عليه تعالى، ومال أبو بكر الباقلاني إلى هذا الرأي بينما توقف فيه إمام =

[٥٠] **فصل**: وصفاته ليست بأعراض، لأن العرض لا يدوم وجوده. وصفاته باقية ببقائه، فبقاؤه بقاء له وللصفات.

[٥١] **فصل**: وصفاته مختصة بذاته، لا يقال هي هو، ولا بعضه ولا أغيار له، لأن حقيقة الغيرين[١] يجوز وجود أحدهما مع عدم مصاحبة، أو يجوز مفارقة أحدهما لصاحبه، وذلك في صفاته محال.

[٥٢] **فصل**: لا يقال لصفاته إنها مع الله عزّ وجلّ أو فيه، بل هي مختصة قائمة به، أو نقول هي معنى وراء الذات قائمة به/ . [٦/ أ]

= الحرمين. أما الإمام الغزالي فإنه جوز إطلاق الصفة ومنع إطلاق الاسم، أما ابن القيم فرأى أن ما يطلق عليه سبحانه في باب الأسماء والصفات توقيفية وما يطلق عليه سبحانه في باب الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء الموجود والقائم بنفسه. . .).

راجع: أركان الإيمان، الشيخ وهبي غاوجي، ص٦١، والتعليقات على شارح الجوهرة ص٧٧ ــ ٧٨، وضوء جديد على جوهرة التوحيد ص١٢ ــ ١٣.

(١) كلام المصنف عن الصفات والذات وعدم المغايرة، دقيق جداً وذلك لأن الأمة اتفقت على منع إطلاق الغيرية في الصفات والذات.

قال الإمام الجويني: (قد امتنع مثبتو الصفات من تسميتها مغايرة للذات. . . والذي ارتضاه المتأخرون من أئمتنا في حقيقة الغيرين، أنهما الموجودان اللذان يجوز مفارقة أحدهما الثاني بزمان أو مكان، أو وجود، أو عدم. وفي رده على من قال: فهل تقطعون بالمنع من إطلاق الغيرية في صفات الباري تعالى وذاته؟ أجاب: هذا مما نمنع منه قطعاً، لاتفاق الأمة على منع إطلاقه. وكما لا توصف الصفات بأنها أغيار للذات فلا يقال إنها هي ولا نتحاشى من إطلاق القول بأن الصفات موجودات، والعلم مع الذات موجودان، وكذلك القول في جميع الصفات) الإرشاد للجويني ص١٣٧، ١٣٨.

[٥٣] **فصل:** لا يقال لصفاته إنها تخالفه أو توافقه، لأنه يؤدي إلى المغايرة، والتغاير بين الله وصفاته محال.

[٥٤] **فصل:** صانع العالم لا يوصف بالأحوال، لأن الأحوال[١] ما تزول في الصفات، وذلك في صفاته محال.

[٥٥] **فصل:** إرادة الله ـ عزّ وجلّ ـ نافذة في جميع مراداته، لا يجوز أن يريد كون الشيء فلا يكون، أو يريد أن لا يكون شيئاً[٢] فيكون، لأن من جرى في سلطانه ما لا يريد كان ساهياً، أو مغلوباً وذلك نقص، تعالى الله عن ذلك.

[٥٦] **فصل:** معلوماته، ومقدوراته ومراداته لا نهاية لها، لأنه لو كان لها نهاية لكان لعلمه نهاية، ولا نهاية لعلمه.

---

(١) ذهب إلى هذا الرأي فريق من المعتزلة ومنهم أبو هاشم الجبائي، الذي يرى أن الله تعالى: (عالم لذاته قادر هو لذاته، ومعنى قوله لذاته أي لا يقتضي كونه عالماً صفة هي حال علم أو حال كونه عالماً. . . ويقول: (هو عالم لذاته بمعنى أو ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتياً موجوداً وإنما يعلم الصفة على الذات لا بانفرادها فأثبت أحوالاً هي صفات لا معلومة ولا مجهولة أي هي على حالها لا تعرف كذلك بل مع الذات. . .) الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٨ ـ ١١٩. على هامش الفصل لابن حزم.
(وكلام أبـي هاشم لا معنى له، لأنه لا وسط بين النفي والإثبات، ولا بين الوجود والعدم. فالشيء إما أن يكون معدوماً، وإما أن يكون موجوداً. فإطلاق لفظ الثبوت على الحال وهي غير موجودة أمر مناقض للبديهة، ولا معنى للاشتغال برده لخروجه عن حد المعقول). العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، تحليل ونقد، د: محمود أحمد خفاجي ١/٣٤٨.

(٢) في الأصل: شياء.

[٥٧] **فصل**: صانع العالم قائم بذاته، مستغن عما سواه، لأنه لو لم يكن قائماً بذاته لكان مفتقراً إلى غيره ـ تعالى الله عن ذلك ـ .

[٥٨] **فصل**: صانع العالم عظيم القدر والصفة، لا يقال إنه عظيم الذات لأن العظمة بالذات لا تكون إلا بكثرة الأجزاء وهو واحد لا يتجزأ[١]، ولا ينقسم[٢].

• • •

(١) في الأصل: يتجزىء.

(٢) في الأصل: يتقسم.

(صفـة التكويـن)[1]

[٥٩] **فـصـل:** اعلم بأن التكوين والتخليق والإيجاد والإحداث والإبداع والاختـراع، عبـارة تـرجـع إلـى معنـى واحـد، وهـو إيجـاد الشـيء مـن

---

(١) انفرد الماتريدية عن غيرهم بإثبات هذه الصفة، وهي ترجع عندهم إلى صفات الفعل وتغاير الصفات السبع المشهورة: العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وقد ذكر الإمام أبو منصور الماتريدي أن التكوين صفة أزلية لله تعالى ليست حادثة بل إنها عبارة بأوجز كلام، وليس في لغة العرب أبلغ من هذه الصفة، وأما مفهوم التكوين فهو عبارة عن مبدأ إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، ليكون كل شيء كائناً به وقت وجوده على حسب علمه وإرادته، بغير آلة ولا مادة ولا زمان ومكان). أبو منصور الماتريدي، بلقاسم الغالي ص١٧٣.
ومرد هذه الصفة التي أثبتها الماتريدية إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].
وكما أن التكون إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، فهو أيضاً من صفات الفعل كما سبقت الإشارة إليه، وهي الصفات التي يتوقف ظهورها على وجود الخلق.
والصفات الفعلية هي كل ما يجوز أن يتصف به الباري تعالى وبضده كالرأفة والرحمة، والسخط والغضب، أو صفات الذات فهي كل ما وصف به الباري تعالى ولا يجوز أن يوصف بضده كالقدرة والعلم والعزة والعظمة. انظر: شرح الفقه الأكبر ص٣٣ ـ ٣٤.

العدم[1]. /إلى الوجود. [٦/ ب]

[٦٠] **فصل:** اعلم أن التكوين غير المكون[2]، لأن القول بإيجاد التكوين والمكون كالقول بأن الضرب عين المضروب، والقتل عين المقتول، وهذا محال.

[٦١] **فصل:** والتكوين صفة الباري ـ سبحانه وتعالى ـ، لأن حدوث العالم بتكوينه[3]، فكان هو المحدث والمكون، فيكون التكوين صفته.

[٦٢] **فصل:** والتكوين قائم بذاته، لأنه لو لم يكن قائماً بذاته لكان قائماً (بمحل آخر)[4] فيكون المكون الخالق ما قام به التكوين وهذا محال.

---

(١) في الأصل: عن العدم.

(٢) (لأن التكوين صفة أزلية، وهي غير المكون، لأن المكون حادث، وعليه فلا يستلزم قدم التكوين قدم المكون. والتكوين غير المكون كذلك، لأنه لو كان التكوين عين المكون لم يكن من الله تعالى شيء يوجب كونه خالقاً للعالم، سوى أن ذات الباري أقدم من العالم، وكون ذاته أقدم من غيره لا يوجب كونه خالقاً، كذلك فإن القول بأن التكوين عين المكون يؤدي إلى قدم العالم، لأنه لما كان بتكوين هو نفسه، فكان حصوله على هذا التدريج بنفسه لا بغيره وما لم يفتقر في حصوله إلى غيره كان قديماً). إمام أهل السنّة والجماعة أبو منصور الماتريدي، ت: د. عبد الفتاح المغربي ص١٨٥.

وتجدر الإشارة إلى أن صفة التكوين كانت مثار خلاف بين الأشاعرة والماتريدية... للمزيد يراجع المصدر السابق، إضافة إلى إشارات المرام ص٢١٤ ـ ٢١٥، وكذا الروضة البهية، لأبي عذبة ص٦٥.

(٣) في الأصل: لأن حدوث العالم وتكونه فكان هو. والمثبت مما ورد في هامش المخطوط. وهو الأصح.

(٤) الأصح أن يقال: (بغيره).

[٦٣] **فصل:** والتكوين صفة أزلية غير حادثة، والباري ـ عزّ وجلّ ـ لم يزل مكوناً خالقاً، لأنه لو كان حادثاً لكان ذات الباري محلاً للحوادث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فثبت أن التكوين غير المكون وأنه صفة أزلية بذات الباري كالحياة والعلم والقدرة.

[٦٤] **فصل:** وصفات الباري كلها أزلية قائمة بذاته (لا يقال إن هذه من[١] صفات الفعل)[٢] لأن فيه جواز الحدوث على

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) هذا ما ذهب إليه الأشاعرة إذ يتمثل موقفهم في: أن صفات الأفعال حادثة. وبناء على ذلك فالتكوين هو القدرة التنجيزية الحادثة، كالإحياء والإماتة، والتخليق والترزيق وهو ليس صفة الله تعالى بل هو أمر اعتباري يحصل في العقل من نسبة المؤثر إلى الأثر، ومن قبيل الإضافات التي لا تحقق لها في الخارج. وهذا المعنى لا يحتاج في الخالق سبحانه وتعالى إلى صفة مغايرة للقدرة التي من خصائصها الأساسية إيجاد الأشياء، وإخراجها من العدم إلى الوجود، بمعنى أن ما علم الله وجوده يوجد منه بقدرته، والإرادة تخصص زمان الوقوع.

وقد دافع الماتريدية عن رأيهم دفاعاً قوياً، واستدلوا على قدم التكوين بما يلي:

(أ) أن الله مكون الأشياء إجماعاً. فمن الواجب إذن أن يكون له صفة يدل عليها لفظ مكون وهي التكوين ليكون كل شيء في وقته. . .

(ب) أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق. فلو لم يكن في الأزل خالقاً، للزم الكذب، وهو محال في حق الله سبحانه وتعالى.

(ج) لو كان التكوين حادثاً، فإما بتكوين آخر فيلزم التسلسل، وهو محال، ويلزم منه استحالة تكون العالم مع أنه مشاهد محسوس، وأما بدونه فيستغني الحادث عن المحدث والإحداث وفيه تعطيل الصانع. =

ذاته[1] (وليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق)[2] ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري. له معنى الربوبية، ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق. كما أنه/[3] محيي الموتى بعدما أحيا، استحق هذا الاسم قبل[٧/ أ] إحيائهم، كذلك اسم الخالق قبل إنشائهم ذلك بأنه على كل شيء قدير[4].

• • •

= (د) أن العادة الإلهية جارية في إيجاد الأشياء بكلمة أزلية هي (كن) ولا نعني بالتكوين إلا هذا.

(هـ) أن الباري تعالى تمدح في كلامه، بأنه الخالق البارىء المصور، فلو لم يثبت التخليق والتصوير في الأزل بل فيما لا يزال، لكان تمدحاً من الله بما ليس فيه وهو محال.

(و) وأن التكوين في الأزل صفة كمال، فلو خلا منها في الأزل لكان نقصاً وهو عليه محال). أبو منصور الماتريدي ص١٧٤ ــ ١٧٥.

(١) أي لا يجوز إقرار هذه الصفة وإلحاقها بصفات الأفعال على ما ذهب إليه الرأي المخالف حتى لا تلحق بذاته تعالى صفة الحدوث.

(٢) الأصح أن يقال: (ولم يفد اسم الخالق منذ أن خلق الخلق).

(٣) لا يستقيم المعنى إلا إذا قال: (كما أنه ليس محيي الموتى).

(٤) الأصح أن يقال: (إن صفات الله وأسمائه كلها أزلية لا بداية لها. ولم تتجدد له تعالى صفة من صفاته ولا اسم من أسمائه، لأنه واجب الوجود لذاته. وهو الكامل في ذاته وصفاته.

فلو حدث له صفة أو زال عنه نعت لكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوال ذلك النعت ناقصاً عن مقام الكمال في حقه سبحانه ــ وهو من المحال ــ فصفاته أزلية أبدية). انظر: شرح الفقه الأكبر ص٣٧.

(رؤية الله تعالى)

[٦٥] **فصل**: صانع العالم مرئي[١] في الدار الآخرة بالعيون الناظرة، من

---

(١) رؤيته تعالى في الآخرة من المسائل التي اختلف فيهما العلماء، ويعود ذلك إلى فهم النصوص، فهناك من أثبتها فقال: بأن المؤمنين يرونه تعالى في الدار الآخرة، وهناك من نفاها كالمعتزلة.

وقد استدل أهل السنّة والجماعة على ما ذهبوا إليه بأدلة نقلية وأخرى عقلية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ــ ٢٣].

أي مشرقة إلى ربها ناظرة يعني رائية، والنظر مع ذكر الوجه معناه نظر العينين اللتين في الوجه. ومنه قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر لوجهه الكريم.

ومن الحديث الشريف ما رواه الشيخان عن أبـي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك). صحيح الإمام البخاري، كتاب التوحيد ٢٤، ٨/١٧٩ وصحيح الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق ١٦/٢٩٦٨ شرح النووي.

وعن جرير بن عبد الله البجلي، قال: كنا جلوساً مع النبـيّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلة فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته). صحيح =

. . . .

= البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، ٢٤، ٨/ ١٧٩.

ومن الأدلة العقلية: أن الرب ـ سبحانه وتعالى ـ موجود وكل موجود مرئي، وبيان ذلك أنا نرى الجواهر والألوان مشاهدة، فإن رُئي الجوهر لكونه جوهراً لزم ألاّ يُرى الجوهر وإن رُئيا لوجودهما: لزم أن يرى كل موجود. والباري سبحانه وتعالى: موجود، فصح أن يُرى.

فإن قالوا: إنما يرى ما يرى لحدوثه، والرب تعالى أزلي قديم الذات فلا يرى.

فالجواب من وجهين:

(أ) أحدهما: أن نقول: كلامكم هذا نقض عليكم لجواز رؤية الطعوم والروائح والعلوم ونحوها، فإنها حوادث وعندكم يستحيل أن تُرى.

(ب) ثم الجواب الحقيقي أن نقول: ثم الحدوث ينبىء عن موجود مسبوق بعدم. والعدم السابق لا يصحح الرؤية فانحصر التصحيح في الوجود... فإن عارضونا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. قلنا: فمن أصحابنا من قال: الرب تعالى يُرى ولا يدرك، فإن الإدراك ينبىء عن الإحاطة ودرك الغاية، والرب تعالى مقدس عن الغاية والنهاية.

فإن عارضونا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام (لن تراني) فزعموا أن لن تقتضي النفي على التأبيد... قلنا: هذه الآية من أوضح الأدلة على جواز الرؤية فإنها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جوازها ضالاً أو كافراً... وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله من اصطفاه الله تعالى لرسالته، واجتباه لنبوّته، وخصصه بتكريمه، وشرفه بتكليمه، وجعله أفضل أهل زمانه، وأيّده ببرهانه.

ويجوز على الأنبياء الريب في أمر يتعلق بعلم الغيب. أما ما يتعلق بوصف الباري عزّ وجل فلا يجوز الريب عليهم، فيجب حمل الآية على أن ما اعتقد موسى عليه السلام جوازه جائز، لكن ظن أن ما اعتقد جوازه يجيبه إليه ناجزاً، فيرجع النفي في الجواب إلى السؤال... وما سأل موسى عليه السلام ربه رؤية في الدنيا لينصرف النفي إليها والجواب نزل على قضية الخطاب) راجع: الاعتقاد والهداية إلى سبيل=

غير إحاطة، ولا كيفية، ولا إدراك، ولا نهاية، لأن المجوز للرؤية الوجود، فالله تعالى موجود، فثبت جواز رؤيته ضرورة.

● ● ●

= الرشاد، ص٧٤ ــ ٧٥، ولمع الأدلة للجويني ص١١٥ ــ ١١٩. وأبو منصور الماتريدي إمام أهل السنّة والجماعة ص٢٠٥، وشرح المواقف ص٨٥ وما بعدها. وأصول الدين للبغدادي ص٩٧ ــ ٩٨. ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٨٢ ــ ٢٧٨، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ١/ ٢١٠ ــ ٢٢٥.

(النبـوات)[1]

[٦٦] **فصـل**: إرسال الرسل ليس بممتنع عقلاً، لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ

---

(١) بعد أن فرغ المصنف من الحديث عن باب الإلهيات، شرع في بيان مباحث النبوات وأصلها من النبوة، وهي كل من أوحي إليه بواسطة ملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤية الصالحة. ويقال كذلك: النبـيّ كل إنسان من البشر، ذكر حر من بني آدم، سليم عن كل منفر، أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه، والرسول إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام وهو في اللغة: الذي أمر المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض، قال الفراء: كل رسول نبـي من غير عكس، ويقال فيه أيضاً: الرسول إنسان من البشر، ذكر حر من بني آدم، سليم عن كل منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه). راجع: التعريفات للجرجاني ٥٨ ـ ١٢٥، وإرشاد الأنام في عقائد الإسلام ص١٢٣.

وعليه فالعلاقة القائمة بين النبـيّ والرسول هي (العموم والخصوص المطلق) الذي يعني الاجتماع في الأخص الذي هو ما زاد قيداً وهو هنا (الرسول)، والانفراد في الأعم الذي هو ما زاد فرداً وهو هنا (النبـيّ) فيقال:

كل رسول نبـيّ وليس كل نبـيّ رسولاً) المنهج الجديد في شرح الجوهرة ص١٦٠.

وقضت حكمة الله تعالى (أن يكرم الإنسان بالعقل، ويزينه بالنظر والفكر، كي يدرك بذلك كثيراً من مصالح العيش ومطالب الحياة، ويستزيد يوماً فيوماً من المعارف وإدراك المصالح... لكنه لن يبلغ بعقله الكمال، ولن يدرك الحق وحده، فقد صبغه الله تعالى محدوداً في كل شيء، لذا لم يتركه سبحانه إلى عقله القاصر عن الكمال، والحسير عن إدراك تمام المصالح، فكانت نعمة الله تعالى أنه أنزل =

خالق الخلق ومالكهم، فمن له الخلق والأمر والملك له أن يتصرف في ملكه، ومماليكه[1] كما يشاء، فجاز أن يأمرهم وينهاهم لينتفعوا بذلك وينالوا خير الدنيا والآخرة، وهذا ما لا استحالة به أصلاً فجاز إرسالهم.

[٦٧] **فصل**: إرسال الرسل في الحكمة من الواجبات[2] لوجهين:

أحدهما: أن شكر نعمة المنعم واجب عقلاً وشرعاً، والعقل لا يهتدي لمعرفة ذلك بطريق التفصيل إلا بالسمع والسمع بإرسال الرسل فكان واجباً قضية للحكم.

الثاني: أن في بعث الرسل إثبات الحجة، وقطع الحجة للحكم، وتحقيق ما وعد الله ـ عزّ وجلّ ـ بالجنة والنار، لأنهم لو لم يبعثوا لثبت للكفار حجة/ في عدم إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[3]، فإذا كان بعثهم [٧/ ب]

= الصحف والكتب هداية للعقل، وإرشاداً للفكر، وسلامة للجسم، وموافقة للفطرة، ووقوفاً بالإنسان عند حدود الإنسانية، وإيثاراً لصبغ الحياة بما يأمر الله تعالى به من الإيمان به وطاعته.

وقد جعل الله تعالى حملة تلك الكتب أفضل الناس في أقوالهم، وأشرفهم في أهليهم، وهم رسل الله تعالى وأنبياؤه من البشر إلى البشر) راجع: أركان الإيمان، للشيخ وهبي غاوجي ص١٣٩.

(١) في الأصل: وملكه ومماليكه.

(٢) أي أنها من الضروريات، وذلك لأن الله تعالى قد أراد هذا الأمر وقدره، فمن هذا القبيل اعتبر إرسال الرسل من الواجبات وسوف يأتي توضيح المؤلف فيما بعد.

(٣) [النساء: ١٦٥].

لهذه الحكمة[1] فيكون واجباً، ونعني بالوجوب أن من قضية[2] الحكمة أن يوجد لا محالة، لا أنه يجب على الله تعالى بإيجابه أو بإيجاب غيره عليه ـ تعالى ـ عن ذلك علواً كبيراً[3].

[٦٨] **فصل**: رسالة شخص بعينه ليست واجبة، يجوز أن يكون ذلك غيره، فلا بد من دليل يدل عليه[4] . . . .

---

(١) في الأصل: هذه الحكمة.

(٢) الأولى أن يقال: مقتضى.

(٣) يقول صاحب الجوهرة:

ومنه إرسال جميع الرسل بلا وجوب بل بمحض الفضل
لكن بذا إيماننا قد وجبا فدع هوى قوم بهم قد لعبا

إذ خالف المعتزلة رأي أهل السنّة والجماعة؛ فرأوا أن إرسال الرسل من الواجبات التي تجب على الله تعالى، وحجتهم في ذلك أن إرسال الرسل لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين، لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى، فالنظام المؤدي إلى إصلاح حال النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل، وكل ما هو كذلك فهو واجب في رأيهم على الله تعالى.

ورأي المعتزلة هذا ينسجم مع رأي الفلاسفة الذين قالوا بالوجوب كذلك. أما البراهمة فقد أنكروا النبوّة ومنعوا القول ببعثة الرسل ويرون أن ذلك من المحالات.

أما رأي أهل السنّة فيعتقدون أن الله سبحانه وتعالى (لا يجب عليه شيء، ولا يصدر منه سبحانه شيء بالإيجاب، أو بالعلة، أو بالطبيعة، كما يذهب إلى ذلك أصحاب الأقوال الضالة التي يجب رفضها رفضاً تاماً، لأن هذه الأقوال الضالة تتحكم في إرادة الله، وتضع القوانين لقدرته. وهذا لا يقول به عاقل؛ فهو تعالى فاعل بالاختيار وليس موجباً بالذات، وفعله وإرادته ومشيئته لا تقييد فيها ولا تحكم خارجي) انظر: ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد ص١٠٩ ـ ١١١.

(٤) أي لا تثبت دعوى النبوّة أو الرسالة إلا بدليل، فليس من الواجب التسليم لمدعي النبوّة إلا ببرهان.

وذلك قيام للمعجزة(١)، فإذا قامت المعجزة على يده تعين أنه رسول الله(٢).

---

(١) والبراهين على صدق مدعي النبوّة قد تثبت بالمعجزة وبغيرها.
(فالمعجزة: أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوة النبوّة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله تعالى)، التعريفات للجرجاني ص١١٥، وهناك تعريفات أخرى.
والمعجزات التي جاء بها رسل الله تعالى كثيرة ومتنوعة، والتي سبقت رسالة محمد ﷺ قد انقضت وانتهت بانتهاء رسالة من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. أما معجزة محمد عليه الصلاة والسلام القرآنية فهي باقية إلى يوم الدين، فالقرآن الكريم تحدى الله به الجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، وقد تولى الله تعالى حفظه وصونه من عبث العابثين، وتحريف المحرّفين، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].
ففي القرآن الكريم آيات معجزات منها: الإخبار بالمغيبات، وأحوال الأمم السابقة مع الأنبياء عليهم السلام، وأنباء ما سيأتي من أحداث قادمة، ومنها الإعجاز العلمي والبلاغي، وما لا حصر له من المنافع والفوائد الأخلاقية والتشريعية وغيرها.
وهناك العديد من المؤلفات التي تحدثت عن الإعجاز في القرآن الكريم منها على سبيل المثال: إعجاز القرآن للباقلاني.
وكما أن المعجزة دليل وبرهان على دعوى النبوة، فكذلك أحوال النبيّ كفيلة بإظهار هذا الجانب وصدق دعواه، فالأمانة والفطانة والصدق، والتبليغ من أسمى الصفات التي يتحلى بها الأنبياء ويحملونها إلى أقوامهم.

(٢) معجزات الأنبياء عليهم السلام كثيرة منها ما أيّد الله تعالى به موسى عليه السلام، كاليد والعصا، وانفلاق البحر، ومنها معجزات عيسى عليه السلام كإحياء الموتى وإبراء المرضى وخلق الطين كهيئة الطير، وإبلاغ الناس ما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وهكذا.
أما معجزات نبينا محمد ﷺ فهي تفوق الحصر. وسيأتي كلام المؤلف عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

[٦٩] **فصل**: بعث (الله تعالى)[١] الأنبياء عليهم السلام رسلاً مبشرين ومنذرين، وبعث (محمداً ﷺ)[٢] رسولاً ونبياً، بشيراً ونذيراً[٣]. والدلالة على ذلك قيام المعجزات الظاهرة على يده، كانشقاق القمر بإشارته[٤]، ومجيء الشجرة من موضعها[٥] إليه عند إشارته إليها وعودها إلى مكانها،

---

(١) ما بين القوسين لم يثبت في الأصل.

(٢) ما بين القوسين لم يثبت في الأصل.

(٣) قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ــ ٤٦].

(٤) أخرج الإمام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر). وفي رواية الإمام مسلم «فلقتين» ــ صحيح الإمام البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم آية. فتح الباري ٦/ ٦٣١، وصحيح الإمام مسلم كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ٤٤، ٤٥، شرح مسلم ٩/ ١٥٨.

(٥) أخرج الإمام مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء. فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي بإذن الله. فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما (أي جمعهما)، فقال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا. قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد (وقال محمد بن عباد فيتبعد) فجلست أحدث نفسي. فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا. فقامت كل واحدة منهما على ساق. فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة. فقال برأسه هكذا (أشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً) ثم أقبل، فلما انتهى إليّ قال: (يا جابر هل رأيت مقامي؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فانطلق إلى الشجرتين. . .) إلى آخر =

وتسليم الحجر عليه[1] وتسبيح الحصاة[2] في يده، ونبع الماء[3] من بين أصابعه، وحنين الأسطوانة[4]، ....

= الحديث) كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل (٣٠١٣)، شرح النووي ٩/ ٣٦٤ ـ ٣٦٤. وانظر في سنن الدارمي، باب ما أكرم الله به نبيّه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ١٠.

(١) تسليم الحجر: روى الإمام الترمذي بسنده عن علي رضي الله عنه قال: (كنت أمشي مع النبـيّ ﷺ في مكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله).

سنن الترمذي، رقم الباب ٢٧، رقم الحديث ٣٧٠٥، ٥/ ٢٥٣.

(٢) تسبيح الحصى: (عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأخذ كفاً من حصى فسبح في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبها في يد أبـي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان فسبَّحن، ثم صبها في أيدينا فما سبحت).

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٩، والماوردي في إعلام النبوّة ص١٢٥ ـ ١٢٦. وقال رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات.

(٣) نبع الماء، وتسبيح الطعام:

(روى الإمام البخاري بسنده عن علقمة عن عبد الله قال: (كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً:

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء، قال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل. فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل).

ـ فتح الباري ٦/ ٥٨٧، وكذلك حديث نبع الماء في: صحيح البخاري كتاب الفضائل، باب معجزات النبـيّ ﷺ في غزوة الحديبية ٥/ ٦٢ ـ ٦٣ باب ٣٥.

(٤) حنين الأسطوانة (الجذع): =

وشكاية الناقة[1] إليه، وإخبار الشاة[2] المصلية إليه عن السم الذي كان فيها،

= أخرج الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان جذع يقوم إليه النبيّ ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع أصواتاً مثل أصوات العشار حتى نزل النبيّ ﷺ فوضع يده عليه. . .) الحديث.

فتح الباري ٢/٣٩٧، صحيح مسلم كتاب الجمعة باب خطبة الجمعة على المنبر ١/٢٠.

(١) شكاية الناقة: روى الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن يعلى بن مرة الثقفي قال: (ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ: بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه، فوقف عليه رسول الله ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاء، فقال: بِعْنِيه، فقال: لا بل أهبه قال: لا بل بِعْنيه، قال: لا بل نهب لك، وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة من غيره. قال: أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه) وفي الباب أخبار أخرى، انظر: دلائل النبوّة لأبي نعيم الأصبهاني ص٣٢٧ ــ ٣٢٨، وإعلام النبوّة للماوردي ص١٢١.

(٢) إخبار الشاة:

(روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبيّ ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيىء بها فقيل ألا نقتلها قال: لا. قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ).

ــ صحيح البخاري باب قبول الهدية من المشركين ٣/١٤١.

ــ أما حديث إخبار الشاة فقد رواه أبو داود بسنده عن ابن شهاب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال المنذري فيه: (هذا منقطع، الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله). انظر: مختصر سنن أبي داود للمنذري ٦/٣٠٨ رقم الحديث ٤٣٤٤.

وإشباعه الخلق الكثير من الطعام القليل[1]، وكذا شرب الماء الكثير من البشر[2] من الماء القليل[3]، والسحاب/ الذي كان يظله[4] [٨/ أ]

---

(١) تكثير الطعام: أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: (أن أم سليم عمدت إلى مد من شعير جشته وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها ثم بعثتني إلى النبيّ ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته قال: ومن معي. فجئت فقلت: إنه يقول ومن معي فخرج إليه أبو طلحة قال: يا رسول الله إنما هو شيء صنعته أم سليم فدخل فجيء به وقال: أدخل علي عشرة، فأدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم قال: أدخل علي عشرة، فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال: أدخل علي عشرة حتى عد أربعين، ثم أكل النبيّ ﷺ ثم قام، فجعلت انظر هل نقص منها شيء). صحيح البخاري، كتاب الأطعمة باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة، فتح الباري ٩/ ٥٧٤، وفي صحيح مسلم، بلفظ آخر، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، رقم الحديث (١٤٢/ ٢٠٤٠) شرح النووي ٧/ ٢٣٢.

(٢) تكثير الماء: أخرج البخاري بسند عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال:
(أتى النبيّ ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة). صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة، فتح الباري ٦/ ٥٨٠، وصحيح الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيّ ﷺ. بلفظ قريب منه، رقم الحديث ٦، شرح النووي ٨/ ٤٤.

(٣) في الأصل: من ماء القليل.

(٤) تظليل السحاب: روى أصحاب السير من قصة بحيرا الراهب الطويلة، وما كان من أحوال النبيّ ﷺ غداة خروجه إلى الشام مع عمه أبي طالب.
قال ابن هشام: (فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً... ذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون أنه =

حال صغره، وما كان من خاتم[1] النبوة بين كتفيه، وأنه كان أطيب الناس رائحة[2] من المسك. وإخباره[3] عن الغيوب في

= رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته وفي الركب حيث أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت (مالت) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها).

انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص٤٧ ــ ٤٨.

وفي رواية أبي نعيم (ثم نظر تلك الغمامة قد أظلت الشجرة فاخضرت أغصان الشجرة على النبيّ ﷺ حتى استظل) دلائل النبوّة لأبي نعيم الأصبهاني ص١٢٦.

(١) خاتم النبوّة:

روى الإمام البخاري عن السائب بن يزيد قال: ذَهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إنَّ ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه). صحيح البخاري ١٦٣/٤ باب خاتم النبوّة كتاب المناقب. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل، باب خاتم النبوّة وصفته. كتاب ٤٣ رقم الحديث (١١١ ــ ٢٣٤٥) ١٠٨/٨.

(٢) طيب رائحته ﷺ: روى مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عَرَقَهُ اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولامسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل ٤٣، باب طيب رائحة النبيّ ﷺ رقم الحديث (٨١ ــ ٢٣٣٠) ٨/ ٩٤ وفي البخاري قريب منه ٤/ ١٦٥.

(٣) إخباره بالغيوب:

أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله). =

الماضي والمستقبل كان كما أخبر مع أنه كان أمياً. وبشارة عيسى عليه السلام[1]

= صحيح الإمام البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، فتح الباري ١١/ ٦٦٣٠.

وفي صحيح مسلم كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (١٨)، رقم الحديث (٧٥ ــ ٢٩١٨)، شرح النووي ٩/ ٢٩٧.

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه. فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة أو مثل الملوك على الأسرة (يشك أيهما قال) قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله. كما قال في الأول. قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (أنت من الأولين). فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت).

ــ صحيح مسلم بشرح النووي ٣٣ كتاب الإمارة (٤٩) باب فضل الغزو في البحر رقم الحديث (١٦٠ ــ ١٩١٢) ٧/ ٦٥.

ــ وللبخاري بلفظ آخر: في كتاب الجهاد والسير، باب رقم ٨ فضل من يصرع في سبيل الله ٣/ ٢٠٣.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وبشارة عيسى عليه السلام جاءت بطرق متعددة منها ما ذكره برنابا في إنجيله، وهو أحد تلاميذ عيسى عليه السلام المشهورين.

ففي الفصل التاسع والثلاثين منه جاء ما يلي: (فلما انتصب آدم على قدميه رأى في =

ببعثه ﷺ، وغير ذلك مما لا يحصى ولا يعد.

= الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها «لا إله إلا الله محمد رسول الله، ففتح حينئذ آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات: (محمد رسول الله). فأجاب الله: مرحباً بك يا عبدي آدم. وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة. . .) الوثيقة الرسمية لإنجيل برنابا ٣٩: ١٤ ــ ١٩.

وفي الفصل الحادي والأربعين: (فاحتجب الله وطردهما الملاك مخائيل من الفردوس فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب لا إله إلا الله محمد رسول الله) ٤١ : ٢٩.

وفي الفصل الثالث والستين بعد المئة: (أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه، الذي سيأتي إلى العالم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة العزيزة التي يأتي بها) ١٦٣ : ٧ ــ ٩.

هذه الإشارات والبشارات الواضحات لم ترض النصارى، ولهذا فإنهم لا يعترفون بهذا الإنجيل، وذلك لأنه جاء مخالفاً لأهوائهم ونزعاتهم التي بنوا عليها عقائدهم كالأبوّة والبنوّة والصلب والفداء والتثليث.

هذا إلى جانب الكثير من الأناجيل الأخرى التي حرمت الكنيسة تداولها بحجة أنها تخالف الأناجيل الأربعة التي اعتمدتها الكنائس الشرقية والغربية.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الأناجيل المعتمدة، فيها من النصوص ما يشير إلى بعثة محمد ﷺ. وإن لم تكن بالاسم الصريح، فإنها جاءت بصفات التلميح. وقد تعددت الأسماء التي وردت في الأناجيل والتي تفيد بأن نبياً سيأتي بعد المسيح وبينت صفاته، وقد جاء هذا التعدد نتيجة لاختلاف ترجمة الأناجيل من لغة إلى أخرى، فتارة يرد الاسم باسم إلياء، وأخرى باسم المعزّي، أو باسم الفارقليط، أو البارقليط. وأياً كان هذا الاختلاف فإن الأوصاف تنطبق على أوصاف النبيّ ﷺ.

فمثلاً جاء في إنجيل متى (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي، من =

ومـن معجزاتـه ﷺ اليـوم بـينـنـا القرآن الكريم[1]. فإن العرب

= له أذنان للسمع فليسمع) متى ١١: ١٤.

ومن ذلك أيضاً قوله: (فأجاب يسوع وقال لهم إن إيلياء يأتي أولاً، ويرد كل شيء) متى ١٧: ١١.

وورد في إنجيل يوحنا: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيّاً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه) إنجيل يوحنا ١٤: ١٥.

وهناك أناجيل أخرى تستعمل كلمة «فارقليط»، أو «بارقليط» كما في طبعة سنة ١٩٨٠م. انظر الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية لابن شموئيل الأورشليمي ت: عبد الوهاب طويلة ص٤١. ثم وجدت بعد ذلك كتابات تتجه إلى تفسير جميع الأسماء السابقة بأنها ترجع إلى «الروح القدس».

وقد حقق الأستاذ موريس بوكاي هذه القضية وبيّن بدقة التناقض الذي وقع فيه النصارى حول مفهوم الروح القدس، والمعزّي، والخلط الحاصل بينهما عندهم ودلل على أن وجود كلمتي الروح القدس وروح الحق في النصوص الإنجيلية مقحمة بإرادة لاحقة، تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض بإعلانها بمجيء نبـي بعد المسيح هو خاتم الأنبياء) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص١٢٨ ــ ١٢٩.

(١) للقرآن الكريم وجوه كثيرة للإعجاز و(هي) تنقسم في مجموعها إلى جانبين: جانب يعم الناس كلهم. وجانب يخص العرب وحدهم.

(أم الجانب الذي يعم الناس كلهم، فيتمثل في إخباره عن المغيبات التي لم تكن قد وقعت بعد ثم وقعت، وعن الأمم الماضية وقصصها، كما يتمثل في تشريعه الشامل الدقيق الصالح لكل زمان ومكان مع ما عرف من كونه عليه الصلاة والسلام أمياً لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه، فضلاً عن أنه لم يدرس قانوناً ولا تشريعاً، ولا عُني بشيء =

بأسرهم مع فصاحتهم وبلاغتهم وتمييزهم عجزوا عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله[1]، فدلت[2] المعجزات الظاهرة والآيات الواضحة

= من أمر النظم الاجتماعية المعروفة إذ ذاك عند الفرس واليونان. . .

وأما الجانب الذي يخص العرب فقط، فهو ما ينطوي عليه القرآن من النظم البديع الذي لا نجده منسجماً مع النثر، والمعهود من أساليبه وطرائقه ولا متفقاً مع الشعر، والمعروف من بحوره وأعاريضه، مع بلاغة سامية عجيبة، ومع أسلوب غريب يستوي في الإفادة منه كل فئات الناس من عوام ومثقفين، وأرباب اختصاص، حتى عجز جميع أرباب البلاغة والبيان منذ النبوّة إلى اليوم عن الإتيان بمثله، على الرغم مما فيه من التحدي والاستنهاض بأساليب متكررة مختلفة إلى القيام بمحاولة ذلك) كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص٢١٦.

(١) فمن الآيات التي تحدى بها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥١].

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤].

وكذلك قوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤].

(٢) ووجه الدلالة: ما تقرر في عقولنا أن الله تعالى سامع دعوى هذا المدعي وأن ما ظهر على يده خارج مقدور البشر، بل عن مقدور جميع الخلائق، ولا قدرة عليه إلا الله تعالى، فإذا ادعى الرسالة ثم قال: (إن صدق دعواي أن الله تعالى أرسلني أن يفعل =

على صدق نبوّته وصحة رسالته ﷺ.

● ● ●

= كذا، ففعل الله تعالى ذلك كان ذلك من عند الله تعالى تصديقاً له فيما يدعي من الرسالة بما فعل من نقض العادة، فيكون ذلك كقوله عقب دعواه هذه: صدقت، وهذا ظاهر في المتعارف) التمهيد لقواعد التوحيد، لأبـي معين النسفي ص٢٣٨.

(المعـراج)[1]

[٧٠] **فصل**: والمعراج حق: عرج رسول الله ﷺ بشخصه في اليقظة إلى

---

(١) تسمى هذه الحادثة، بحادثة الإسراء والمعراج. (فالإسراء من السرى: كالهدى وهو سير عامة الليل، ويذكر سرى يسري سرى ومسرى وسرية، ويضم. وأسري وسري به وأسراه... وأسرى بعبده ليلاً تأكيد أو معناه سيره) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤/ ٣٤١ باب الياء فصل السين. وشرعاً: هو الانتقال برسول الله ﷺ ليلاً من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى بيت المقدس راكباً البراق بصحبة جبريل عليه السلام. وقد ثبت الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

أما الحديث الشريف فقد تواترت السنّة الصريحة في هذا الشأن فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) وكذلك حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: (إن نبيّ الله ﷺ حدثهم ليلة أسري به قال: (بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت...) الحديث.

شرح صحيح مسلم ٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

أما الدليل على أن الإسراء كان بجسده وروحه عليه السلام في اليقظة قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح فيكون الإسراء بهذا =

السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأسرى به من المسجد الحرام إلى

= المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود البشر، لجاز استبعاد نزول الملائكة وذلك يؤدي إلى إنكار النبوّة وهو كفر). شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبـي العز الحنفي، ت: د. عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(أما المعراج فهو من: عرج عروجاً ومعرجاً. أي: ارتقى... والمعراج والعرج هو السلم والمصعد) القاموس المحيط ١/ ١٩٩. أما في الشرع فهو الارتقاء بسيدنا محمد ﷺ من المسجد الأقصى إلى السموات العلى فسدرة المنتهى حيث رأى من آيات ربه الكبرى، وحيث فرضت عليه وعلى أمته الصلاة...

والمعراج وإن لم يذكر صراحة في القرآن الكريم إلا أنه علم عن طريق الإلزام وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١ ـ ١٨].

وقد تتبع الكثير من العلماء الآيات والأحاديث الواردة في مسألتي الإسراء والمعراج، وأقوال المفسرين والمحدثين وفندوا أقوال المعترضين والمخالفين انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢ ـ ٢٢.

والذي عليه جمهور أهل السنّة والجماعة أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد وهذا مما أجمع عليه أهل القرن الثاني ومن بعده من الأمة، خلافاً لبعض الأقوال التي تقول بأنهما كانا في المنام، ومنهم من قال بأنه بالروح فقط لكن يقظة.

وعليه فإن الإسراء ثابت بالكتاب والسنّة كما أشرنا وإجماع المسلمين، فمن أنكره كفر. (والمعراج من المسجد الأقصى إلى السموات السبع ثابت بالأحاديث المشهورة ومنها إلى الجنة ثم إلى المستوى أو العرش أو طرف العالم من فوق العرش على الخلاف في ذلك، ثابت بخبر الواحد فمن أنكره لا يكفر ولكن يفسق،=

المسجد الأقصى. ثبت ذلك في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وليس ذلك بمستحيل في قدرة الله تعالى.

• • •

= والتحقيق أنه لم يصل إلى العرش). انظر: شرح جوهرة التوحيد، للقاني ص١٤١ ــ ١٤٢.

كما أن الصحيح المعتمد أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وهو ما اعتمده أهل العلم.

(وقيل كان الإسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة أخرى، والأول هو الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين. وأنهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعاً لا في المنام من مكة إلى المسجد الأقصى الذي هو بيت المقدس، إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى، إلى حيث شاء الله العلي الأعلى.

قال أهل الحق: وهذا هو الحق من غير افتراء، وعليه يدل القرآن نصاً. وصحيح الأخبار إلى السموات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغته).

انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للإمام السفاريني ٢/ ٢٨٨.

(عصمة الأنبياء)

[٧١] **فصل**: واختلف الناس في عصمة[١] الأنبياء[٢] عليهم الصلاة

---

(١) العصمة لغة: المنع، وأيضاً الحفظ. وقوله (لا عاصم) أي لا مانع. وعصمه الطعام أي منعه من الجوع. والبر عاصم كَسَفَّةِ السَّوِيقِ.
وفي الاصطلاح: حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه. أو هي: لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار للابتلاء والاختبار). راجع: مختار الصحاح للرازي مادة عصم وكذا الروضة البهية لأبـي عذبة ص٨٩، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص١٣٤ والفقه الأكبر للملا علي القاري ص٩٤.

(٢) يذهب الأشاعرة إلى القول بعصمة الأنبياء عن كل الذنوب بعد النبوّة ما عدا السهو والخطأ وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوّة. راجع أصول الدين للبغدادي ص١٦٨.
أما الحشوية فقد جوزوا الإقدام على الكبائر بعد الوحي وقوم منعوا عن قصدها وجوزوا قصد الصغائر.
والإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ذكر في الفقه الأكبر أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزّهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح.
راجع في ذلك: الروضة البهية لأبـي عذبة ص٨٨، والفقه الأكبر ص٨٨ ــ ٨٩.
أما المعتزلة: فقد ذهب القاضي عبد الجبار إلى (أنه لا يجوز على الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها خلافاً لما يقوله أهل الحشو). انظر شرح الأصول الخمسة =

= للقاضي عبد الجبار ص٥٧٣. أما جمهور أهل السنّة فقد أوجبوا للأنبياء العصمة على العموم.

وللعصمة متعلقات أهمها:

١ ــ العصمة من الكفر.

٢ ــ العصمة عن المعاصي.

٣ ــ العصمة من الخطأ في التبليغ.

وللعصمة صفات منها: الصدق والتبليغ والأمانة والفطانة، وهذه من الواجبات في حقهم عليهم السلام. أما ما يستحيل في حقهم فهو: الخيانة والكذب والغفلة وكتمان ما أمروا به.

وقد أورد الإمام الرازي رحمه الله تعالى الأوجه التي يثبت بها وجوب العصمة للأنبياء وهي:

(أحدها: أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش، ونعمة الله تعالى على الأنبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة، وأن يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحق جميع عصاة الأمة. وهذا باطل فذاك باطل.

الثاني: أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقاً، ولو كان فاسقاً لوجب أن لا تقبل شهادته، لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. وإذا لم تقبل شهادته في هذه الأشياء الحقيرة، فبأن لا تقبل في إثبات الأديان الباقية إلى يوم القيامة كان أولى، وهذا باطل، فذاك باطل.

الثالث: أنه تعالى قال في حق محمد ﷺ: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلو أتى المعصية لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعته في فعل ذلك الذنب، وهذا باطل، فذاك باطل. =

والسلام.

قال عامة المعتزلة: لا يجوز شيء من الخطأ والزلل والمعاصي ولا شيء من المباحات المستخففة[1] عليهم، لأن ذلك موجب/ النقير[2] عليهم. [٨/ ب]

وقال بعضهم: يجوز ذلك فعلاً وقولاً، لأنه موجب ارتفاع الثقة عن أحوالهم.

وقال بعض أهل السنّة والجماعة بأن الزلل لا يكون من الأنبياء إلا بترك الأفضل وهذا القول وإن كان حسناً من حيث الصورة لكنه غير سديد من وجه آخر، (لأن الأفضل يقتضي فاضلاً في مقابلته)[3]، فيقتضي أن يكون أكل الشجرة من آدم عليه السلام فاضلاً مع كونه منهياً عنه مع قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[4].

= وأما جميع الآيات الواردة في هذا الباب فإما أن تحمل على ترك الأفضل وإن ثبت كونه لا محالة فذلك إنما وقع قبل النبوّة)، أصول الدين للرازي ص١٠٨ ــ ١٠٩.
وللمزيد يراجع كتاب الرازي أيضاً «عصمة الأنبياء» وكذا يراجع كتاب تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، لأبـي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي، الذي فند فيه مزاعم أهل الكتاب عن الأنبياء عليهم السلام.

(١) كذا في الأصل: وربما قصد المصنف رحمه الله تعالى بقوله: (ولا شيء من المباحات المستخففة عليهم) أي: الخفة في التصرف دون وعي وإدراك كالعثة والغفلة والله أعلم.

(٢) النقير: قال صاحب القاموس: والنقير شبه الصفير وأتتني عنه نواقر أي: كلام يسوءني. انظر القاموس المحيط ٢/ ١٨٤. وربما كانت كلمة «نكير» أوفى بالغرض.

(٣) في الأصل وردت هذه الجملة هكذا: (لأن الأفضل تقضي فاضلاً مقابلته).
والمثبت ما اقتضاه السياق.

(٤) في الأصل: ﴿فعصى آدم ربه فغوى﴾ وهو خطأ والآية في سورة [طه: ١٢١]. =

وقال بعض أهل السنة هم معصومون عن الكبائر دون الصغائر[1] لأنه أثبت لهم مقام الشفاعة، (و) لأن من لم يبتل بالبلية لا يرق على المبتلى بها.

والمذهب السديد أنه لا يجب الإيمان بتصديق القرآن والكتب عن تأويل ما ورد في حق الأنبياء عليهم السلام من هذه النصوص لأن في تأويلها تعرضاً لأحوالهم على وجه لا يأمن الخطأ في ذلك مع أنا غير مكلفين بذلك فيجب الكف عنه.

• • •

= قال السبتي: (وأول ما ينبغي أن نقدم أن آدم عليه السلام لم يكن عندما أكل من الشجرة نبياً، والعصمة لا تشترط للنبـيّ إلا بعد ثبوت النبوّة له، فمن الناس من ذكر الإجماع على أنه لم يكن نبياً عندما أكل من الشجرة ومنهم من اكتفى بظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [طه: ١٢٢] وهذا عطف بـ(ثم) التي تعطي المهلة ثم ذكر الاجتباء والهداية.

والاجتباء هنا النبوّة بدليل قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام عندما عدد الأنبياء عليهم السلام ومناقبهم على التفصيل: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم: ٥٨] يعني من النبيين أجمعهم. وقال في سورة يونس عليه السلام بعد قصة الحوت: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم: ٥٠] وهذا وجه من الوجوه يثبت أكله من الشجرة قبل نبوّته) تنزيه الأنبياء ص٦٦ ــ ٦٧.

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي ص١٦٧، ولوامع الأنوار البهية ٢/ ٣٠٥.

وللمزيد حول موضوع العصمة يراجع: المواقف للإيجي، الموقف الخامس ص٣٥٨ ــ ٣٥٩؛ وشرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص٥٨ وما بعدها؛ وأصول الدين للرازي ص١٦٧ وما بعدها؛ والمسائل الخمسون في أصول الدين للرازي ص٦٦؛ وإشارات المرام للبياضي ص٣٢٠ ــ ٣٢١.

(التفاضل بين الأنبياء)

وبعض الأنبياء أفضل[1]، والرسل أفضل منهم[2]، والرسل أفضل من

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي ص٢٩٧.

(٢) لا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوّة، لأنها تلق وتبليغ، والرسل متفاوتون فيما بينهم لقوله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
والتفضيل الثابت في الآية هو من الله تعالى، فنعتقد ذلك، ونؤمن به، وأما تفضيل العباد فهو منهي عنه في السنّة فلا نقول فلان خير من فلان أو أفضل منه، لما يتوهم من النقص، وفرق بين اعتقاد معنى التفضيل والتعبير عنه باللفظ، ولا يغفل عن أن الرسول ﷺ قال (أنا سيد ولد آدم) فلا يقال النبـيّ أفضل من الأنبياء كلهم، ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي، لما يتوهم من النقص في المفضول، لأن النهي اقتضى منع إطلاق اللفظ، لا منع اعتقاد ذلك المعنى، فإن الله تعالى أخبر بأن الرسل متفاضلون... وأحسن من هذا قول من قال: إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوّة التي هي خصلة واحدة ولا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينة... وهذا قول حسن فإنه جمع بين الآية والأحاديث من غير نسخ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطى من الوسائل.
وأما النبوّة نفسها فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل في أمور أخر زائدة عليها، ولذلك فمنهم رسل، وأولو عزم، ومنهم من اتخذ خليلاً، ومنهم من كلّم الله، ورفع بعضهم=

بعض. ونبينا محمد ﷺ أفضل الأنبياء والرسل(1)/ عليهم السلام. وجملة [٩/ أ]

= درجات.

أما ما ورد في القرآن الكريم في اقتضاء التفضيل وذلك في الجملة دون تعيين أحد المفضولين، وكذلك الأحاديث. ولذلك قال النبيّ ﷺ: (أنا أكرم ولد آدم على الله) وقال: (أنا سيد ولد آدم) ولم يعين، وقال ﷺ: (لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وفي هذا نهي شديد من تعيين المفضول.

فإذا كان التوقف لمحمد ﷺ فغيره أحرى. . . فوجه المسألة: أن التفضيل فيهم على غير تعيين المفضول. وخص سيدنا يونس بالذكر خشية على من سمع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] أن يقع في نفسه تنقيصه، والحط من مرتبته، فبالغ في ذكر فضله سداً لهذه الذريعة)، شرح جوهرة التوحيد، الشيخ عبد الكريم تتان ٢/ ٧٨١ وما بعدها.

(1) المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أوصاف النبيّ ﷺ التي فطره الله تعالى عليها أكثر من أن تحصى فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٣ ــ ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله في حق الأنبياء: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال مجاهد وغيره هي إشارة إلى محمد ﷺ لأنه بعث إلى الناس كافة وأعطي الخمس التي لم يعطها أحد قبله وهو أعظم الناس أمة وختم الله به النبوّات. وفي قوله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يخبر الله تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال ههنا: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يعني موسى ومحمداً ﷺ وكذلك آدم كما ورد في الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه (ورفع بعضهم درجات كما ثبت في حديث الإسراء حيث رأى النبيّ ﷺ الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عزّ وجلّ) تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٤. =

. . . .

= أما الشوكاني فقد عارض التفاضل بين الأنبياء مستدلاً بعدة أحاديث، ومما قاله: (فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض، والسنّة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه، فمن تعرض للجمع بينهما، زاعماً أنهما متعارضان فقد غلط غلطاً مبيناً) فتح القدير ١/ ٢٦٩.

وقد رد الإمام النووي على المعترضين وذلك بخمسة أوجه:

أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدباً وتواضعاً.

الثالث: أن النهي هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو مشهور في سبب الحديث.

الخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوّة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٤١، ووافقه ابن كثير في تفسيره، انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٠٤.

فالآيات والأحاديث الواردة في فضائله ﷺ تنطق وتنبىء وتصرح بمكانة هذا النبيّ الكريم ﷺ وبعظم قدره ﷺ عند ربه عزّ وجلّ، (بما حباه من النعم، وفضّله على جميع الخلق وأكرمه بخصائص لم يعطها غيره من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، وبما لاطفه به وبره، وبما أورده عليه مورد الشفقة والإكرام، وبما شهد له به وامتدحه وأثنى عليه، وبما أظهره عليه وعلى يديه من الكرامات والإنعام، وبما كمل به محاسنه خَلْقاً وخُلُقاً، وبما سماه به من أسمائه، وما أطلعه عليه من الغيوب وعصمه من الناس، وكفاه من أذاهم، وبما أعطاه في الدنيا من خلود دينه وبقائه واجتبائه وجعله المرسل بدينه. وفي الآخرة من علوّ قدره ورفعة مكانته وكونه صاحب الشفاعة والمقام المحمود والحوض المورود). عظيم قدره ﷺ ورفعة=

= مكانته عند ربه. د. خليل ملا خاطر ص٣.

ومما جاء في مناقبه ﷺ ما رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) رواه الترمذي في أبواب المناقب ٣/٩٩ ــ ١٠٠، وقال هذا حديث حسن غريب.

كما روي عن أبي سعيد الخدري قال: (قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبيّ يومئذ ــ آدم فمن سواه ــ إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر). رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، ١٣/١٠٢ ــ ١٠٣، قال الإمام النووي وهذا الحديث دليل تفضله على الخلق كلهم، لأن مذهب أهل السنّة أن الآدميين أفضل من الملائكة ــ وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع). صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، رقم الحديث (٣ ــ ٢٢٧٨) ٨/٤٢.

وقد سبق القول إن تفضيل بعض الأنبياء على بعض إنما هو بما منح من الفضائل، وأعطي من الوسائل.

وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال: إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء، وعلى أهل السماء فقالوا: بم يا ابن عباس فضله على أهل السماء؟ فقال: إن الله تعالى قال: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ١ ــ ٢]، قالوا: فما فضله على الأنبياء، قال: قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال الله عزّ=

الأنبياء عليهم السلام كانوا مئة ألف نبي وعشرين ألف نبـي، وأربعة آلاف الرسل، منهم ثلاث مئة[1] وثلاثة عشر[2].

= وجلّ لمحمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] فأرسله إلى الجن والإنس. قال القرطبـي: هذا نص من ابن عباس وأبـي هريرة في التعيين، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل، فإن في من أرسل فضل على غيره بالرسالة... واستووا في النبوّة، إلا ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم). تفسير القرطبـي ٣/ ٢٦٣.

(١) في الأصل: ثلاث مائة.

(٢) مما جاء في أعداد الأنبياء والرسل عليهم السلام ما روي عن أبـي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله أو نبـيّ كان؟ قال: نعم نبـيّ مكلم، قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاث مئة وبضعة عشر جماً غفيراً).

ـ رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٧٨.

وفي رواية: قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مئة ألف وعشرون ألفاً من الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً.

ـ مسند الإمام أحمد ٥/ ١٧٨.

قال الحافظ ابن حجر: (وقع في ذكر الأنبياء حديث أبـي ذر مرفوعاً أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر).

قال ابن حجر في الفتح صححه ابن حبان ٦/ ٣٦١ من فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء.

وللمزيد: يراجع الكلام في حديث عدد الأنبياء: شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ص٩٠.

ـ وشرح جوهرة التوحيد للقاني ص٨ ـ ٩.

ـ أركان الإيمان للشيخ وهبـي غاوجي ص١٦٣. =

وأولو العزم(١) كانوا خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى،

= ـ تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٥.

أما ما ذكر في القرآن من عدد الأنبياء والرسل وبحسب ما يجب الاعتقاد به تفصيلاً فقد بلغ عددهم خمساً وعشرين وهم كالتالي:

آدم، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، إدريس، يونس، هود، شعيب، صالح، لوط، إلياس، إليسع، ذو الكفل، عيسى، محمد، صلوات الله عليهم أجمعين.

فيجب الإيمان بهم تفصيلاً بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم لأنهم ذكروا في القرآن الكريم، أما بقية الأنبياء فيجب الإيمان بهم جملة، بمعنى أن نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز، لأن الله تبارك وتعالى قد أخبر عنهم بقوله: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤] راجع: النبوة والأنبياء، الشيخ محمد علي الصابوني ص١١.

(١) وإنما سموا (بأولي العزم) لأن عزائمهم كانت قوية وابتلاءهم كان شديداً، وجهادهم كان شاقاً ومريراً، فمنهم من صبر على البلاء والتكذيب القرون الطويلة، وتعاقبت عليه الأجيال العديدة، لأنه عمر طويلاً، لكن حياته كانت كلها محناً وشدائد (كنوح) عليه السلام. الذي لبث في قومه قريباً من ألف سنة، ولم يؤمن معه إلا قليل، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُۥ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠]، وهكذا بقية أولي العزم كلهم أوذوا، واضطهدوا وشردوا، فتحملوا الأذى والعذاب، وصبروا على البلاء والشدة: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ولهذا استحقوا أن يكونوا قادة الأنبياء وسادة الرسل وأن يحملوا اللواء في سبيل عزة الإنسانية وانتشالها من براثن الشرك والضلال إلى نور التوحيد والإيمان). النبوة والأنبياء ص١١.

ومحمد ﷺ. وأربعة أحياء: عيسى[1] (عليه السلام)، . . . .

---

(١) من المتفق عليه بين علماء الأمة أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله تعالى، ولهم في مسألة الرفع مذهبان:

الأول: يرى أن الرفع تم بالروح والجسد، وقد ذهب إليه أكثر أئمة التفسير والحديث من قدامى ومحدثين. فالإمام الطبري أورد الآية الكريمة: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٥]. يعني بذلك جلّ ثناؤه أنه مكر بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى بما آتاهم به من عند ربهم. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ فإذ: صلة من قوله: (ومكر الله) يعني مكر الله بهم حيث قال الله لعيسى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ فقد توفاه ورفعه إليه).

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في هذه الآية فقال بعضهم: هي وفاة نوم، وكأن معنى الكلام على مذهبهم: إني مميتك ورافعك في نومك ثم ذكر أدلة كل فريق وخلص إلى القول: (وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك إلي. . . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: (. . . فينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض «مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها» ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه). جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري ٣/ ٢٩١.

والحديث المذكور له روايات عديدة. انظر صحيح الإمام مسلم بشرح النووي.

أما الفريق الآخر فقال: (إن الرفع كان بالمرتبة والدرجة وليس بالجسم واستدلوا بالأمور التالية:

١ ــ ليس في القرآن نص يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام رفع بجسده إلى السماء.

٢ ــ عودة عيسى عليه السلام جاءت بها أحاديث صحاح وردت في السنة ولكنها أحاديث آحاد. وأحاديث الآحاد توجب العمل ولا توجب الاعتقاد). =

. . . .

= راجع: المسيحية. د.أحمد شلبي ص٤٤، وكذا في: النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي ص٢٠٠، والمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب ص٥٣٥ ـ ٥٤٠.

أما الفريق الأول فقد استدل إلى جانب الآيات التي ذكرها سابقاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦]، والعلم في الآية الأولى بفتح العين واللام (في قراءة أخرى) من علم أي دليل وعلامة على قيام الساعة، قال في مختار الصحاح ص٤٥١ العلم بفتحتين (العلامة). والكهل في الآية الثانية: الرجل الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب. مختار الصحاح ص٥٨١.

وقد استحسن الإمام الرازي الرأي الأول وقال: (إني متوفيك) أي متمم عمرك، فحين إذن أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي ومقربك من ملائكتي وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك) التفسير الكبير للفخر الرازي ٨/ ٧١، وهو الرأي الصحيح.

وقد قرر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري أن عيسى عليه السلام كان في الثمانين من عمره قبل أن يرفع. انظر عقيدة الإسلام، محمد أنور شاه الكشميري ص٣٥.

أما الأحاديث التي ردها الفريق الثاني بحجة أنها أحاديث آحاد، فإن أحاديث الآحاد هذه كثيرة وهي إذا (رويت من طرق متعددة وضم بعضها إلى بعض أفادت التواتر المعنوي الذي يفيد القطع كالتواتر اللفظي، والقول باضطراب الأحاديث غير مسلم لمن له إلمام بما جاء في الصحيحين وغيرهما. وفي مذهب أبي حنيفة النعمان أن المشهور ينسخ القرآن كالمتواتر، وهذه الأحاديث الواردة في نزول المسيح في معظمها لا أقل من أن تكون مشهورة). النصرانية في القرآن الكريم، محمد بن سعد آل سعود ص٨٠.

وقد أكد الشيخ الكشميري أن هذه الأحاديث تبلغ درجة التواتر وذلك في كتابه التصريح بما تواتر من نزول المسيح، ت: عبد الفتاح أبو غدة ص٦٠، وقد فند=

وإدريس[1]، والخضر[2]، ....

= الشيخ مصطفى صبري رحمه الله تعالى أقوال المخالفين في كتابه الماتع القول الفصل ص١٤٠، ودافع عن عقيدة أهل السنّة والجماعة، وكذا راجع كبرى اليقينيات الكونية للبوطي ص٣٢٢ وما بعدها، فقد عرض تلك الأقوال وبين الأسباب التي استند إليها المُحْدَثون، ورد عليهم.

(١) قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦ ـ ٥٧].

قال في البداية والنهاية: (إدريس عليه السلام هو أول نبـيّ أعطي النبوّة بعد آدم وشيث عليهما السلام وذكر ابن إسحق أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ٣٠٨ سنوات لأن آدم عمِّر طويلاً زهاء ألف سنة). البداية والنهاية ١/ ٩٩.

قال ابن كثير: (ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقاً نبياً وأن الله رفعه مكاناً علياً، وقد ذكر في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الإسراء في السماء الرابعة... وقال ابن نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧]، (قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٦، وانظر قصص الأنبياء له ١/ ٨٠ ـ ٨١، وراجع تفسير فتح القدير للشوكاني ٣/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩، والنبوّة والأنبياء ص٢٢٣، ونقل القرطبي خلاف هذا الرأي وفيه كلام طويل. انظر الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) الخضر عليه السلام وحياته:

اختلف العلماء في الخضر عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بالعبد الصالح في سورة الكهف وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

وقد جاء الخلاف حوله من عدة وجوه: منها:

ـ في اسمه، وهل هو نبـيّ أو رسول، أو ولي، كما اختلفوا في زمانه وهل هو حي أم ميت؟.

أما عن الاختلاف في اسمه: (فقد قيل إن اسمه يليا بن ملكا أو يليان بن ملكان =

. . . .

= ومنها إيلياء المعمر، وأرميا، وخضرون، وإيليا، عامر، أحمد).

راجع في ذلك: البداية والنهاية ١/٣٢٦، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١١٥، وروح المعاني للألوسي ١٥/٣١٩؛ والحذر في أمر الخضر، للملا علي القاري ص٧٤ ـ ٧٥.

ـ أما اللقب فهو: الخضر، والخضر بفتح أوله وكسر ثانيه، أو كسر أوله وإسكان ثانيه، راجع فتح الباري ١٥٤. أما السبب في لقبه هذا فقد أورد البخاري عن أبـي هريرة رضي الله عنه (عن النبيّ ﷺ قال: إنما سمي الخضر أنه جلس على فورة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء) صحيح البخاري ٤/١٢٩.

أما الخلاف في كونه نبياً أو رسولاً أو ولياً؟.

فقد ذهب أكثر العلماء إلى أنه نبـيّ: منهم: ابن الصلاح في الفتاوى ص٢٤؛ والألوسي في روح المعاني ١٥/ ٣٢٠، ونقل الإمام النووي جملة ممن قال بنبوّته منهم: المازري والثعلبـي وغيرهما. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٥٣، باب من فضائل الخضر عليه السلام).

والحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١/ ١٩٤ وابن كثير في قصص الأنبياء ٢/ ٥٥٢ ـ ٥٢٣ وابن جزي الكلبـي في كتابه التسهيل لأحكام التنزيل ٢/ ٣٥٠ وغيرهم.

أما الأدلة على إثبات النبوّة له، فإن سياق القصة في القرآن الكريم يدل عليها من وجوه:

(أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

الثاني: قول موسى له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٧٠]. =

. . . .

= فلو كان ولياً وليس بنبـيّ لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، أو لم يرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأله صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه. فلو كان غير نبـيّ لم يكن معصوماً ولم تكن لموسى وهو نبـيّ عظيم ورسول كريم واجب العصمة، ثم لما اجتمع به تواضع له وعظّمه، واتبعه في صورة مستفيد منه فدل على أنه نبـيّ مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبـيّ بني إسرائيل الكريم، وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوّة الخضر عليه السلام.

الثالث: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوّته وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده، لأن خاطره ليس بواجب العظمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق، ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم، علمنا منه بأنه إذا بلغ يكفر، ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتابعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته، صيانة لأبويه من الوقوع في الكفر وعقوبته، دل ذلك على نبوّته وأنه مؤيد من الله بعصمته.

الرابع: أنه لما فسر الخضر تأويل الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجله قال بعد ذلك: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمر أمرت به وأوحي إليه منه.

فدلت هذه الوجوه على ثبوت نبوّته ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قال آخرون). قصص الأنبياء، لابن كثير ٢/ ٥٢٢ ــ ٥٢٣.

أما الخلاف في «أنه لا يزال حياً» فقد ذكر النووي أن جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشرعية ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، . . كما نقل النووي قول ابن الصلاح في هذا الأمر. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الخضر عليه السلام ٨/ ١٥٣ وما بعدها. =

وإلياس(١) عليهم السلام.

= وقد استدل القائلون بأن الخضر نبيّ معمر بأحاديث مروية وعدة أخبار من ذلك ما أخرجه الدارقطني وابن عساكر وما نقله العقيلي عن ابن عباس وما أخرجه الحاكم في المستدرك. انظر في ذلك ما نقله الألوسي في روح المعاني ١٥/ ٣٢٢.

أما المخالفون لهذا، فقد ذهب جمع من العلماء أنه ليس بحي اليوم. وسئل البخاري عنه وعن إلياس عليهما السلام هل هما حيان؟ فقال كيف يكون هذا وقد قال النبيّ ﷺ أي قبل وفاته بقليل: (لا يبقى على رأس المئة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد)، والذي في صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته: (ما من نفس منفوسة يأتي عليها مئة سنة وهي يومئذ حية) وهذا أبعد عن التأويل. وسئل غيره من الأئمة فقرأ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وممن ذكر الآلوسي في الاعتراض على «حياته»: الإمام ابن تيمية وإبراهيم الحربي وشرف الدين ابن عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي، وابن الجوزي والقاضي أبو يعلى). انظر روح المعاني للألوسي ١٥/ ٣٢٠.

قال الإمام الحافظ العراقي: (ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبيّ ﷺ ولا عدم اجتماعه، ولا حياته ولا موته). انظر هامش إحياء علوم الدين ١/ ٣٣٦.

ـ وهو الراجح.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٢]. =

. . . .

● ● ●

= وما ذكره المصنف من أن إلياس لا يزال حياً مروي عن مكحول عن كعب، وقد تعقب ابن كثير الروايات الواردة في هذا الشأن فقال: (وقد قدمنا قول من ذكر إن إلياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس، وأنهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها في العام المقبل. وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفة كل سنة، وبينا أنه لم يصح شيء من ذلك، وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك إلياس عليهما السلام). قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٥٤١.

«الكونيـات»

(المـلائكـة)

[٧٢] **فصـل**: والمـلائكـة[١] عليهـم السـلام (بعضهـم أفضـل مـن بعـض وأفضلهـم أربعـة)[٢]: جبـرائيـل[٣] ....

(١) جمع ملك (وأصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك، وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك... وسمي الملك ملكاً لأنه يبلغ الرسالة). انظر الصحاح للجوهري ٤/١٦١١، والقاموس المحيط للفيروزآبادي فصل اللام باب الكاف.
أما في اصطلاح العلماء: (أجسام نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة شأنها الطاعة ومسكنها السموات غالباً). انظر شرح جوهرة التوحيد، التتان والكيلاني ٢/٧٨٩ ـ ٧٩٠.
وقال الله تعالى في حقهم: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]. ويقول النبيّ ﷺ: (خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم). رواه الإمام مسلم، شرح النووي على صحيح مسلم، باب في أحاديث متفرقة ٥٣ كتاب الزهد والرقائق رقم الحديث (٦٠ ـ ٢٩٩٦) ج٩/ ٣٥٠.

(٢) في الأصل: (بعضهم أفضل من أربعة). وما هو مثبت أصح.

(٣) جبرائيل: (وجبريل عليه السلام، ويطلق عليه أيضاً اسم الروح الأمين والروح القدس، وقد سمي بذلك لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح، فإنه هو المتولي =

وميكـائيـل(١)، . . . .

= لإنزال الوحي إلى الأنبياء، والمكلفون في ذلك يحيون في دينهم). تفسير الفخر الرازي ٣/ ١٩٠.

وقد ذكر جبريل عليه السلام في كثير من السور. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧ ﴾ [البقرة: ٩٧]، ومعنى اسم جبريل: خادم الله تعالى). انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٣٣.

وللمزيد يراجع: الروح القدس جبريل عليه السلام في اليهودية والنصرانية والإسلام، د.عمر الداعوق، . مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ص١٢٥، العدد العاشر.

(١) ميكائيل: وقد ورد في حقه قول الله عزّ وجلّ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨ ﴾ [البقرة: ٩٨]. (أما معنى الاسم فقد قيل: إن لفظة ميكا تعني في اللغة السريانية «عبيد» تصغير «عبد» وإيل في اللغة نفسها هو «الله» فيكون ميكائيل تعني عبيد الله) انظر الملائكة حقيقتهم ــ وجودهم وصفاتهم، أحمد حسن الشيخ ص٤٧.

وقد اقترن اسم جبريل باسم ميكال وذلك لأن السياق جاء انتصاراً لجبريل وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم «وميكائيل» وليهم، فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً، ولأنه ينزل على أنبياء الله بعض الأحيان. . . وميكائيل موكل بالنبات والقطر. ذاك بالهُدى وهذا بالرزق، كما أن إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للبعث يوم القيامة. ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول:

(اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم). =

وإسرافيل[1]، وعزرائيل[2] عليهم السلام، وفضل الأربعة ثبت ذلك[3]

= أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٢٦ باب صلاة النبيّ ﷺ ودعائه بالليل، رقم الحديث (٢٠١ ــ ٧٧١) ٣/ ٣٠٩ شرح النووي.

(١) إسرافيل: هو تعريب للاسم العبري «سرافيم» وقد عرب أيضاً بلفظ «سرافين وسراقيل» ويطلق على الملاك الذي ينفخ في الصور). انظر الملائكة حقيقتهم، وجودهم ص٤٧.

وقد تقدم الحديث عن إسرافيل عند الحديث عن ميكائيل في دعاء النبيّ ﷺ كما روى الإمام القرطبي حديث جبريل عليه السلام مع المصطفى ﷺ، ومما جاء فيه (أن جبريل قال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ست مئة جناح سعة ما بين المشرق والمغرب فقال: وإن هذا لعظيم. فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيل له ست مئة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع (يعني العصفور الصغير) تفسير الطبري ١٧/ ٨٧.

(٢) عزرائيل: وهو ملك الموت، ومعناه عبد الله على ما جاء في القرطبي. وقال: (تصرفه كله بأمر الله تعالى وبخلقه واختراعه). تفسير القرطبي ١٤/ ٩٣.

وروى الطبري بسنده عن مجاهد قال: حوت له الأرض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء)، تفسير الطبري ١١/ ٩٨. على أن اسمه لم يرد صريحاً في الكتاب والسنّة الصحيحة. يقول ابن كثير في البداية والنهاية: (وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاءت تسميته في بعض الآثار بعزرائيل وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تليق بها)، البداية والنهاية ١/ ٤٧. وفي حق ملك الموت جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١]، وانظر إلى قوله تعالى في [الأنعام: ٦١ ــ ٦٢].

(٣) قول المصنف (وفضل الأربعة ثبت. . .) تصرف منه وقد تقدم الحديث عن ذلك.

بالكتاب والسنّة.

[٧٣] **فصل**: خواص بني آدم أفضل من جملة الملائكة، وعوام بني آدم وهم الأتقياء أفضل من عوام الملائكة[1]، ....

(١) خواص بني آدم هم أنبياء الله تبارك وتعالى ورسله، وقد اختلف العلماء في أفضلية الإنسان على الملائكة. فذهب جمهور العلماء إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة في حين ذهب سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبعض العلماء إلى تفضيل الملائكة على البشر ودليلهم قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦ ــ ٢٧]، وبقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]، كما استدلوا بقول النبيّ ﷺ: (من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) الحديث، رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الكتاب ٤٨، باب فضل الذكر والدعاء رقم الحديث (٢١) ٨/ ١٥، ورواه الإمام البخاري في التوحيد (باب ١٥) ٨/ ١٧١.

راجع: تفسير الفخر الرازي ٥/ ٦٢١.

واستدل الجمهور بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البيّنة: ٧]، والبرية تشمل الملائكة: كذلك استشهدوا بحديث النبيّ ﷺ: (إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم)، رواه أبو داود في أول كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (٣: ٣٥) رقم الحديث ٣٤٩٤، راجع: مختصر سنن أبي داود للمنذري ٥/ ٢٤٣.

وبالنتيجة فقد ذهب الجمهور إلى أن خواص البشر من الأنبياء والصديقين أفضل من خواص الملائكة، وهم الذين خصهم الله بالذكر في كتابه الكريم. وعوام البشر وهم الصالحون من المسلمين أفضل من عوام الملائكة. قال التفتازاني: (ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة، ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة، أما تفضيل رسل الملائكة على عامة البشر فبالإجماع بل =

لأن آدم كان مسجوداً[1] له، والملائكة كانوا ساجدين ولا شك أن السجود[2] له أفضل من الساجد[3].

وإذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام.

[٧٤] **فصل**: الملائكة عباد[4] الله ـ عزّ وجلّ ـ وهم معصومون[5] من

= بالضرورة)، وقد رد التفتازاني على المخالفين. في شرحه للعقائد النسفية، انظر ص١١٢ ـ ١١٣.

(١) في الأصل: كان مسجوداً والملائكة. والمثبت أصح.

(٢) في الأصل: ولا شك أن السجود أفضل. والمثبت أصح.

(٣) وقد أورد العلماء كثيراً من الأدلة العقلية على هذا الأمر، انظر مثلاً: أصول الدين للبغدادي ص١٦٤، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٣٩٨ وما بعدها؛ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص٩٠ ـ ٩١؛ شرح جوهرة التوحيد للتتان والكيلاني ٢/٧٩١ وما بعدها؛ الملائكة والإيمان بهم، ناجي محمد داود ص١١٤ ـ ١٦٤.

(٤) في الأصل: «عبد».

(٥) لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].
وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠].
وعليه فإنهم معصومون من ارتكاب الذنوب والآثام والمعاصي فلا يصدر عنهم إلاّ كل خير وما فيه منفعة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى: ٥]، ولقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠].
أما ما يرد من اعتراض على عصمتهم فيعود إلى عدم فهم المراد من الآيات القرآنية، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا =

المعاصي، والإنس والجنّ غير معصومين إلا الأنبياء من الإنس.

[٧٥] **فصل:** الميثاق الذي أخذه الله ـ عزّ وجلّ ـ من آدم عليه السلام وذريته حق[١]، ....

= نَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣١].

فأجيب عن هذا الاعتراض، بأن موقف الملائكة حين سؤالهم جاء من باب الاستفسار والاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة واستخبارهم عما يرشدهم ويزيح شبهتهم، كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله ولا طعناً في بني آدم على وجه الغيبة.

أما ما قد يرد من الاعتراض على عصمة الملائكة بدليل ما جاء في قصة هاروت وماروت وما كان منهما من تعليمهما للناس السحر إلى غير ذلك، فقد أجاب العلماء على ذلك بأن هذا الأمر ليس فيه مطعن ولا يخل بعصمتهم، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ثم يضمون إلى ما سمعوه أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس، وجعلت الكهنة يدونونها في كتاب ويقرأونها ويعلمونها الناس، ونشأ ذلك في عهد سليمان عليه السلام، حتى صاروا يقولون: إن الجن يعلمون الغيب، وإن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام، وإنه ما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه سخرت له الجن والإنس والطير... فأنزل هذان الملكان لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ـ يراجع تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٢١ ـ ٢٢؛ تفسير النسفي ١/٦٥ ـ ٦٦؛ روح المعاني للألوسي ١/٣٤٢ ـ ٣٤٣؛ تفسير الفخر الرازي ٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(١) وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ =

والعـرش[1]، . . . .

= [الأعراف: ١٧٢].

ومن ذلك قول النبيّ ﷺ: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا ـ إلى قوله ـ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣].

ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٧٢؛ والطبري ١٥٣٣٨؛ والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٦ ـ ٣٢٧؛ وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٥؛ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ونقل ابن كثير في تفسيره رواة هذا الحديث انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(١) العرش: قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].

وقال أيضاً: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧].

ويقول المصطفى ﷺ: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: (إن رحمتي سبقت غضبي).

(لما خلق الله الخلق كتب في كتابه هو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي)، رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٥، ٢٢، ٢٨، ٥٥، ٨/ ١٧١. وفي رواية مسلم (سبقت رحمتي غضبي)، كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم الحديث ١٥ و١٦، ٩/ ٧٩.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة: (... لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش جانب العرش فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)، كتاب في الخصومات، باب مما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود ٣/ ٨٨، وفي مسلم باب (٤٢) من فضائل موسى عليه السلام (٤٣) كتاب الفضائل رقم الحديث (١٥٩ ـ ٢٣٧٣) و(١٦٠) ٨/ ١٣٩ ـ ١٤٠. =

[٩/ ب]والكرسي[١] / واللوح[٢]، والقلم[٣]، ومقاديرهم في اللوح، حق، ولو

= أما عن حقيقة العرش وماهيته وكيفيته على وجه التفصيل، فهذا مما لا يمكن إدراكه، لأنه من الغيبيات والأولى الإمساك عن القطع بتعيين هذه الحقيقة لعدم العلم بها.

(١) الكرسي: قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
وهناك أحاديث ضعيفة بل وموضوعة في شأن الكرسي، وقد أشار إليها ابن جماعة في كتابه النفيس «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص٢١٣»، كما فنّد فضيلة الشيخ وهبي غاوجي هذه الأحاديث وبين أسباب ضعفها وشبهات القائلين بها. انظر هامش رقم ٥ ص٢١٣ وما بعدها من «إيضاح الدليل».

(٢) اللوح: وهو الكتاب المبين، انظر التعريفات للجرجاني ص٩٧، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١ ــ ٢٢].
وأخرج الطبراني في الكبير حديثاً موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه: (لوددت أن عندي رجلاً من أهل القدر فوجأت رأسه، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، وقفاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم سنين وثلاث فيه نظره، يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت، ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء)، وسنده حسن، انظر مجمع الزوائد ٧/ ١٩١، ورجاله ثقات.

(٣) القلم: أخرج البخاري في صحيحه أن علياً رضي الله تعالى عنه قال: (ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ). صحيح البخاري ٦/ ١٦٩ باب الطلاق، وفي رواية أخرى له في باب الحدود ٨/ ٢١.
كما جاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. . .) الحديث. =

(اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله ـ عزّ وجلّ ـ في اللوح أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه[1]، وكذلك على العكس، قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة)[2].

• • •

= انظر مختصر سنن أبي داود للمنذري حديث رقم (٤٥٣٦) ٧/ ٦٩ كتاب السنة باب القدر. ورواه الترمذي رقم الحديث ٣٣١٩ في التفسير، عارضة الأحوذي ١٢/ ٢١٧، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٣١٧.

وجاء في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر عن رسول الله ﷺ قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟

قال: لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير).

صحيح الإمام مسلم، (٤٦) كتاب القدر (١) باب كيفية الخلق الآدمي رقم الحديث ٨(٨ ـ ٢٦٤٨) ٨/ ٤٤٤.

(١) يؤكد هذا المعنى حديث النبيّ ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما عندما كان خلف النبيّ ﷺ حيث يقول: (كنت خلف النبيّ ﷺ يوماً، فقال: يا غلام ألا أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف).

ـ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (سنن الترمذي باب في صفة القيامة رقم الحديث (٢٦٣٥)، ٤/ ٧٦؛ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٩٣.

(٢) انظر متن العقيدة الطحاوية ٢/ ٣٤٦، بتحقيق د.عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط.

(كـرامـات الأوليـــاء)

[٧٦] **فصـل:** ظهور كرامات[1] الأولياء على طريق نقض العادة وخرقها

---

(١) الكرامات: مفردها كرامة (وهي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص، غير مقارن لدعوى النبوّة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوّة يكون معجزة)، التعريفات للجرجاني ص٩٧.
والولي هو العارف بالله تعالى، وصفاته بحسب ما يمكن هو المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي والمعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات.
أما الدليل على حقيقة الكرامة: (ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره، خصوصاً الأمر المشترك، وإن كانت التفاصيل آحاداً. وأيضاً: الكتاب ناطق بظهورها من «مريم» ومن صاحب سليمان عليه السلام، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز.
وتظهر الكرامة عن طريق نقض العادة للولي، من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة... ومثل رؤية عمر رضي الله عنه وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى إنه قال لأمير جيشه يا سارية: الجبل، الجبل، تحذيراً له من وراء الجبل لمكر العدو هناك، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة.
وكشرب خالد رضي الله عنه السم من غير ضرر به، وكجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه.
(وأمثال هذا أكثر من أن تحصى) انظر: شرح العقائد النسفية، للتفتازاني ص٩٢.

جائز[1] لأنه في قدرة الله تعالى ممكن، وليس فيه وجه من وجوه الاستحالة، ويجوز أن الله تعالى أكرم ولياً بكل آية يخصه بذلك، ثبت بالكتاب والسنّة.

[٧٧] **فصل**: الولي لا يكون أفضل من النبي، بل نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، وبرهانه[2] واضح. والولي وإن علت درجته وارتفعت منزلته لا تسقط عنه العبادات المفروضة، ومن زعم أن من صار ولياً وصل إلى الحقيقة سقط عنه أحكام الشريعة، فهو ضال على غير السبيل[3]، لأن

---

(١) لعدم استحالتها، فهو تعالى على كل شيء قدير، واعترض المعتزلة على ذلك وأنكروا حصول الكرامة من الأولياء بحجة أنه لو جاز ظهور الخوارق من الأولياء لأشبه بالمعجزة فلم يتميز النبيّ من غير النبيّ.
أما الرد عليهم فيقال لهم: (إن ظهور خوارق العادات من الأولياء أو الولي الذي هو من آحاد الأمة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته، لأنه يظهر بها أي بتلك الكرامة، أنه ولي ولن يكون ولياً إلا إن كان محقاً في ديانته، وديانته الإقرار باللسان والتصديق بالقلب برسالة رسوله مع الطاعة له في أوامره ونواهيه، حتى لو ادعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن ولياً ولم يظهر ذلك على يده). انظر: المرجع السابق ص٩٣ ــ ٩٤.

(٢) إذ أن النبيّ والرسول قد ثبت في حقهما من وجوب الصدق والأمانة والفطانة وتبليغ الرسالة، أما الولي فلم يجب في حقه تلك الأمور.

(٣) الزعم بسقوط الأحكام الشرعية التكليفية عن الولي (أو أي إنسان آخر سويّ، كفر ومروق من الدين، وعليه فإن الولي، لا يبلغ درجة الأنبياء، مهما كان، إضافة إلى كون الأنبياء والمرسلين مأمونين من خوف سوء الخاتمة، وهم مكرمون بالوحي، ومشاهدة الملك، وكذا مأمورون بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام بعد الاتصاف بكمالات الأولياء، فما قد نقل عن بعض الكرامية من كون الولي أفضل من النبيّ كفر وضلال). شرح العقائد النسفية ص١٠٥.

العبادات ما سقطت عن الأنبياء، فكيف تسقط عن الأولياء؟.

اعلم أن الاستطاعة نوعان: استطاعة حال: وهي[1] الأعضاء السليمة والأسباب الصالحة[2].

---

(١) في الأصل: وهو.

(٢) لقد أوضح الإمام الماتريدي من قبل هذه المسألة فقال: (الأصل عندنا في المسمى باسم القدرة أنها على قسمين: أحدهما سلامة الأسباب وصحة الآلات. وهي تتقدم الأفعال. وحقيقتها ليست بمجعولة للأفعال. وإن كانت الأفعال لا تقوم إلا بها، لكنها نِعَمٌ من الله أكرم بها من شاء، ثم يستأديهم شكرها عند احتمالهم درك النعم وبلوغ عقولهم الوقوف عليها، إذ ذلك حق القول في العقول، وهو القيام بشكر المنعم ومعرفة حقيقة النهي، والنهي عن كفران المنعم. . .
والثاني: معنى لا يقدر على تبيّن حده بشيء يصار إليه سوى أنه ليس إلا للفعل، لا يجوز وجوده بحال، إلا ويقع به الفعل عندما يقع معه. وعند قوم قبله أعني فعل الاختيار الذي بمثله يكون الثواب والعقاب، وبه يسهل الفعل ويخف، ولا قوة إلا بالله.
ثم الدلالة على قسمة الاستطاعتين قول الله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، وما قال: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٢]، ثم للدلالة على أن الاستطاعة استطاعة الأسباب والأحوال لا استطاعة الفعل وجوه:
أحدها: أن قوله «فمن لم يستطع» وإنما هو صوم شهرين ولا أحد يعلم أنَّ قدرة الفعل لا ترده تلك المدة، ثبت أن المراد من ذلك استطاعة الوجود. ومثله أهل النفاق لم يكونوا يعلمون الاستطاعة التي لديها الأفعال، وإنما أرادوا بذلك المرض، أو فقد المال على ما بيّن الله تعالى بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١]، إلى قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩٣]، وهناك أدلة أخرى على ذلك.
راجع: كتاب التوحيد للماتريدي ص٢٥٦ ــ ٢٥٧.

واستطاعة فعل: وهو عرض يحدث ساعة فساعة، عند وجود الفعل مقارنة بخلق الله تعالى. أما الأولى فلا شك في ثبوتها.

/ وأما الثانية: فالدلالة على مقارنتها بالفعل، لأنها لو كانت سابقة على[١٠/ أ] الفعل لانعدمت عند وجود الفعل، لأنها عرض، ولا بقاء للأعراض.

• • •

(أفعال العباد)

[٧٨] **فصل**: أفعال العباد[١]، خيرها وشرها مخلوقة بخلق الله ـ عزّ

(١) هذه المشكلة اعتبرت عند العلماء من المشاكل المعقدة في تاريخ الفكر الإنساني، وذلك لكثرة الاختلافات والآراء الناشئة عنها سواء بين المدارس الفلسفية القديمة أو الحديثة، وكذا الديانات قديمها وحديثها.
والإسلام عقيدة وشريعة جاء لحل المعضلات التي يعاني منها الفكر البشري، ولهذا فإنه عمل على تذليل هذه المشكلة وحلها بأسلوبه الخاص وتمثل ذلك في بداية عهده وخاصة في القرون الأولى له.
ولكن هذه المشكلة ما لبثت أن تفاقمت عقب بروز الفتن التي وقعت بين المسلمين بسبب المؤامرات التي حيكت ضدهم من قبل أهل الكفر والضلال، فعلى أثر مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وما تلى ذلك من محن وآلام بين المسلمين استتبع هذا الأمر بروز مسألة اختلف الناس فيها وهي قضية مرتكب الكبيرة، وما الفرق بين المؤمن والكافر، وكذا العاصي. وما معنى القضاء والقدر، وهل الإنسان مجبر على فعله أم مخير فيه، وقد تفرع عن هذه القضية كثير من المسائل التي اشتغل العلماء في سردها والرد عليها إبّان تلك الأحقاب وما بعدها.
وقد كانت هذه المسألة الهامة سبباً في ولادة مدارس مختلفة المشارب. منها: مدرسة الاعتزال وقد سمي أصحابها بالمعتزلة، وهم القائلون بأن الإنسان مختار خالق لأفعاله الاختيارية. =

وجلّ ــ ، لأن قدرة الله قديمة لا تتخصص ببعض المقدورات دون البعض، بل تتعلق بكل ما يصلح مقدوراً في نفسه، وأفعال العباد حوادث صلحت مقدورة في نفسها، فيتعلق بها فإذا وجدت كانت مخلوقة بخلق الله تعالى.

[٧٩] **فصل**: العبد ليس بخالق لأفعاله، ولا بموجد لها[١]، لأنه لو كان

= وفي مقابل ذلك نشأت مدرسة أخرى تسمى «بالجبرية»، وهم القائلون بأن الإنسان مجبر وأنه ليس له من الأمر شيء بل هو كالريشة في مهب الريح. وهناك مدارس أخرى، إلا أن الله تعالى قد رحم هذه الأمة ولطف بها إذ قيض لها طائفة من أهل السنّة والجماعة، الذين لا يزالون ظاهرين على الحق، حيث توسطت هذه المدرسة في هذه القضية معتمدة على الكتاب والسنّة.

وقد رد علماؤها على المخالفين في كثير من المؤلفات التي وضعوها لهذا الغرض.

(١) يورد المصنف رحمه الله في هذا الفصل رأي أهل السنّة والجماعة وهو خلاف رأي المعتزلة الذين قالوا بأن العبد خالق لأفعاله الاختيارية.

يقول القاضي عبد الجبار: (خلق أفعال العباد والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها). انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٣٢٣ ــ ٣٣٦، وانظر رسائل العدل والتوحيد له ص٢٣٢.

أما مذهب أهل السنّة فهو أن جميع أفعال العباد على الحقيقة واقعة بقدرة الله تعالى، ويسميها الأشاعرة كسباً، أما الماتريدية فيسمونها اختياراً تارة وكسباً تارة أخرى.

أما الكسب عند الأشاعرة فيعنون به: تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور. قالوا أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى العادة بأنه يوجد في العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لها فيكون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى إيداعاً وإحداثاً ومكسوباً للعبد. والمراد بكسبه إياه مقارنته بقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير، أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له... ولهم في الفرق بين الكسب والخلق =

قادراً على الخلق والإيجاد، لكان فعله على الوجه الذي قصده وأراده. وحيث لم يقع علم أنه ليس بخالق.

[٨٠] **فصل:** للخلق أفعال صاروا بها عصاة ومطيعين، فهي مخلوقة لله تعالى، فيتعلق الثواب والعقاب بفعلها وقت تخليقها من الله ـ عزّ وجلّ ـ لأن فعل الفاعل ما يدخل تحت قصده وإرادته داعية ويمتنع دخوله تحت كراهية ومصادقة، وهذا تمام في أفعال العباد فكانت فعلاً لهم.

[٨١] **فصل:** دخول مقدور واحد تحت قدرتين، إحداهما قدرة الاختراع، والأخرى / قدرة الاكتساب، جائز كما في الحسِّيات، وإنما الممتنع الدخول [١٠/ ب]

= عبارات مثل قولهم إن الكسب واقع بآلة والخلق لا بآلة. والكسب مقدور وقع في محل قدرته والخلق لا في محل قدرته. مثلاً: حركة زيد وقعت بخلق الله تعالى في غير من قامت به القدرة وهو زيد، ووقعت بكسب زيد في المحل الذي قامت به قدرة زيد وهو نفس زيد.

ـ أما الماتريدية فيقولون: إن الكسب هو صرف القدرة إلى أحد المقدورين، وهو غير مخلوق لأن جميع ما يتوقف عليه فعل الجوارح من الحركات وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار بخلق الله تعالى، لا تأثير لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته عزمُه عقيب خلق الله تعالى هذه الأمور في باطنه عزماً مصمماً بلا تردد. وتوجيهاً صادقاً للفعل طالباً إياه، فإذا وجد العبد ذلك العزم خلق الله تعالى له الفعل، فيكون منسوباً إليه من حيث هو حركة، ومنسوباً إلى العبد من حيث الوصف كالطاعة إذا صلى والمعصية إذا زنى.

انظر في توضيح هذه الآراء: شرح جوهرة التوحيد في مسألة «أفعال العباد» وكذلك كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣/ ١٢٤٣ ـ ١٢٤٤؛ والروضة البهية لابن عذبة ص٤٣؛ وشرح العقائد النسفية ص٥٥؛ وشرح الفقه الأكبر ص٧٨ ونسبة كتاب الإبانة ص١٢٤.

تحت قدرتين[١] وكل واحدة قدرة: الاختراع أو الاكتساب.

[٨٢] **فصل:** المتولد من فعل العبد مخلوق لله ــ عزّ وجلّ ــ مثل الألم في المضروب عقيب الضرب والانكسار عقيب الكسر، لأن هذه الآثار لو كانت فعلاً للعبد ينبغي أن يقدر العبد على الامتناع من الألم في المضروب وحيث لم يقدر، علم أنه غير مقدوره[٢].

[٨٣] **فصل:** صانع العالم لا يكلف عباده ما ليس في وسعهم[٣]، لأن ما

---

(١) يوضح التفتازاني هذه القضية فيقول: (وتحقيقه أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب، وإيجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك هو خلق والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين لكن بجهتين مختلفتين، فالفعل مقدور الله بجهة الإيجاد، ومقدور العبد بجهة الكسب) شرح العقائد النسفية ص٥٨ ــ ٥٩.
وكذا تبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي المعين النسفي ٢/ ٦٤٣.

(٢) في كلام المؤلف رد على المعتزلة القائلين: بأن هذه الأشياء متولدة من فعل العبد وهي فعله، مخلوقة من قبله وهو خالقها. انظر مقالة المعتزلة في:
شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٣٨٨، وما بعدها.
وللرد على المعتزلة في مسألة المتولدات انظر:
ــ التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي ص٣٠٢ وما بعدها، وكتاب تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي له ٢/ ٦٨٠.

(٣) هذه المسألة من المسائل المعنوية. قال صاحب الروضة البهية مشيراً إلى مذهب أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وحاكياً عنهم حيث قالوا: بأنه لا يجوز تكليف ما لا يطاق. ونقل عن مذهب الأشاعرة وقول الأشعري بجوازه. وقد خالف بعض كبار أصحاب الأشعرية شيخهم في هذه المسألة ومنهم: أبو محمد الإسفراييني ت٤٠٦ وحجة الإسلام الغزالي، ومجتهد القرن السابع ابن دقيق العيد راجع: الروضة البهية لأبي عذبة ص٨٢ ــ ٨٦. =

يقتضيه التكليف لا يتخفف مع العجز، لأن قضية كونه بحال لو أتى به يثاب عليه باعتبار كونه مطيعاً ولو تركه يعاقب باعتبار كونه عاصياً، وهذا لا يتحقق مع العجز وعدم الآلة.

[٨٤] **فصل**: صانع العالم متفضل(١) بالخلق والاختراع، متطول(٢) بتكليف العباد، لم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه لأنه هو الموجب والآمر

= أما الإمام النسفي فقد أوضح هذه المسألة بقوله: (ولا يكلف العبد بما ليس في وسعه، سواء كان ممتنعاً في نفسه جمع الضدين، أو ممكناً في نفسه لكن لا يمكن للعبد، كخلق الجسم، وأما ما يمتنع بناء على أن الله تعالى علم خلافه كإيمان الكافر وطاعة العاصي، فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدوراً للمكلف بالنظر إلى نفسه، ثم عدم التكليف بما ليس في الوسع متفق عليه لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. والأمر في قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: ٣١]، للتعجيز دون التكليف. وقوله حكاية عن حال المؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ليس المراد بالتحميل هو التكليف بل إيصال ما لا يطاق من العوارض إليهم. وإنما النزاع في الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلي وجوزه الأشعري لأنه لا يقبح من الله تعالى شيء).

شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص٦٢ ــ ٦٣.

وانظر في أدلة الأشاعرة وذلك في: الإرشاد للجويني ص٢٢٦ ــ ٢٢٧ وما بعدها.

ــ ورد الماتريدية في: إشارات المرام للإمام البياضي ص٢٤٨ وما بعدها.

(١) أي أنه تعالى هو الخالق البارىء الموجد لهذا العالم وهو الفاعل المختار: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وخلقه وإبداعه وصنعه منزّه عن الأغراض، كما أنه غير مقيد بإرادة خارجية تملى عليه. فهو فاعل بالاختيار غير موجب بالذات.

(٢) قوله متطول بتكليف العباد: لا معنى له، وربما قصد المؤلف: أنه تعالى ذو الطول، أو ذو الفضل والإنعام. والأولى أن يقول: متفضل.

والناهي[1]، (وكيف يسلب الإيجاب أو يتعوض؟، للزوم خطاب الله تعالى رب الأرباب[2].

• • •

(١) لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وتصرفه في الخلق تصرف حق وصدق فهو تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

(٢) في الأصل هكذا: (وكيف يتهق الإيجاد أو يتعوض للزوم خطاب...)، ولم يظهر لي معنى هذه العبارة.
والمثبت هو ما اقتضاه السياق، وربما قصد المصنف أن خطاب الله تعالى للعباد أمر ونهي، وذلك لقدرته وإرادته الفاعلة بالاختيار لا أنه موجب بالذات وهو ما يتعارض مع خطاب الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. كما أنه تعالى منزّه عن العوض فأفعاله ليست معللة بعلة، ولا بحاجة إلى ثواب أو عوض على إحسانه وتوفيقه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ــ ٥٨].

(الصـلاح والأصـلح)

[٨٥] **فـصـل**: الأصلح ليس بواجب على الله[١]، ولا ما هو المصلحة، لأنه

---

(١) الصلاح والأصلح:
هذه القضية من المسائل التي أثارها المعتزلة، وهي متفرعة عن أحد أصولهم الخمسة التي عُرفوا بها وهي: «العدل»، فهم يرون أن الله تعالى ما دام عادلاً فهو يفعل لعباده ما هو صلاح لهم، بل ما هو أصلح. ويذهب الشهرستاني إلى (أن النظّام (إبراهيم بن سيار بن هاني) هو الذي قال بهذه المقولة أخذاً عن الفلاسفة ومن قوله: إن فاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم وزاد أيضاً على هذا الاختيار فقال إنما يقدر على فعل ما يعلم أن فيه صلاحاً لعباده ولا يقدر على أن يفعل لعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم)، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٨٠ ــ ٨١.
وقد تتبع الأشاعرة والماتريدية قول المعتزلة في هذه القضية وردوا عليها، من ذلك ما جاء في نقد التفتازاني لها بقوله: (وما هو الأصلح للعبد، فليس ذلك بواجب على الله تعالى، وإلا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة، ولما كان له منّة على العباد واستحقاق شكر الهداية، وإفاضة أنواع الخيرات لكونها أداء للواجب، ولما كان امتنان الله على النبـيّ عليه السلام فوق امتنانه على أبـي جهل لعنه الله. إذ فعل بكل منهما غاية مقدوره من الأصلح له. ولما كان لسؤال العظمة والتوفيق وكشف الضراء والبسط في الخصب والرخاء معنى، لأن ما لم يفعله في حق كل واحد فهو مفسدة له، يجب على الله تعالى تركها ولما بقي من قدر الله تعالى =

خلق الكفر والمعصية، فلو كان الأصلح واجباً عليه/ لما خلقهما، لأنهما[١١/ أ] ليسا بمصلحة، بل هما مفسدة في حق العبد، لأنهما سبب للعقاب في الدنيا والآخرة.

● ● ●

= بالنسبة إلى مصالح العباد شيء إذ قد أتى بالواجب...
أما عن شبهتهم إن ترك الأصلح يكون سفهاً فجوابه: (أن منع ما يكون حق المانع وقد ثبتت بالأدلة القاطعة كرمه وحكمته ولطفه، وعلمه بالعواقب يكون محض عدل وحكمة، ثم ليت شعري ما معنى وجوب الشيء على الله تعالى؟ إذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب، وهو ظاهر، ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك، بناء على استلزامه محالاً من سفه أو جهل أو عبث أو بخل أو نحو ذلك، لأنه رفض لقاعدة الاختيار وميل إلى الفلسفة الظاهرة العوار). شرح العقائد النسفية ص٦٦، وللمزيد انظر: التمهيد لقواعد التوحيد، للنسفي ص٣٣٩ وما بعدها؛ وشرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ص١٩٠ ــ ١٩٢؛ وتبصرة الأدلة ١/ ٧٢٣.
وقد ألهم الله تعالى الإمام أبا الحسن الأشعري حين جادل الجبائي في هذه المسألة وأفحمه، فقد سأل الإمام الأشعري أبا علي فقال: (ثلاثة إخوة، أحدهم تقي، والثاني كافر، والثالث مات صبياً، فقال: أما الأول ففي الجنة، والثاني ففي النار، والصبي فمن أهل السلامة، قال: فإن أراد أن يصعد إلى أخيه، قال: لا، لأنه يقال له إن أخاك إنما وصل إلى هناك بعمله، قال: فإن قال الصغير: ما التقصير مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة. قال يقول الله له: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ولاستحقيت العذاب، فراعيت مصلحتك، قال: فلو قال الأخ الأكبر يا رب كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني؟ فانقطع الجبائي).
سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٤/ ١٨٤. وانظر كذلك: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٣/ ٣٥٦.

(الثـواب والعقـاب)

[٨٦] **فصـل**: الطاعات علامات الثواب لا عللاً، والمعاصي علامات العقاب لا عللها[١]، لأن القديم سبحانه وتعالى لا يستحق عليه، وهو المعبود المستحق للعبادة، ثوابه وعقابه عدل، لا واجب على الله ــ عزّ وجلّ ــ لأن الواجب يقتضي موجباً والموجب فوق الموجب عليه وليس أحد فوق الله ــ عزّ وجلّ ــ .

[٨٧] **فصـل**: جزاء[٢] الأعمال من أعمال الثواب والعقاب يتعلق بأفعال العباد[٣] لا بتقدير الله ــ عزّ وجلّ ــ[٤] لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا

(١) أي أن الطاعة لا تكون سبباً في الثواب، والمعصية لا تكون علة للعقاب، وإن الطاعة أمارة فقط على توفيق الله تعالى لعبده وإعطائه الخير.
انظر في هذا الشأن: ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد ص٧١.

(٢) في الأصل: جزا.

(٣) ورد في حاشية المخطوط: (يعني أن مناط الجزاء كسب العبد لفعل نفسه واختياره إياه لا التقدير إذ لو كان المناط التقدير لكان العبد مجبوراً وليس محرراً).

(٤) قوله: لا بتقدير الله عزّ وجلّ على أنه لا يتعلق به أي أن الثواب والعقاب راجع إلى كسب العبد واختياره لا كسباً لله تعالى؛ وذلك حتى يرتب الجزاء والعقاب على الفعل تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤].
وكلام المصنف وما قبله جاء في الرد على المعتزلة الذين قالوا: بأن الثواب والعقاب واجبان على الله تعالى على طاعة العبد ومعصيته، لأن العبد يستحق هذا الثواب نظير =

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

[٨٨] **فصل**: المقتول ميت بأجله[2]، ولا أجل له سوى ذلك، ولا يتقدم

= ما قدم من عمل، وما قام به من طاعات، وما بذله من قربات، وذلك لأن عدم إعطاء الحق إلى مستحقه قبح وهذا لا يليق بالله عزّ وجلّ.

ولا شك أن في رأي المعتزلة تهوراً وجموحاً كبيراً؛ فإن الطاعة التي يقوم بها العبد لا تكفي لشكر الله تعالى على ما أعطاه من هذه النعم التي نحيا بها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ضوء جديد على جوهرة التوحيد ٦٨ ــ ٦٩.

(١) [يس: ٥٤].

(٢) فيه رد على مقولة بعض المعتزلة الذين قالوا: إنه غير مقتول بأجله وله أجل آخر. وإن الله قد قطع عليه الأجل.

وهذا الرأي ليس محل اتفاق بين عامة المعتزلة، فالكعبي وأبو الهذيل العلاف يريان ما تقدم.

انظر: تبصرة الأدلة للنسفي ٢/ ٦٨٦.

أما القاضي عبد الجبار فقد خالف أستاذه أبا الهذيل في هذه المسألة.

ــ انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٧٨٢ ــ ٧٨٣.

وقد فنّد أهل السنّة والجماعة هذه المقولة بأن المقتول ميت بأجله أي في الوقت المقدر لموته، وأن الله تعالى حدد ذلك وفق المشيئة والإرادة.

فالله تعالى حكم بآجال العباد على ما علم، من غير تردد، وبأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: ٦١].

(أما احتجاج المعتزلة بالأحاديث الواردة في أن بعض الطاعات تزيد في العمر وبأنه لو كان ميتاً بأجله، لما استحق القاتل ذماً ولا عقاباً ولا دية ولا قصاصاً، إذ ليس موت المقتول بخلقه ولا بكسبه.

والجواب عن الأول: أن الله تعالى كان يعلم أنه لو لم يفعل هذه الطاعات، لكان =

أجله ولا يتأخر، لأنه إذا علم الله أنه يموت غداً بأجله، يستحيل أن يقتل اليوم لا بأجله، لأنه يؤدي إلى تعجيز الله تعالى عن إحياء عبده إلى الغد، وأنه محال.

[٨٩] **فصل**: وكل آدمي له أجل واحد[١] لأنه لو كان له أجلان من تعيين يؤدي إلى أن الله تعالى لا يعرف عواقب الأمور تعالى الله عن ذلك.

[٩٠] **فصل**: والأجل عبارة عن المدة وعن نهاية المدة إلا أنه في الثاني [١١/ ب]/ أكثر استعمالاً، والقتل فعل قائم بالقاتل، والموت إزهاق الروح ـ مخلوق لله تعالى[٢] لا صنع للقاتل في المحل، وكذلك كل محدث يحدث في العالم بغير صانع فهو مخلوق لله تعالى، وهو محدث بإحداثه بما ذكرنا في حدوث العالم.

= عمره أربعين سنة، لكنه علم أنه إن يفعلها يكون عمره سبعين سنة. فنسبت هذه الزيادة إلى تلك الطاعة بناء على علم الله تعالى أنه لولاها لما كانت تلك الزيادة.

وعن الثاني: أن وجوب العقاب والضمان على القاتل تعبدي لارتكابه المنهي وكسبه الفعل الذي يخلق الله تعالى عقيبه الموت، بطريق جري العادة، فإن القتل فعل القاتل كسباً وإن لم يكن له خلقاً)، شرح العقائد النسفية ص٦٤.

وانظر في بقية الردود والأدلة في: التمهيد لقواعد التوحيد ص٣٠٦ وما بعدها؛ وكذا تبصرة الأدلة ص٢/ ٦٨٦ ـ ٦٨٧؛ وشرح الفقه الأكبر ص١٨٩.

وأصول الدين للبغدادي ص١٤٢ ـ ١٤٤.

والإرشاد للجويني ص٣٦٢ ـ ٣٦٣؛ والعقيدة النظامية له أيضاً ص٨٢.

(١) انظر: شرح العقائد النسفية ص٦٤.

(٢) لأن الموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد تخليقاً ولا اكتساباً، ومبني هذا على أن الموت وجودي بدليل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ . . .﴾ [الملك: ٢]، ومعنى خلق الموت: قدره)، شرح العقائد النسفية ص٦٤.

(الـرزق والإرزاق)

[٩١] **فصل**: الرزق[١] ما يصل إلى العبد ويتغذى به، سواء كان حلالاً أو حراماً، مملوكاً أو غير مملوك، لأنه لو كان الرزق حلالاً أو مملوكاً لما تصور أن يرزق من لم يقدر على الحلال أو من ليس له ملك[٢].

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) قول المؤلف هذا رد على شبهة المعتزلة الذين ذهبوا إلى (أن الحرام مما يقع به الاغتذاء ثم لا يجوز أن يكون رزقاً)، شرح الأصول الخمسة ص٧٨٧.
ومن الردود الأخرى لأهل السنّة عليهم، أن هذه المقولة جاءت على أصلهم في القبح، وعليه: فإنه من يأكل طول عمره الحرام لم يكن مرزوقاً... وكما يطلق الرزق على ما يتغذى به، يطلق أيضاً على ما يملك مطلقاً. فجاز إطلاقه على الرزق وغيره.
ومن ذلك أيضاً أنه تبارك وتعالى قسم أرزاق العباد، حلالاً وحراماً، كما صرفهم بحكمة في الطاعات والزلات توفيقاً وخذلاناً وعطاء وحرماناً. ومن زعم أن الظلمة والذين يتعاطون الحرام ليسوا في رزق الله فقد أخرج معظم الخلائق في معظم الأوقات عن كونهم مرتزقة لله تعالى.
وقال تبارك وتعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].
يراجع في هذا: التمهيد للنسفي ص٣١٠ ـ ٣١٢؛ وتبصرة الأدلة ص٢/٦٨٨؛ والعقائد النسفية ص٦٤ ـ ٦٥؛ وشرح المقاصد للتفتازاني ص٣١٨ ـ ٣١٩؛ =

[٩٢] **فصل**: وكل واحد يستوفي رزق نفسه، ولا يتصور استيفاؤه رزق غيره[١] لما بقي لذلك الآخر رزق يستوفيه فيؤدي إلى هلاكه.

المعاصي بإرادة الله تعالى ومشيئته، وكل فعل من أفعال العباد إذا وجد على أي صفة وجد، فإن كان طاعة فهو بمشيئة الله تعالى وإرادته وقضائه وقدره ورضائه ومحبته وأمره، وإن كان معصية فهو بمشيئته وإرادته وقضائه وقدره وليس بأمره ولا كان رضاه ولا محبته، لأن أمره ورضاه ومحبته ترجع إلى كون الشيء مستحسناً عنده، وذلك يليق بالطاعة دون المعاصي[٢]، ولأن أفعال العباد/ [١٢/ أ] كلها مخلوقة بخلق الله تعالى، فإذا كانت[٣] مخلوقة بخلقه

= والإرشاد ص٣٦٤ ـ ٣٦٦.

(١) بعد هذه الكلمة مباشرة وجدت في حاشية المخطوط هذه العبارة: (أنه لو استوفى رزق غيره) وهي سليمة وتؤدي إلى المعنى المطلوب.

(٢) هذه المسألة أيضاً من المسائل التي كانت مدار الخلاف بين أهل السنّة والمعتزلة، الذين يرون (بأن الله تعالى لا يريد القبائح، وحجتهم أنه لو كان مريداً للقبيح لوجب أن يكون فاعلاً لإرادة القبيح، وإرادة القبيح قبيحة، والله تعالى لا يفعل القبيح لأنه عالم بقبحه ومستغن عنه). انظر الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار ص٤٦١.
وتعددت ردود أهل السنّة على المعتزلة، فمن ذلك قول النسفي:
(إنه إذا ثبت أن الله تعالى هو الذي يتولى تخليق أفعال العباد خيرها وشرها، طاعتها ومعصيتها والله تعالى مختار في تخليق ما يخلق غير مضطر فيه، ولا اختيار بدون إرادة ثبت أن ما وجد من أفعال العباد كلها بإرادة الله ـ تعالى ـ وما لم يوجد منها لم يكن بإرادة الله تعالى إذا لم يخلقه). التمهيد لقواعد التوحيد ص٣١٤؛ وانظر: تبصرة الأدلة ٢/ ٦٦١ وما بعدها، ففيه ردود كثيرة على أقوال المعتزلة في هذه القضية.

(٣) قارن بين كلام المصنف بكلام النسفي في (التمهيد لقواعد التوحيد ص٣١٤ ـ =

. . . .

= ٣١٥). وهذه من المسائل التي تتصل مباشرة بمبحث إرادة الخير والشر، التي وقع الخلاف فيها أيضاً بين المتكلمين. فالمعتزلة يرون أن إرادة الشر شر، وإرادة القبيح قبيحة، والله تعالى منزه عن الشرور والقبائح، وقد بنوا رأيهم على قاعدة الحسن والقبح العقليين. فالحسن والقبيح للأشياء صفتان من صفاتهما الذاتية، فالكذب فيه قبح ذاتي والصدق فيه حسن ذاتي، والشرع لا يأمر بفعل للشيء لأنه في ذاته قبيح، فوظيفة الشرع إذن هي الإخبار وليس الإثبات.

أما مذهب أهل السنّة فيرون أن الحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع، فليس للعقل دخل في هذا إنما المرجع هو الشرع. إذ لو أخذنا برأي المعتزلة لوصل بنا الأمر إلى أننا نوجد مع الله تعالى من يضع الأحكام معه.

كما أن العقل لا يستطيع إدراك تحسين شيء قد أتى الشارع بتقبيحه، وهل يدري العقل لماذا حرم صوم أول شوال ولم يحرم صوم آخر رمضان مثلاً. ومن الأدلة على بطلان قول المعتزلة: ما جاء في قوله ﷺ: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن). رواه أبو داود في كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح، مختصر سنن أبي داود ٧/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥. وفيه مجهول. وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ [هود: ٣٤]، إذ يخبر نوح عليه السلام أن الله تعالى يريد أن يغويهم والمعتزلة يخالفون ويقولون لا يريد أن يغويهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩]؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

كما أن قولهم: إرادة الشرور من العبد لا من الله يلزم عليه أن أكثر ما يقع في ملكه=

كانت بإرادته، إذ لو لم يكن بإرادته لم يكن مختاراً في خلقها بل يكون مضطراً وإنه كفر وضلال.

وقالت المعتزلة: المعاصي ليست بإرادة الله تعالى ولا بمشيئته بل بكراهيته.

[٩٣] **فصل**: إرادة الله تعالى ومشيئته موافقة لعلمه، لا بأمره ونهيه، فكل

= تعالى غير مراد له وهذا ما لا يقول به عاقل.

وعليه فإنه لا يقبح من الله تعالى شيء، غاية الأمر أنه يخفى علينا وجه حسنه، أما الرد على زعمهم أن العقاب ظلم، مردود بأن ذلك تصرف من الله سبحانه وتعالى في خالص ملكه، وهذا لا يعد ظلماً، كما أنه تعالى لا يسأل عما يفعل.

كما إن الإرادة غير الأمر وغير الرضا، ذلكم أن الإرادة صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه. والممكن هو الذي يحتمل الوجود والعدم. فعمل الإرادة هو تخصيص هذا الممكن إما بالوجود، وإما بالعدم.

ـ وعلى رأي المعتزلة، فإن الله تعالى شاء إيمان من في الأرض وما آمنوا، وهو بالنتيجة تكذيب لخبره تعالى، وهو كفر محض، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [الأنعام: ١٠٧] فعلى رأيهم: شاء... ومع ذلك أشركوا، وهو أيضاً تكذيب في خبر الله تعالى.

أما المعقول فهو أن يقال: إن الله تعالى لو شاء من الكافر الإيمان، والكافر شاء الكفر من نفسه.

وكذا إبليس، لو شاء من نفسه الكفر لكانت مشيئة الكافر ومشيئة إبليس أنفذ من مشيئة الله تعالى وهو أمارة العجز، وفي تجويز هذا إبطال دلالة التمانع وهو يؤدي إلى تصحيح مذهب الثنوية وإبطال توحيد الصانع) انظر في هذا: التمهيد ص٣١٨ ـ ٣١٩؛ والمسائل الخمسون للرزاي ص٦١؛ وضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد ٢/ ٧٩ ـ ٨١.

ما علم الله تعالى في الأزل أن يوجد، فقد أراد وجوده خيراً كان أو شراً، وما علم أنه لا يوجد فقد أراد أن لا يوجد، ولما علم من فرعون الكفر، وكذا من سائر العصاة والكفرة.

وقالت المعتزلة: إرادته مطابقة لأمره[1] وذلك أن ما أمر الله فقد أراده، وكل ما نهى عنه فقد كرهه.

---

(١) منشأ الشبهة عند المعتزلة أنهم يسوون بين الأمر والإرادة والرضا. والحق أن هناك فرقاً بينها: لأن الأمر يفيد طلب الفعل، والإرادة لا تفيد ذلك، ولكنها لتخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه... والإرادة كذلك غير الرضا، ذلكم لأن الرضا هو قبول الفعل وترك الأعمال وطبعاً الإرادة غير ذلك.

وبناء على هذه الفروق بين الإرادة وبين الأمر والرضا يمكن التفريق على هذا النحو:

١ ــ يأمر الله تعالى بالشيء ويريده (كالإيمان من المؤمن).

٢ ــ لا يأمر الله تعالى ولا يريد، كالكفر من المؤمن.

٣ ــ يأمر الله ولا يريد، كإيمان الكافر.

٤ ــ لا يأمر الله ويريد، ككفر الكافر.

وقد بين أهل السنّة مذهبهم من خلال محاورتهم للمعتزلة، فقد حكي أن القاضي عبد الجبار الهمذاني أحد شيوخ المعتزلة دخل على (الصاحب بن عبّاد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني أحد أئمة أهل السنّة، فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزّه عن الفحشاء، فقال الأستاذ فوراً: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما شاء، فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء؟

فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء، فبهت القاضي).

انظر: ضوء جديد ٢/ ٨١ ــ ٨٢؛ وكذلك شرح الفقه الأكبر ص٨٦.

دليلنا: أن الله تعالى، لو شاء من كافر الإيمان، والكافر شاء من نفسه الكفر لكانت مشيئة الكفار أنفذ من مشيئة الله تعالى وهو أمارة العجز، تعالى الله عن ذلك.

[٩٤] **فصل:** وأما الأمر والنهي، فنقول: ما أمر الكافر بالإيمان ليؤمن بالله تعالى، وما نهى عن الكفر لينتهي عنه، بل ليجب الإيمان عليه ويحرم الكفر عليه، فيترك الإيمان الواجب ويقدم على الكفر المنهي عنه، فيستحق بذلك/ [١٢/ ب] العقاب، فيتحقق بذلك علم الله بترك الإيمان الواجب وهو يرتكب الكفر المحظور، ويصير بذلك أهلاً للتخليد في النار، فيتحقق بذلك علمه وإخباره، فإذاً كل ذلك لتحقق علمه وإرادته.

[٩٥] **فصل:** والعبد لا يصير مجبوراً بعلم الله[١]، ـ عزّ وجلّ ـ (إن كان لا يمكنه الخروج من إرادة الله تعالى)[٢]. لأن ما أراد منه الأفعال الاختيارية له، من الإيمان ليستحق الثواب أو العقاب، لا الإيمان والكفر جبراً[٣].

• • •

---

(١) لأن العلم صفة كاشفة محيطة بكل ما كان ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من غير سبق خفاء أو جهل عليه تعالى، وتتعلق هذه الصفة بجميع الأمور: واجبها وممكنها ومستحيلها.

(٢) كذا في الأصل: ولعل المصنف يريد أن يقول:
(إن علم الله تعالى، لا يجبر العبد على القيام بأي عمل سواء كان صالحاً أو فاسداً، لأن العلم غير الإرادة على ما سبق بيانه).

(٣) أي أن الأفعال الاختيارية يترتب عليها الثواب أو العقاب بحسب ما يختاره العبد ويكتسبه.

(القضـــاء والقـدر)[1]

[٩٦] **فصـــل:** في القضاء والقدر: اعلم بأن القدر سر والقضاء ظهور السر.

---

(١) للقضاء والقدر في علم التوحيد عند المسلمين تعريفات منها:
(أن القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحداً بعد واحد، مطابقاً للقضاء. والقضاء في الأزل: والقدر فيما لا يزال. والفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها)، التعريفات ص٩٢.
وهذه المسألة قد اختلف العلماء في تقريرها اختلافاً كبيراً، سواء في ذلك أهل السنّة وكذا المعتزلة. وقبل التعرض لآراء العلماء تجدر الإشارة إلى أن هناك علاقة بين العقل البشري الحر وبين علم الله تعالى السابق وتقديره قبل وجوده خلقاً وفعلاً.
أما عن العلم الإلهي السابق والإحياء والإحداث والأفعال في الكون فإن ذلك من أخص خصائص ألوهيته تعالى، ولا نزاع في ذلك ولا تعارض أو تنافي بين إثبات أسبقية العلم الإلهي بكل شيء وبين حرية الإنسان، ولم يكن ذلك مدعاة لشبهة جبر عند أي من المفكرين، بيد أن الذي أدى إلى الشبهة وأحدث الالتباس هو القضاء والقدر (عند بعضهم). والقضاء بمعنى إرادة الله النافذة في الخلق والفعل في زمان ومكان وبكيف وبكم محددين، حسب ما شاء الله عزّ وجلّ.
وما سبق في علمه تعالى مع تسجيل ذلك في صحائف ومسجلات سماوية مع عدم تخلف شيء مما هو مدون عن الحدوث في وقته والمطابقة التامة الدقيقة لما يحدث على الأرض وفي العالم مما هو مدون في هذه الصحائف). القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق الدسوقي ص١/ ٣٤٤.

على اللوح، والحكم نزوله على العبد، فالحكم يقتضي التسليم، والقضاء يقتضي الرضا، والقدر يقتضي التفويض. والقدر في علم الله ــ عزّ وجلّ ــ لا في وجه اللوح والقلم الاطلاع، وإذا اطلع اللوح عليه سمي قضاء، وإذا وصل إلى العبد سمي حكماً. والقدر مقدر في علمه الذي علم وصوله إلى العبد إن شاء، والقدر صفته[1]، والمقدور ملكه، والقدر ليس بمحدود ولا معدود، والمقدور محدود ومعدود، كذلك القضاء والمقضي والحكم والمحكوم. والقدر صفة[2] ربوبيته من/ غير ابتداء تصويباً[3] من الله ــ عزّ وجلّ ــ ، والقضاء إلزام ما صوبه والحكم تعليق ما ألزمه على العبد[4]. [١٣/ أ]

---

(١) على اعتبار رجوعه إلى صفة الفعل.

(٢) ساقطة من الأصل، والزيادة مما اقتضاه السياق.

(٣) الأصح أن يقال: تصريفاً، منعاً من توهم الخطأ من استعمال كلمة «تصويب».

(٤) ظنّ فريق من الناس خطأ ليست له الحرية في الاختيار، و(أن ذلك يستلزم كون الإنسان مجبراً على جميع أفعاله حتى المحاسب عليها، وعلى ذلك تنتفي العدالة الإلهية، مما ألجأ البعض الآخر إثباتاً للعدالة الإلهية وعلاجاً لهذا الانحراف في الفهم العقدي إلى إنكاره تماماً وقالوا: (لا قدر والأمر أنف) وذلك محاولة منهم لإنقاذ الحرية الإنسانية على اعتبار أنهم فهموا أن القدر بهذا المعنى يؤدي إلى إلغاء الحرية ونفي الاختيار.

ولو رجع الفريقان مثبتو القدر ونافوه إلى القرآن والسنّة، باحثين فيهما بالمنهج الصحيح، لوجدوا أن الإسلام يثبت قضاء الله وقدره وسيطرة الله مع علمه السابق على كل شيء، خلقاً وتدبيراً وتنظيماً، مع إثباته حرية الإنسان، ومسؤوليته التامة عن أفعاله الاختيارية واستحقاقه للثواب وكذلك طلاقة العمل الإلهي في توازن وتناسق وإحكام معجز).

=

= القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق الدسوقي ١/ ٣٤٤.

وبالعودة إلى القرآن الكريم، نجد أن معنى القضاء والقدر يدور حول العلم والإرادة والخلق والحكم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]، ففي ذلك تقدير الخلق.

أما دليل تقدير الكم فمنه قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨].

أما تقدير الكيف فمنه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١].

وأما تقدير الماهية والخاصية فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

وتقديره سبحانه وتعالى للمخلوقات في قوله تعالى زمناً وأجلاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤].

(فالقدر على هذا تحديد ماهيات وخاصيات وأعراض الخلائق وأفعالها مع تحديد حدوث الخلائق زماناً ومكاناً، وكيفية أفعالها في زمان ومكان محددين، كذلك كل ذلك محدد ومدون قبل الحدوث)، المرجع السابق ١/ ٣٤٤.

ومعاني القضاء تدور حول الخلق والإبداع، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]. وقد تأتي بمعنى الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. انظر ضوء جديد ٢/ ٨٥.

إلا أن الخلاف بين علماء أهل السنّة، قد دار حول تحديد المراد من القضاء والقدر، ففي حين يرى جمهور الماتريدية: أن القضاء هو إيجاد الله تعالى الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان فهو صفة فعل عندهم.

أما القدر: فهو عندهم: تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر، وما إلى ذلك. أي علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات. =

. . . .

= فيرجع القدر عندهم إلى صفة العلم، وهو من صفات الذات.

أما الأشاعرة: فقد ذهبوا إلى أن القضاء هو إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال، فهو من صفات الذات عندهم.

بينما يرون أن القدر: معناه إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين، في ذواتها وأحوالها طبق ما أراده الله تعالى.

وعليه فإن القدر عندهم يرجع إلى صفة الفعل لأنه عبارة عن الإيجاد وهو من صفة الأفعال.

والخلاف بين الفريقين اجتهادي، وهو يعود في مجمله إلى فهم كل منهما لمعنى القضاء والقدر بحسب الأدلة التي استندا إليها.

راجع في هذا الخصوص: كتاب التوحيد للإمام الماتريدي وكذلك: نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة ص١١١ ـ ١١٢؛ وإشارات المرام للبياضي ص٢٦٤ ـ ٢٦٥؛ وشرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ص٦٥ ـ ٦٦؛ وضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد ٢/ ٨٦.

أما المعتزلة فهم يرون أن أفعال العباد منسوبة إلى قدرهم فهم ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم بل إلى اختيار العباد وقدرتهم.

يقول القاضي عبد الجبار: (وإذا عرفت ذلك وسألك سائل عن أفعال العباد أهي بقضاء الله تعالى وقدره أم لا؟ كان الواجب في الجواب عنه أن نقول: إن أردت بالقضاء والقدر: الخلق، فمعاذ الله من ذلك، وكيف تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وهي موقوفة على قصدهم ودواعيهم، إن شاءوا فعلوها، وإن كرهوا تركوها). انظر شرح الأصول الخمسة ص٧٧١ وما بعدها.

وقد صور المعتزلة هذه المسألة كالتالي: (لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب الرضا به، لأن الرضا بالقضاء واجب، واللازم باطل، لأن الرضا بالكفر كفر، فثبت =

[٩٧] **فصل**: الجبر[1] على ضربين: جبر من الإجبار، وجبر من

= أن الكفر ليس بقضاء الله فلم تكن جميع أفعال العباد بقضاء الله تعالى. . . .

وهذا الرأي مدفوع بأن الكفر مقضي لا قضاء، والرضا إنما يجب بالقضاء دون المقضي، وتوضيحه أن الكفر له نسبة إليه سبحانه وهي كونه خلقه على مقتضى حكمته ولا اعتراض عليه في مشيئته فإنه مالك الملك يتصرف فيه كيف يشاء، لا يتضرر بشيء كما لا ينتفع به، وله نسبة أخرى إلى المكلف وهي وقوعه صفة له بكسبه واختياره والاعتراض واقع عليه في فعله لأنه أسخط مولاه واستحق العقوبة الدائمة في عقباه.

هذا ومن رضي بكفر نفسه فقد كفر اتفاقاً، ومن رضي بكفر غيره ففيه اختلاف المشايخ. والأصح أنه لا يكفر بالرضا بكفر الغير، إن كان لا يحب الكفر. ولكن يتمنى أن يسلب عنه الإيمان حتى ينتقم منه على ظلمه وإيذائه. . . ويؤيده قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨].

ومن الأدلة على تطبيق السلف الصالح لعقيدة القضاء والقدر ما روي:

أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه(أنه كان يعاقب من يعتذر بالقدر عما يرتكب، ويروى أنه أتي بسارق فقال له: لم سرقت؟ فقال: قضى الله علي بذلك، فأمر به فقطعت يده، وضرب أسواطاً، فقيل له في ذلك فقال: القطع للسرقة والجلد لما كذب على الله، وفي رواية أنه قال له عندما احتج بالقدر، فأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره).

راجع: شرح الفقه الأكبر ص٦٥ ــ ٦٦، وكذا ص٣٩؛ وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٣٥؛ وكذا: الفتاوى لابن تيمية ٨/ ٥٨ ــ ٦١.

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى وسمي أصحاب هذا المذهب بالجبرية ورئيسهم جهم بن صفوان الترمذي السمرقندي (ت١٢٨هـ ــ ٧٤٥م) وذلك لأنهم يقولون إن التدبير في أفعال الخلق كلها لله ــ تعالى ــ وهي =

الجبروت، والإجبار يزيل الأفعال، والجبروت يزيل الاستغناء. فالعبد ليس بمجبور إجباراً يزيل الفعل، بل هو مختار في الفعل تحت الجبروت، مفتقر إلى الله ــ عزّ وجلّ ــ بورود التوفيق ووجود الاستطاعة. فمن جهة تخليق الأفعال في أعضائه وإخراجها من العدم إلى الوجود مجبور يعني ليس بخالق الأفعال وإنما حصلت الأفعال بالتخليق، فهو في استعمالها غير مجبور بل مختار في استعمالها، لأن الله تعالى أعطى له التمييز (متولداً[1] من العقل) والفهم والذهن. ليس كشجرة تحركها الريح تسخيراً من غير تمييز،

= كلها اضطرارية لا اختيار للخلق فيها، ولا قدرة كحركات المرتعش وحركات العروق النابضة، وإضافتها إلى الخلق مجاز.

أما أهل السنّة فيقولون إن للخلق أفعالاً بها صاروا عصاة ومطيعين. وهي مخلوقة لله تعالى فيتعلق الثواب والعقاب بفعلهم دون تخليق الله تعالى.

ويردون على الجبرية بالتالي:

إننا نفرق بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم أن الأول باختيار دون الثاني. ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلاً لما صح تكليف، ولا ترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله، ولا إسناد الأفعال التي تقتضي سابقة القصد والاختيار إليه على سبيل الحقيقة مثل: صلى، وصام، وكتب. بخلاف مثل طال واسود لونه.

انظر: التمهيد لقواعد التوحيد ص٢٧٧ ــ ٢٧٨؛ وكذا لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٩٢.

ومن الأدلة الشرعية التي استند أهل السنّة إليها، قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤].

فقد أثبت لهم أسماء الأعمال، ولفعلهم اسم الفعل، وأمر بذلك ونهى، وقابله بالوعد والوعيد. ومحال الأمر بما لا فعل للمأمور والنهي عما لا فعل للمنهي) التمهيد ص٢٧٩.

(١) في الأصل: (متولداً فإن أمن العقل) وليس لهذه العبارة معنى، والمثبت أصح.

أو كسحاب. والشمس والقمر وسائر المسخرات، لأنه مأمور منهي.

والمجبورات غير مأمورات، ولا منهيات، والعبد مثاب ومعاقب، والمسخرات لا ثواب لها ولا عقاب، فثبت أن العبد ليس بمجبور إجباراً يزيل الفعل، وليس بمستغن، يقدر على إيجاد المعدوم لأنه ليس بخالق[١].

[٩٨] **فصل**: اعلم أن المذهب المستقيم أن تقدير الخير والشر من الله تعالى، وفعل الخير والشر من العبد، والعبد مختار في فعله/ اختيار تمييز[١٣/ ب] وتحصيل لا اختيار مشيئة وقدرة. والعبد مخاطب بمراعاة[٢] الأمر والنهي وبالنظر إلى القضاء والقدر، فيحصل له الخوف والرجاء والاجتهاد والرغبة وهو غير مسؤول في جانب القضاء والقدر[٣] ليثاب ويعاقب بل هو مسؤول في جانب الأمر والنهي للثواب والعقاب، وليس للعبد أن يقول عاذراً لنفسه: بأن القضاء والقدر هكذا أجري علي فما ذنبي؟[٤] بل العبد ملزم

---

(١) قول المصنف رد على الجبرية ودليل على فساد مذهبهم.
وللمزيد هناك ردود أخرى في شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٩٧.

(٢) في الأصل: مراعات.

(٣) لأنه غيب لم يطلع عليه مسبقاً، ولم يؤمر العبد باكتشافه بل عليه التسليم بهذه القضية لأمر الله تعالى والاشتغال بما هو مطلوب منه.

(٤) ليس للعبد أن يحتج بالقضاء والقدر على ما يرتكب من آثام كما مر سابقاً ــ مدعياً بأن الله تعالى قد كتب عليه ذلك تخلصاً من العقوبة، فهذا غير مقبول منه. أما إذا احتج بالقضاء والقدر اعترافاً بالمعصية ومقدار الذنب والخطيئة التي ارتكبها نادماً فهو المطلوب. وبهذا يرد على المعترض الذي احتج بالحديث الشريف في قصة احتجاج موسى عليه السلام على آدم عليه السلام، وبقوله: (أتلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاماً) الحديث مروي في صحيح البخاري ولفظه في صحيح مسلم: (قال رسول الله ﷺ: احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، =

بمراعاة[١] الأمر والنهي، فيقال له إنك سلمت إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ الربوبية[٢] وصدقته بأن القضاء والقدر منه ربوبية، فكذلك الأمر والنهي.

[٩٩] **فصل**: واعلم أن لكل عبد هدى[٣] ورشداً فمن الله ـ عزّ وجلّ ـ

= أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده أتلومني على أمر قدّره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبيّ ﷺ: فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى) باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ٤٦ كتاب القدر رقم الحديث (١٣ ـ ٢٦٥٢) ٨/ ٤٥٠ وهناك روايات أخرى لهذا الحديث.

(١) في الأصل: مراعات.

(٢) الأصح أن يقول: بالربوبية.

(٣) في الأصل: هدا، وهو خطأ.

ومسألة الهداية والإضلال تتعلق بخلق أفعال العباد إذ أن الهدى هو خلق فعل الإهداء والإضلال خلق فعل الضلال، وهو المعنى من قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤].

والهداية أنواع، فهناك الهداية العامة لجميع المخلوقات والتي تفهم من قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

وهناك الإرشاد لطريق الفوز والهلاك التي تعم المؤمن والكافر: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠].

وهناك هداية التوفيق والإلهام: وهي المستلزمة للاهتداء جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهي المرادة هناك، وهي جزاء من الله تعالى للعبد على إقباله عليه وتوفيقه له على ذلك الإقبال كما يجازي من أعرض عنه بالخذلان وترك المساعدة والمناظرة).

انظر: ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد ٢/ ٤٩، وشرح جوهرة التوحيد =

فضل وكل من خذل وحرم فمن الله عدل، وصفة الله ـ عزّ وجلّ ـ الفضل والعدل، فمن أعطاه الهدى فقد عامله بالفضل[1]، ومن حرمه فقد عامله

= للبيجوري ص٩٩ ـ ١٠٠.

فالهداية عند أهل السنّة ترجع إلى (خلق الإيمان والاهتداء، والكفر والضلال بناء على أن الله تعالى هو الخالق وحده خلافاً للمعتزلة بناء على أصلهم الفاسد أنه لو خلق فيهم الهدى والضلال لما صح منه المدح والثواب والذم والعقاب، فحملوا الهداية على الإرشاد على طريق الحق بالبيان، ونصب الأدلة أو الإرشاد في الآخرة إلى طريق الجنة، والإضلال على الإهلاك، والتعذب أو التسمية والتثبيت، والتلقيب بالضال أو الوجدان ضالاً ولما ظهر على بعضهم أن بعض هذه المعاني تقبل التعليق بالمشيئة وبعضها لا يخص المؤمن دون الكافر، وبعضها ليس مضافاً إلى الله تعالى دون النبيّ ﷺ وبعض معاني الإضلال لا يقابل الهداية، جعلوا الهداية بمعنى الدلالة الموصلة إلى النعيم والإضلال مع أنه فعل الشيطان مسنداً إلى الله تعالى مجازاً لما أنه بإقداره وتمكينه، ولأن ضلالهم بواسطة ضربه المثل في: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، أو بواسطة الفتنة التي هي الابتلاء والتكليف في: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ومذهب أهل السنّة: أن الهداية هي الدلالة على الطريق الموصل سواء كانت موصلة أم لا، والعدول إلى المجاز إنما يصح عند تعذر الحقيقة، ولا تعذر، وبعض المواضع من كلام الله تعالى يشهد للمتأمل بأن إضافة الهداية والإضلال إلى الله ليست إلا بطريق الحقيقة).

راجع في ذلك: شرح المقاصد ص٣١١، وللمزيد انظر: رد السفاريني في لوامع الأنوار ١/ ٣٣٥ وما بعدها.

(١) الله تعالى متصف بكمال القدرة وكمال العدل والحكمة فهو الغني المتعال، وما وضعه من ثواب وعقاب، إلا ويعلم أين يضعه فهو تعالى منزه عن الشريك وإرادته غير مقيدة بإرادة خارجية فليس فوقه آمر ولا ناه وليس لأحد أن يتعقبه بسؤال على =

بالعدل ولا يوصف بالجور والخطأ يظهران من الله تعالى الأمور لا من الأمر فمنع التوفيق ليس بقدر للعبد لأنه عادل في منعه متفضل في إعطائه، فالكل منه وإليه ليس للعبد اعتراض ولا منه مهرب، فينبغي للعبد أن يرضى بجميع ما قضى الله تعالى عليه/ [١٤/ أ] وقدره ويلزم طريق الصبر والتسليم والتفويض، وهو لا يخوض في قضاء الله وقدره، أو بوسوسة أو مقال؛ فإن الله تعالى أخفى علم القدر عن عباده ونهاهم عن مرامه(١)، ومنعهم عن الاعتراض فيه

= أفعاله. (وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعذيباً لحقه عليهم، وكانوا إذاك مستحقين للعذاب لأن أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال ﷺ: (لن ينجي أحداً منكم عمله)، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)، رواه الإمام مسلم ٩/ ١٧٤ ـ ١٧٦. فرحمته لهم ليست في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمناً لها فإنها خير منها كما قال في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ٥/ ١٨٥: (ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم)، فجمع بين الأمرين في الحديث إنه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالماً لهم وإنه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم إذ رحمته خير لهم من أعمالهم.

فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها، فكيف يستحقون بها على الله النجاة، وطاعة المطيع لا نسبة لها إلى نعمة من نعم الله، فتبقى سائر النعم تتقاضاه شكراً، والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله، فما نجا منهم أحد إلا بعفوه ومغفرته، ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته).

لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(١) يؤكد هذا المعنى كلام الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه حيث يقول:

إن الله تعالى أراد بنا شيئاً، وأراد منا شيئاً، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا؟

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢.

والسؤال عنه كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١].

وقال ﷺ: (لما خلق الله الخلق جعل طباعهم في النهي متحركة وفي الأمر ساكنة وأمرهم أن يسكنوا على المتحرك وأن يتحركوا بالساكن ولا تجدوا إلى ذلك سبيلاً إلا بحول الله وقوته)[٢].

وخالفنا في هذه المسألة[٣] القدري[٤] والجبري[٥].

فقال القدري: الخير والشر فعل العبد ليس لله تعالى صنع فيه.

وقال الجبري: الخير والشر من الله تعالى ـ عزّ وجلّ ـ ليس للعبد فيه فعل، الدلالة على بطلان ما قالا ما ذكرنا من الدلائل.

[١٠٠] **فصل**: اعلم أن جميع أحكام الله تعالى ثلاثة[٦]: حكم شاء الله وأحبه وهو: الفرائض، وحكم شاء الله وأحبه ولم يأمر به وهو: النوافل، وحكم شاء الله ولم يحبه ولم يأمر به وهو: المعاصي.

[١٠١] **فصل**: اعلم أن جميع ما قضى الله ـ عزّ وجلّ ـ أربعة: قضاء الطاعة، وقضاء المعصية، وقضاء النعمة، وقضاء الشدة.

---

(١) [سورة الأنبياء: ٢٣].

(٢) الحديث: لم أعثر على نص هذا الحديث.

(٣) في الأصل: المسيلة.

(٤) راجع فصل [٧٨] في أفعال العباد.

(٥) راجع فصل [٩٧] في الكلام على الجبرية.

(٦) قال الإمام الغزالي في كتاب «الأربعين في أصول الدين» باب القضاء والقدر: (إن قضاء الله تعالى على أربعة أوجه: قضاء الطاعات وقضاء المعاصي وقضاء النعم وقضاء الشدائد، والمذهب السديد المستقيم في ذلك: . . . الخ) عن كتاب: شرح جوهرة التوحيد، للشيخ عبد الكريم تتان ٢/ ٦٢٧.

[١٤/ ب] فعلى العبد إذا قضى له بالطاعة أن يستقبلها بالحمد والإخلاص/ ليكرم بالتوفيق، وإذا قضى له بالمعصية أن يستقبلها بالتوبة والاستغفار، ليرزق المحبة والمغفرة وإذا قضى له بالنعمة أن يستقبلها بالشكر والصدق ليكرم بالزيادة. وإذا قضى له بالشدة أن يستقبلها بالصبر والرضا ليكرم بالأجر والثواب.

[١٠٢] **فصل**: الهدى(١) والضلال من الله تعالى، لأن أفعال العبد مخلوقة بخلق الله تعالى.

[١٠٣] **فصل**: الإسعار(٢) من قبل الله تعالى لا يتغير بعكس العباد. قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾(٣).

[١٠٤] **فصل**: حقيقة النعمة اللذة، وحقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع له، والدليل عليه اطراده وانعكاسه في جميع أحواله.

---

(١) راجع فصل [٩٩] ص[١٩٠].

(٢) روى ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا يا رسول الله قد غلا السعر، فسعّر لنا. فقال: إن الله هو المسعر القابض الباسط، الرازق، إني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد يطلبني بمظلمة ولا مال).

سنن ابن ماجه، كتاب التجارات ٢٧ باب من كره أن يسعر (٢٢٠٠)، ٢/ ٧٤١ ـ ٧٤٢.

(والسعر هو تقدير ما يباع به الشيء ويكون غلاء ورخصاً بأسباب من الله تعالى، ولو كان البعض من اكتساب العباد، فالمسعر هو الله تعالى وحده خلافاً للمعتزلة، زعماً منهم أنه قد يكون من أفعال العباد تولداً) شرح المقاصد للتفتازاني ص٣٢٠.

(٣) [البقرة: ٢٤٥].

[١٠٥] **فصل**: (اعلم بأن الله تعالى قد أنعم على المؤمنين بالمعرفة والإيمان. وللسائل أن يقول: هل أنعم عليهم بالشدائد والمحن؟

كما أنه تعالى لم ينعم على الكفار بالمعرفة والإيمان بل إن إنعامه عليهم كان بالمنافع والملاذ العاجلة.

وعليه فيجب أن يقال: إن كل نفع وضر يوصل العبد إلى الطاعات والنعيم الأبدي فهو من نعم الله تعالى)[١] ظاهرة وباطنة. وكل ما لا يوصله إلى ذلك أو يوصله إلى اكتساب المعاصي فهو نعمة في الظاهر نقمة في الباطن.

[١٠٦] **فصل**: اعلم أن الله تعالى لو أدخل جميع الخلق/ الجنة من غير[١٥/ أ] طاعة يكون حسناً وحكمة بالغة، ولو أدخلهم النار من غير معصية هل يحسن ذلك في الحكمة؟

قال بعض أهل السنّة والجماعة: يكون حسناً وحكمة[٢].

---

(١) ما بين القوسين من قوله (اعلم بأن الله تعالى قد أنعم... إلى قوله: من نعم الله تعالى) اقتضاه السياق، الأصل هكذا (اعلم بأن الله تعالى أنعم على المؤمنين بالمعرفة والإيمان، وهل أنعم عليهم بالشدائد والمحن؟ وما أنعم على الكفار بالمعرفة والإيمان وهو إنعام عليهم بالمنافع والملاذ العاجلة أم لا؟ وهو بالجملة في ذلك أن كل نفع وضرر يوصل العبد إلى الطاعات ونعيم الأبدي).
وهذه عبارات مفككة لا تؤدي إلى معنى مترابط.

(٢) الله تعالى متصف بكمال الحكمة في أفعاله وأقواله، وهو المتصرف في ملكه كامل التصرف له الخلق والأمر وله الحكم وإليه المصير (ولو لم يخلق الخلق لم يخرج عن الحكمة ولو خلق أضعاف ما خلق جاز، ولو خلق الكفرة دون المؤمنين أو خلق المؤمنين دون الكفرة جاز، ولو خلق الجمادات دون الأحياء، والأحياء دون =

وقال بعض مشايخنا، رحمهم الله: لا يحسن ذلك في الحكمة، لأنه جمع بين العدو والولي في النار من غير ذنب.

[١٠٧] **فصل**: الفاسق المؤمن[١] لا يخرج من الإيمان بفسقه، لأن الخروج من الإيمان إنما يكون بزوال التصديق، والتصديق باق فيكون مؤمناً.

[١٠٨] **فصل**: الفاسق لا يخلد في النار[٢]، لأن الخلود للكفار وهو مؤمن مصدق.

[١٠٩] **فصل**: الفاسق من أهل المغفرة، لأن الله تعالى عفو، غفور رحيم، والعفو والمغفرة والرحمة إنما يتحقق في رفع عقوبة من هو جائز التعذيب بسبب الجناية، إذا ثبت جواز المغفرة لصاحب

= الجمادات جاز، وكانت كل هذه الوجوه منه صواباً وعدلاً وحكمة، خلاف قول من أوجب عليه الفعل من القدرية ليعبدوه ويشكروه، وأوجب عليه خلق الأحياء والجمادات معاً، وأوجب عليه أن يكون أول خلقه حليماً يصح منه الاعتبار كما ذهب إليه الكرامية).
أصول الدين للبغدادي ص١٥٠.

(١) المؤمن الفاسق هو من شهد ولم يعمل واعتقد، (ويفسق المسلم المكلف المذنب بإتيانه للمعصية الكبيرة، وأصل الفسوق: الخروج عن الاستقامة والجور. وبه سمي العاصي فاسقاً، وسمي الرجل الفاسق لخروجه عن أمر الله، والمذنب هو المعترف للذنب وهو الآثم).
انظر: لوامع الأنوار البهية ١/ ٣٦٥.

(٢) الخلود في النار لا يكون إلا للكفار، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].
وهناك آيات أخرى دالة على ذلك.

الكبيرة[1] ابتداءً جاز أن يغفر ذنبه بشفاعة الشافعين، لأن مبنى الشفاعة بجواز

---

(١) الخلاف في تحديد معنى الكبيرة يعود إلى المعاني المشتركة التي تجمعها هذه الكلمة، فمن نظر إليها على أنها مطلقة اعتبرها من باب الكفر ومن ذلك ما أشار إليه التفتازاني حيث يقول عن الكبيرة: (قد اختلفت الروايات فيها، فروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها تسعة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وقذف المحصنة، والزنا، والفرار من الزحف، والسحر، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، والإلحاد في الحرم، وزاد أبو هريرة: وأكل الربا. وزاد علي رضي الله عنه، السرقة وشرب الخمر.

وقيل كل ما كانت مفسدته مثل مفسدة شيء مما ذكر أو أكثر منه.

وقيل: كل ما توعد عليه بالشرع بخصوصه.

وقيل: كل معصية أصر عليها العبد فهي كبيرة، وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة.

وقال صاحب الكفاية: الحق أنهما اسمان إضافيان لا يعرفان بذاتهما، فكل معصية إذا أضيفت إلى ما فوقها فهي صغيرة، وإن أضيفت إلى ما دونها فهي كبيرة، والكبيرة المطلقة هي الكفر إذ لا ذنب أكبر منه، وبالجملة: المراد ههنا أن الكبيرة التي هي غير الكفر لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ببقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان). انظر شرح العقائد النسفية، ص٧١.

وذهب المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، فهو في منزلة بين المنزلتين مع اتفاقهم على أن صاحب الكبيرة مخلد في النار، كذلك قال الخوارج مثل قولهم: إنه مخلد في النار ويعذب عذاب الكفار.

وقد استشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء: ٩٣].

وبقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨﴾ [السجدة: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٤].

وبقوله ﷺ: (لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن) رواه ابن ماجه في الفتن ٣، باب النهي عن النهبة، رقم الحديث ٣٩٣٦، ٢/١٢٩٨ ـ ١٢٩٩. =

المغفرة، فإذا جاز ذلك ابتداء من غير شفاعة فلأن يجوز مع الشفاعة بالطريق الأولى.

[١١٠] **فصل**: الفاسق إذا خرج من دنياه من غير توبة، وقد ختم له على

= أما أهل السنّة، فقد رأوا أن من اقترف كبيرة (غير مستحل لها ولا مستخف ممن نهى عنها، بل لغلبة شهوته أو حمية يرجو الله تعالى أن يغفر له أو يخاف أن يعذبه عليها، فهذا اسمه المؤمن، وبقي على ما كان عليه من الإيمان، ولم يَزُل عنه إيمانه ولم ينقص، ولا يخرج من الإيمان إلا من الباب الذي دخله، وحكمه أنه لو مات من غير توبة فلله تعالى فيه المشيئة إن شاء عفا عنه بفضله وكرمه، أو ببركة ما معه من الإيمان والحسنات أو بشفاعة بعض الأخيار، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم عاقبة أمره الجنة لا محالة ولا يخلد في النار) انظر: التمهيد ص٣٦٠.

أما المراد من المعصية في الآية الكريمة فهو: (الشرك) فعصيان الله ورسوله وتعدي حدوده لا يكون إلا من كافر مشرك، والمراد من القاتل في الآية الأخرى هو المستحل القتل، أما ما ورد في الحديث الشريف فإن المنفي فيه الإيمان الكامل، أو أن المقصود أنه لا يقدم على الكبيرة وهو مستحضر للإيمان والخشية من الله تعالى، وإلا لامتنع عنها، وهذا مؤيد بقوله ﷺ: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال أبو ذر وإن زنى وإن سرق؟ قال عليه الصلاة والسلام: وإن زنى وإن سرق، فلما كرر أبو ذر سؤاله قال عليه الصلاة والسلام: وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبـي ذر)، رواه البخاري في الجنائز ١، ٢/ ٦٩. وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان ١٥٣، ١٥٤، ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

وانظر: المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد. د. نشأت ضيف ص٢٩٨.

أما بالنسبة للفسق: فبما أنه يعني الخروج، فإن كل معصية فيها خروج عن طاعة الله يسمى صاحبها فاسقاً، والكفر منه الخروج عن طاعة الله تعالى فهو فسق مطلق، وعلى هذا فالفسق لفظ مشترك بين المعاصي جميعها بما فيها الكفر، إلا أنه يتفاوت بتفاوت المعاصي. انظر: التمهيد للنسفي ص٣٦٣ وما بعدها.

الإيمان لا يجوز أن يقال إن الله تعالى/ يعذبه لا محالة، ولا أن يقال: يعفو[١٥/ ب] عنه لا محالة، بل هو في مشيئة الله تعالى، كما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] إن شاء عفا عنه بفضله[٢] وكرمه أو ببركة ما معه من الإيمان، أو بشفاعة الشافعين، أو يعذبه بقدر ذنبه ثم يدخله الجنة.

---

(١) [النساء: ٤٨].

(٢) من يموت بعد أن ارتكب ذنباً من الكبائر غير المكفرة بلا استحلال، والحال أنه لم يتب عن ذنبه، فأمره مفوض وموكول إلى ربه، فلا نقطع بالعفو عنه، لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة، ولا بالعقوبة، لأنه تعالى يجوز عليه أن يغفر ما عدا الكفر.
وعلى تقدير العذاب فإنا نقطع له بعدم الخلود في النار. . . أما تعذيب بعض العصاة من هذه الأمة فمن ارتكبوا الكبائر من غير تأويل ويعذرون به، وماتوا بلا توبة ـ ثابت وواقع شرعاً، بخلاف من ارتكب صغيرة أو كبيرة بتأويل كما يقع من بعض البغاة المتأولين، أو ارتكبها من غير تأويل لكنه مات بعد التوبة، والمقصود بهم هنا أمة التوبة، وأما الزناة وقتلة الأنفس وشاربي الخمر، فلا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من كل صنف أقلها واحد، وهذا ما يذهب إليه الماتريدية من أنه لا يجوز تخلف الوعيد.
وذهب الأشاعرة إلى جواز تخلفه، لأنه على تقدير المشيئة فإن شاء عذب وإن شاء غفر. . . فإنه قد ورد تعذيب بعض الموحدين والشفاعة فيهم، لكن لا يعم الأنواع كلها.
ويمكن تلخيص هذه الأمور بالتالي:
إن الناس قسمان: مؤمن وكافر، فالكافر مخلد إجماعاً في النار.
والمؤمن قسمان: طائع وعاصي، فالطائع إجماعاً في الجنة والعاصي على قسمين: تائب وغير تائب. فالتائب إجماعاً في الجنة، وغير التائب متروك للمشيئة وعلى تقدير عذابه لا يخلد في النار.
يراجع في ذلك: شرح جوهرة التوحيد، للشيخ التتان ١/ ١١٢٨ ـ ١١٢٩.

(علامات الساعة)[1]

[١١١] **فصل:** ومن علامات الساعة، خروج الدجال[2].

---

(١) أي أشراط الساعة وهي من الأمور الغيبية التي أمرنا بالإيمان بها، وجاء ذكر الساعة في القرآن الكريم في آيات كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].
وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ..﴾ [الكهف: ٢١].
والمقصود بهذا الفصل هو علامات يوم القيامة، أما عن العلامات نفسها فمنها العلامات الكبرى ومنها الصغرى. وقد اكتفى المصنف بذكر الكبرى. وقد جاءت مفصلة في حديث النبيّ ﷺ، ففي صحيح مسلم بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: (اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم). رواه الإمام مسلم في الفتن باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال رقم الحديث (٣٩ ــ ٢٩٠١) ٩/ ٢٥٤ كما رواه أصحاب السنن.

(٢) جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر الدجال عند النبيّ ﷺ =

= فقال: إن الله لا يخفى عليكم، وإن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية).

أخرجه البخاري، باب ذكر الدجال ٨/ ١٠١.

كما جاء في الباب عينه، أحاديث كثيرة منها: (ما رواه أبو بكرة عن النبيّ ﷺ قال (لا يدخل المدينة رعب المسيح لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان)، صحيح البخاري ٨/ ١٠٢.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)، صحيح البخاري ٨/ ١٠٣.

ومنها قول النبيّ ﷺ فيه: (إن معه ماء وناراً فناره ماء بارد وماؤه نار)، صحيح البخاري ٨/ ١٠٣.

ومنها قول النبيّ ﷺ: (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر)، البخاري ٨/ ١٠٣.

وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخَفَّض فيه ورَفَّع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفَّضْت فيه ورَفَّعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قَطَط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قَطَن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّة بين الشأم والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال: أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته =

ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام[1].

= الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرّاً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. . .) الحديث.

صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٠) باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث (١١٠ ـ ٢١٣٧) ٩/ ٢٨٩؛ وفي رواية أخرى قال: (ويتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة)، المرجع السابق رقم الحديث (١٢٤ ـ ٢٩٤٤) ٩/ ٣١١.

(١) أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، كتاب المظالم، ٣/ ١٠٧.

وقد مر الحديث عن المسيح عليه السلام عند الحديث عن الدجال وتكملته:

(فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق، بين مَهْرُودتَيْنِ. واضعاً كفه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه الجمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. . .) الحديث. صحيح الإمام مسلم بشرح =

وظهور دابة الأرض[1].

وطلوع الشمس من مغربها[2].

= النووي، باب ذكر الدجال رقم الحديث (١١٠ ــ ٢١٣٧) ٩/٢٨٩ ــ ٢٩٠ وفي الباب أحاديث أخرى.

(١) ظهور دابة الأرض: يقول الحق تبارك و تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٨٢].

قال ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض: قيل من مكة، وقيل من غيرها، فتكلم الناس على ذلك، وقد نقل ابن كثير روايات كثيرة عن (أصحاب السنن في شأن الدابة وما ذكر من أوصافها وأخبارها، راجع تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٥ وما بعدها).

وقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً). صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث (١١٨ ــ ٢٩٤١) ٩/ ٣٠٣.

(٢) إضافة إلى ما تقدم من الحديث عن دابة الأرض وما ذكر من طلوع الشمس، هناك حديث آخر رواه الإمام مسلم في صحيحه عنه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم أو أمر العامّة).

صحيح الإمام مسلم بشرح النووي في بقية أحاديث الدجال كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث (١٢٨ ــ ٢٩٤٧) ٩/ ٣١٢ (وفي رواية خويصة أحدكم).

قال ابن الأثير في شرحه لكلمة خويصة أحدكم: خويصة تصغير خاصة الإنسان وهي ما يخصه دون غيره، وأراد به الموت الذي يخصه ويمنعه من العمل إن لم يبادر به =

وخروج يأجوج ومأجوج(1).

= قبله). انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٠/ ٤١٢.

وهذا الزمن الذي تتغير فيه قوانين ونواميس الكون طبقاً لأمر الله تعالى ومشيئته. والتغيير يشمل طلوع الشمس. فبدلاً من طلوعها المعتاد من جهة المشرق فإن الناس يرونها طالعة من جهة المغرب وذلك في وقت الصباح.

(١) خروج يأجوج ومأجوج: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧].

ويقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٤ ـ ٩٩].

وقد جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ نام عندها ثم استيقظ محمراً وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شرق قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق بين إصبعيه. وفي رواية: وعقد سبعين أو تسعين ـ قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث). صحيح الإمام البخاري، كتاب الفتن رقم الباب ٨٤/ ٨٨.

وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة (١) باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج رقم الحديث (١ ـ ٢٨٨٠)، ٩/ ٢٢٩ وفي الباب روايات كثيرة. وكذا رواه أصحاب السنن. وقد مر ذكر حديث الدجال في صحيح مسلم =

وظهـور[1] الفتـن، وانـدراس العلـم والعلمـاء، وغيـر ذلـك مما

= وتتمته (. . . ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبـيّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبـيّ الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم. فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبـيّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبـيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها. . .) الحديث، صحيح مسلم بشرح النووي، باب ذكر الدجال رقم الحديث ١١٠ (٢١٣٧) ٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

وقد جاءت أخبار كثيرة عنهم ذكرها المفسرون أثناء تعرضهم لتفسير الآيات الواردة في ذكر يأجوج ومأجوج. ومنهم من حدد موضع السد الذي حبس خلفه يأجوج ومأجوج. ومنهم من حدد موقع هؤلاء وجنسياتهم وأوصافهم ولكن الإمساك عن ذلك أولى.

(١) بقية أشراط الساعة الكبرى كما تقدم (الدخان، الخسوف الثلاثة: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب).

أما عن ظهور الفتن فمن ذلك قتال المسلمين للذين ينتعلون الشعر وقتال الترك فمن ذلك: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر ويمشون في الشعر).

رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم الحديث (٦٥) وله روايات أخرى ٩/ ٢٦٤. رواه البخاري في المناقب ٤/ ١٧٤.

جاء[1] من الأخبار عن السيد المختار عليه أفضل الصلاة والسلام في أشراط

---

(١) قوله: (واندراس العلم والعلماء): أي رفع العلم وقبض العلماء، فمن ذلك قول النبيّ ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها)، صحيح البخاري، كتاب الفتن باب ٢٥، ٨/ ١٠١ وأخرجه مسلم مفرقاً.

ومن ذلك أيضاً قتال الروم، فقد ورد قول النبـيّ ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. . .)، رواه الإمام مسلم في الفتن باب فتح القسطنطينية ونزول عيسى ابن مريم، رقم الحديث (٣٤ ــ ٢٨٩٧)، ٩/ ٢٤٨.

ومن ذلك أيضاً: قتال اليهود، ورد ذلك في قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله). رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود ٣/ ٢٣٢. ولمسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم الحديث (٨٢ ــ ٢٩٢٢)، بلفظ مقارب للفظ البخاري.

ومن الفتن أيضاً: قول النبـيّ ﷺ: (تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم =

الساعة.

[١١٢] **فصل**: وإذا نزل عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان فإنما ينزل على شريعة نبينا محمد ﷺ، ويدعو الناس إلى[1] شريعته ويكون كواحد الدعاة.

[١١٣] **فصل**: (ولا نصدق كاهناً، ولا عرافاً[2]، ولا من يدعي شيئاً

= بعرض من الدنيا). رواه الترمذي، سنن الترمذي رقم الحديث **٢٢٩٣** في الفتن. باب ما جاء «ستكون فتنة كقطع الليل المظلم» ٣/ ٣٣٠.

وغير ذلك من الأخبار التي وردت في شأن أشراط الساعة والفتن. وقد وردت هذه الروايات في كتب الصحاح والسنن فلتراجع في مظانها.

(١) إن القرائن تدل على أن نزوله عليه السلام يأتي لإقامة الحجة على اليهود وتكذيبهم حين زعموا أنه صلب وقتل. وكذلك لدحض أقوال النصارى في ادعائهم أنه إلّه وابن إلّه تعالى الله عما يقولون.

(٢) ورد النهي في قوله ﷺ: (من أتى عرافاً فسأله مسألة عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث (١٢٥ ــ ٢٢٣٠)، ٧/ ٤٨٤.

ورواه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ٦٨ و٥/ ٣٨٠.

كما روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

وفي رواية: (من أتى كاهناً فصدقه أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد)، رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٨ و٤٢٩ و٤٧٦.

كما أخرجه أبو داود (٣٣٠٤) والترمذي ١٣٥.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان، فقال: ليسوا بشيء، قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشيء فيكون حقاً. =

بخلاف الكتاب والسنّة وإجماع الأمة)[1].

[١١٤] **فصل**: من ادعى النبوة تجب استتابته، فإن لم يتب يجب قتله لاختتام النبوّة وانسداد بابها[2].

= فقال رسول الله ﷺ: (تلك الكلمة من الجن يخطفها الجنيّ فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة). صحيح الإمام مسلم بشرح النووي كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم الحديث ٢٢٢ ـ ٢٢٢٨ و١٢٣، ٧/ ٤٨٢، ٤٨٣.

(١) ما بين القوسين من كلام الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى.
انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٥٩.

(٢) يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].
نصت هذه الآية على عدم وجود نبيّ بعد النبيّ محمد ﷺ، وكذلك لا رسالة بعد رسالته ﷺ. وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).
صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ ٤/ ١٦٢/ ١٦٣.
ولمسلم لفظ آخر: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم الحديث (٢٠ ـ ٢٢٨٦)، وبنفس اللفظ الوارد في البخاري رقم (٢٢) وفي الباب أحاديث أخرى ٨/ ٥٦ ـ ٥٧.
ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٥٦ وغيرها.
وفي صحيح الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون). صحيح مسلم =

[١١٥] **فصل:** اختلف الناس في أطفال المشركين[(١)].

= بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث ٥ ــ ٥٢٣، وابن ماجه ١/ ٥٦٧ أخرج شطراً منه، وفي مسند الإمام أحمد ٢/ ٤١١ ــ ٤١٢.

فمن ادعى النبوّة أو الرسالة بعد محمد ﷺ فهو كاذب إذ «من رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء، والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له). تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٤، وقد دافع ابن كثير رحمه الله تعالى عن هذا الأمر وأثبت كذب وافتراء كل من ادعى النبوّة بعد ذلك. وذكر أسماء الكذبة الذين ادعوا النبوّة ودلل على خرافاتهم وأكاذيبهم.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن بعضاً من فرق الخوارج وهم اليزيدية المنتسبة إلى يزيد بن أنيسة، قد زعموا أن الله عزّ وجلّ يبعث في آخر الزمن نبياً من العجم وينزل عليه كتباً من السماء ويكون دينه دين الصابئة المذكورة في القرآن، لا دين الصابئة الذين هم بواسط أو حران، وينسخ ذلك الشرع شرع القرآن. قال البغدادي: وهؤلاء يسألون عن حجة القرآن فإن أنكروها أنكروا نبوّة محمد ﷺ، ونوظروا فيها لا في تأييد شريعته وإن أقروا بالقرآن ففيه أن محمداً ﷺ خاتم النبيين وقد تواترت الأخبار عنه بقوله: لا نبيّ بعدي، ومن رد حجة القرآن والسنّة فهو كافر). أصول الدين ص١٦٢ ــ ١٦٣ ويقاس على هؤلاء كل من ادعى النبوّة والرسالة من القاديانيين والبابيين والبهائيين وكل من على شاكلتهم.

(١) مسألة «مصير أطفال المشركين» من الأمور المختلف فيها بين العلماء.

وقد حكى الخلاف الإمام البغدادي حيث يقول: (توقف المتحرجون في أطفال المشركين لاختلاف الأخبار فيهم، فروي فيهم قول النبيّ ﷺ: (لو شئت لأسمعتك تضاغيهم في النار). وفي خبر آخر (إنهم خدام أهل الجنة) وعن ابن عباس أنه: يوقد لهم نار فيؤمرون باقتحامها فمن اقتحمها لم يضره النار شيئاً وصار منها إلى الجنة وعسى هؤلاء الذين روي منهم أنهم خدم أهل الجنة ومن لم يقتحمها عصى ربه ودخل النار وعسى هؤلاء هم الذين روى تضاغيهم في النار). انظر: أصول =

قال بعضهم: في الجنة[1].

[١٦/ أ] وقال بعضهم: في النار، وقال/ بعضهم هم خدام أهل الجنة.

فإذا اختلف الناس فيهم فالسكوت أولى، فهم في مشيئة الله تعالى[2].

[١١٦] **فصل**: اختلف الناس في عدد الحفظة.

قال بعضهم: أربعة، اثنان بالنهار، واثنان في الليل، وهو الصحيح.

وقال بعضهم: خمسة، والخامس لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً[3].

= الدين للبغدادي ص٢٦١.

(١) أما المعتزلة فقد قال القاضي عبد الجبار: (إنه تعالى لا يجوز أن يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم)، انظر: شرح الأصول الخمسة ص٤٤٧.

(٢) أما الإمام البيهقي فقد أورد في أواخر كتاب القدر أخباراً في أن أولاد المشركين مع آبائهم في النار وأن أولاد المسلمين مع آبائهم في الجنة ثم قال:
(. . . وأخباراً غير قوية في أولاد المشركين أنهم خدام أهل الجنة) إلا أنه توقف في هذا الأمر حين قال:
(وما صح من ذلك يدل على أن أمرهم موكول إلى الله تعالى وإلى ما علم الله من كل واحد منهم، وكتب له من السعادة أو الشقاوة). انظر الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص١٠٨ ــ ١٠٩.
وهذا القول هو ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى. وهو الأولى والله أعلم.

(٣) من الموكلين بحفظ العباد في حلهم وارتحالهم وفي جميع حركاتهم وسكناتهم: ملائكة تسمى بالمعقبات.
قال الله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١٠ ــ ١١]. =

[١١٧] **فصل:** اختلف الناس في كتبة الحفظة[١].

قال بعضهم: يكتبون جميع أفعال العباد من بني آدم، وأقوالهم، وقال بعضهم يكتبون الجميع، فإذا صعدوا إلى السماء حذفوا ما لا أجر فيه ولا إثم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يكتبون الخير والشر، والأول أصح لقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾[٢].

[١١٨] **فصل:** اختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة؟

= وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقد سخر الله تعالى الملائكة الكرام لتحفظ الإنسان من بين يديه ومن خلفه، وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى أن الملائكة ترعى شؤون الإنسان ومعيشته: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ... ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

(١) وهؤلاء يسمون الكرام الكاتبون:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

ويقول تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

وجاء في الصحيح (أن النبيّ ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم». رواه البخاري في الرقاق ٢٣، باب حفظ اللسان ٧/ ١٨٤.

ـ ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٣٤، ٣/ ٤٦٩.

(٢) [الكهف: ٤٩].

قال بعضهم: ليس عليهم حفظة. وقال بعضهم عليهم حفظة وهو الصحيح.

قال الله تعالى في حقهم: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

[١١٩] **فصل:** يحشر الوحوش والطيور والبهائم يوم القيامة[2]، لأنه يجوز ذلك في العقل، إظهاراً لقدرة الله تعالى، كما أنه خلق الخلق إظهاراً لربوبيته.

[١٦/ ب][١٢٠] **فصل:** صانع العالم قادر على إعادة/ الموجودات ما فني من جواهرها وأجسامها وأعراضها[3]، لأن الإعادة بمعنى الابتداء من حيث إنه

---

(١) [الانفطار: ٩ ـ ١٢].

(٢) ومن الآيات التي تفيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [التكوير: ٥].
وقد نقل ابن كثير ما قاله أبـيّ بن كعب: (ست آيات قبل القيامة: ـ بينا الناس في أسواقهم إذ أذهب ضوء الشمس. فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ـ فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال: اختلطت. وفي قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)، قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب، رواه ابن أبـي حاتم. وهناك خلاف بين العلماء في حشر الطير، والراجح في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [التكوير: ٥]، أي جمعت وهو قول ابن جرير. وقوله تعالى: ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ [ص: ١٩] أي مجموعة، انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

(٣) تقدم في فصل الحديث عن صفات الله تعالى أنه على كل شيء قدير. وقدرة الله تعالى على إعادة الموجودات وما فني منها من المسائل المسلّمة نقلاً وعقلاً. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ =

إعادة من العدم.

[١٢١] **فصل**: الموت حق وسكراته حق لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[٢].

= يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٧٨ — ٨٣].

يقول الإمام الجويني: (فاحتج رب العزة بقدرته على الإنشاء الأول على قدرته على الإعادة، فإن الإعادة نشأة ثانية ومن قدر بالقدرة الكاملة على شيء قدر على مثله، والنشأة الثانية في معنى النشأة الأولى قطعاً، ومن لم يعترف بالنشأة فهو ملحد. والوجه (أي الطريقة المثلى) مكالمته في إثبات الصانع.

ومن اعتقد الأولى لم يبعد الثانية، ثم تقرب من ذلك قولاً فنقول: (إذا حملت الأرض أوان الربيع فنشأ منها النبات، وضروب من الحشرات لا تعد، فما المانع من أن يجمع الله تعالى الأرض على مجرى العادة، صفات تقتضي أن تنتشر فيها الحيوانات كلها على حكم العادة في إنبات النبات وإخراج الثمرات؟ فإذا ثبت الجواز فقد نطق الكتاب ومتواتر السنن تبشر الخلائق ليوم الدين وقيامهم لرب العالمين). العقيدة النظامية ص٧٧.

وقد أنكر الفلاسفة الإعادة، ورد التفتازاني على أقوالهم بما يشبه كلام الجويني. انظر شرح العقائد النسفية ص٦٨.

(١) [الجاثية: ٢٦] وتمامها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

(٢) [ق: ١٩] وتمامها: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

(الغيـبـيات)

[١٢٢] **فصل**: ملك الموت الذي يقبض به الأرواح حق لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا . . .﴾(١).

[١٢٣] **فصل**: صانع العالم يميت الخلائق إلا وجهه الكريم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٢).

---

(١) [الأنعام: ٦١] وتمام الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].
ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].
قال القرطبي: (إن الله تعالى خلق ملك الموت وجعل على يديه قبض الأرواح، وانتزاعها من الأجسام وإخراجها منها، وخلق الله تعالى جنداً يكونون معه يعملون عمله بأمره فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون، والله تعالى يزهق الروح) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٩٤.

(٢) [القصص: ٨٨] وتمام الآية: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾. =

[١٢٤] **فصل**: عذاب القبر حق لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾(١).

ثبت عرض آل فرعون على النار قبل القيامة، غدواً وعشياً، وليس ذلك إلا عذاب القبر.

[١٢٥] **فصل**: يقال رجوع الحياة إلى الميت في القبر كلها أو بعضها بقدر ما يقدر العقل السؤال ويفهم ويتلذذ بالإكرام إن كان مؤمناً ويتألم

= ويقول تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ ــ ٢٧].

(١) [غافر: ٤٦] وتمام الآية وما قبلها: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٥ ــ ٤٦]. ووجه الدلالة في الآيات أنه لما عطف فيها قوله (ويوم تقوم الساعة) على (غدواً وعشياً)، علمنا يقيناً أن النار التي يعرضون عليها غدواً وعشياً غير التي يعرضون عليها يوم القيامة، ولا شك أنه واقع ما بين الموت والنشر) المواقف للإيجي: ٤٢ ــ ٥٢.

وقد ورد في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مر النبيّ ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال ﷺ: يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال ﷺ: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا).

صحيح البخاري كتاب الوضوء باب رقم ٥٥، ١/ ٦٠ وبلفظ مقارب رواه الإمام مسلم: في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستتار منه، رقم الحديث ١١١ ــ ٢٩٢، وكذا رواه أصحاب السنن.

بالعذاب إن كان كافراً لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[1].

[١٢٦] **فصل:** سؤال منكر ونكير حق لقوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كيف أنت يا عمر من منكر ونكير؟ قال: يا رسول الله وما منكر/ [١٧/ أ] ونكير؟ قال: ملكا القبر، وهما شخصان مهيبان فتانان[2] أسودان أزرقان أعينهما كالنحاس، أي كالدخان، وأبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، يضمان أشفارهما، ويحفرون الأرض بأنيابهما، معهما إرزبتان لو اجتمع عليهما أهل السموات وأهل الأرض ما نقلوهما، أي من ثقلهما، يقعدان العبد في قبره سوياً ويقولان: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ قال عمر رضي الله عنه على أي حال أنا يومئذ يا رسول الله؟ قال: حالك اليوم. قال: إذاً أكفهما)[3].

---

(١) [غافر: ١١] وتمام الآية: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾.

(٢) في الأصل: فتنانان.

(٣) لم أعثر على نص هذا الحديث.

إلا أنه هناك العديد من الأحاديث التي تذكر أحوال القبر، فمن ذلك ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، قال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة). رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، رقم الحديث (٦٥ ـ ٢٨٦٦) ٩/ ٢١٨. وروى الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه =

. . . .

= عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً، قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس: فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين.

وفي حديث آخر روى البخاري بسنده عن أبـي أيوب رضي الله عنهم قال: خرج النبـيّ ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال يهود تعذب في قبورها.

صحيح الإمام البخاري باب ما جاء في عذاب القبر، وكذا باب التعوذ من عذاب القبر ٢/ ١٠٢.

وروى الترمذي عن أبـي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قبر الميت أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل (وساق حديثاً مقارباً للحديث السابق). أخرجه الترمذي في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث ١٠٧٧ وحسنه ٢/ ٢٦٧.

وفي البخاري في باب ما جاء في عذاب القبر وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وفي آخر: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ . . .﴾ [إبراهيم: ٢٧]، صحيح الإمام البخاري ٢/ ١٠١.

ورواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار رقم الحديث (٧٣ ــ ٢٨٧١) ٩/ ٢٢١.

أما ما جاء من أحاديث فيها حوار بين النبـيّ ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى الحكيم الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ورواه النسائي عن عمرو بن =

[١٢٧] فصل: الميت ينتفع بما يهدى إليه من الخيرات[1] والصدقات

= شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ ذكر فتّاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أترد لنا عقولنا يا رسول الله؟ قال: نعم كهيئتكم اليوم، فقال عمر: في فيه الحجر).

راجع: معارج القبول، للحكمي ٢/١٦٣.

وقد أنكر بعض المعتزلة والروافض عذاب القبر بحجة أن الميت جماد لا حياة فيه، فتعذيبه محال.

والجواب: إنه من الجائز أن يخلق الله تعالى في أجزاء الجسم الحياة مرة أخرى ويعيد الروح، ومن ذلك ما جاء في بعض الأحاديث مما رواه الإمام أحمد من حديث طويل للبراء بن عازب رضي الله عنه.

(... حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله...)، الحديث.

ـ في مسند الإمام أحمد عن البراء بن عازب: ٤/٢٨٧.

ـ وأبو داود: بنحوه في كتاب السنّة رقم ٢٤ باب في المسألة في القبر وعذابه ٤/٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم الحديث ٣٧٥٣.

(١) هذا هو رأي أهل السنّة، خلافاً للمعتزلة الذين تمسكوا واحتجوا بأن القضاء لا يتغير ولا يتبدل، وأن كل نفس مرهونة بما كسبت وأن المرء مجزي بعمله لا بعمل غيره.

أما أهل السنّة فيرون أن في دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات واستدلوا بعدة أدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] ووجه الدلالة من الآية أن الميت ينتفع باستغفار من يدعو له من الأحياء.

ومن ذلك قوله ﷺ كما ورد في سنن أبي داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله =

. . . .

= عنه قال: كان النبـيّ ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل). أخرجه أبو داود (٣٢٢١) في باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف ٣/٢١٥، وصححه الحاكم ١/ ٣٧٠، ووافقه الذهبي في المستدرك.

وقد جاء في الصحيح كذلك: عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول (في رواية أبـي بكر): السلام على أهل الديار (وفي رواية زهير): السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله، للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية).

ـ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها رقم الحديث (١٠٤ ـ ٩٧٥) ٤/٤٨ ـ ٥٠ وفي الباب روايات أخرى.

ـ ورواه أبو داود (٣٢٣٧) ٣/ ٢١٩.

ومما يدل على ذلك أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أمه توفيت أينفعها أن تصدقت عنها؟ قال: نعم، قال: فإن لي مخرافاً وأشهدك أني قد تصدقت عنها).

رواه الإمام البخاري، كتاب الوصايا، باب رقم ٢٦، ٣/١٩٦.

ومن باب وصول ثواب الطاعات إلى الميت ما جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جاءت إلى النبـيّ ﷺ فقالت إنَّ أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، قال: فاقضوا الذي له فإن الله أحق بالوفاء).

صحيح البخاري، باب الاعتصام بالكتاب والسنّة، رقم الباب ١٢، ٨/ ١٥٠.

ـ أما من الناحية العقلية: فإن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له وأهدوا ثواب الطاعات فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة =

لقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (يا علي، تصدّق عن موتاك، فإن الله تعالى وكّل ملائكة يحملون صدقات الأحياء إليهم فيفرحون بها كأشد ما يكون من الفرح، ثم يجدون أحزاناً ويندمون على ما خلفوا ويقولون (اللهم) اغفر لمن نوّر قبورنا وبشره بالجنة كما بشرنا فيا أسفاً على ما خلفنا من بعدنا)[1].

[١٢٨] **فصل**: نفخ الصور حق[2].

= المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، وفي حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم...

ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما النفي ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق ما لا يخفى فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه).

شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠.

(١) لم أقف على نص هذا الحديث.

(٢) أي القرن الذي ينفخ فيه الملك «إسرافيل» فيحصل من جرائه الفزع والصعق والقيام من القبور بعد النفخة الثانية. وقد جاء ذكره في التنزيل عند قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].

في هذه الآيات البيّنات يخبر الحق تبارك وتعالى عن أهوال يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى: (ونفخ في الصور...) هذه هي النفخة الثانية وهي نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ثم تقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي له الديمومة والبقاء فهو الأول والآخر والظاهر =

قيل يكون نفختين: نفخة للهلاك، ونفخة للبعث.

وقيل ثلاثة، وهو الصحيح.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي/ ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا [١٧/ ب] مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾[1].

[١٢٩] **فصل**: اعلم بأن البعث[2] بعد الموت حق والتصديق به واجب،

= والباطن. ثم يحيي الله أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أُخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، وهو ما رجحه المصنف.

ونقل السيوطي خلاف العلماء في عدد النفخات، فنقل رأي ابن العربي وهو موافق لمن يرى بأنها ثلاث نفخات، أما القرطبي فيرى أنهما نفختان.

انظر: تفسير القرآن العظيم ص٤/ ٦٣، ومعارج القبول ٢/ ٢٣٣ ــ ٢٣٤.

وكذا البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي ص٣٧ ــ ٣٨.

(١) في الأصل: ﴿يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ وفي هذا تداخل، والمثبت من سورة النمل: ٨٧.

(٢) الله تعالى قادر على بعث الأجساد من قبورها، وذلك حين تتغير نواميس الكون مؤذنة بحلول مرحلة جديدة في سلسلة مراحل حياة الإنسان في هذا الوجود. وهذا التغير يشمل جميع العوالم الأرضية وكذا النجوم والكواكب والأفلاك.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فيقوم الخلق من قبورهم بعد النفخة الأخيرة إذ يرسل الله تعالى مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]. ثم يقال: أخرجوا بعث النار. فيقال: من كم كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة =

= وتسعين. قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق)، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، رقم الحديث (١١٦ ــ ٢٩٤٠)، ٩/ ٣٠١ ــ ٣٠٢.

ونقل علماء أهل السنّة والجماعة الخلاف في إعادة المعدوم، وأوردوا آراء المخالفين ومنهم الفلاسفة، والتناسخية، وبعض الكرامية، وبعض المعتزلة، كما ردوا عليهم كالإيجي في المواقف ٣٧١، والتفتازاني شارح المواقف ٥/ ٥٢، وكذا الإمام الغزالي في كتابه «المضنون به على غير أهله»، ومما جاء فيه: (عودة النفس إلى البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة أمر ممكن غير مستحيل، ولا ينبغي أن يتعجب منه، بل التعجب من تعلق النفس بالبدن في أول الأمر أظهر من تعجب عودها إليه عند المفارقة، وتأثير النفس في البدن تأثير فعل وتسخير، ولا برهان على استحالة عودة هذا. وصيرورة هذا البدن مستعداً مرة أخرى لقبول تأثيره وتسخيره، بقي ههنا تعجب من ضعفاء العقول وهو أن ذلك الاستعداد الإنساني يحصل قليلاً قليلاً بالتدريج من نطفة في قرار مكين ثم من علقة إلى تمام الخلقة، وإذا لم يكن كذلك لا يقبل استعداداً قبل التسخير. ودفع هذا التعجب: . . . أن ما هو ممكن بالتدريج إنما هو التوالد، وأما التولد فلا يكون بالتدريج بل حدوثه ممكن دفعة واحدة.

ألا ترى الفأر الذي يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع الذكر والأنثى وبعد حمل وسفاد، وأن التولدي منه يكون دفعة فإنه لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فأر وبعضه بالقوة قريب إلى حجم الفأر، وكذلك الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم توجد عفونة تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة إلى أن تستحيل ذباباً من غير مهلة وتدريج، والنشأة الثانية تولدية من تلك الأجزاء التي كانت في الأصل وإن تفرقت وانخلعت صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك الصور إلى موادها ويحصل المزاج الخاص مرة أخرى. . .).

مجموعة رسائل الإمام الغزالي (المضنون به على غير أهله ص١٥٣). كما نقل=

وأن الله تعالى يحيي الخلق بعد فنائهم. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾[1].

[١٣٠] **فصل**: يجمع الخلائق في عرصات[2] القيامة، ويوقفون

= الغزالي رحمه الله تعالى أقوال المخالفين من الفلاسفة في نفي البعث ورد عليهم في كتابه النفيس «تهافت الفلاسفة».

(١) تمام الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

في هذه الآيات البينات تتكشف الحقائق الكبرى للإنسان وما يدور حوله وما هو مآله وذلك من خلال النظر في آيات الله تعالى الباهرات التي تخاطب الإنسان وتدعوه للتأمل والتفكر والاعتبار في حياته ومماته وبعثه.

وضرب الأمثلة في القرآن الكريم، فيه تنبيه للنفس البشرية وتعليم وتذكير حتى لا ينصرف الإنسان إلى لهوه فتكون عاقبته الهلاك. وحتى تبقى الأمثلة ماثلة أمامه فلا يتحرك إلا وفق منهج الله، الموصل إلى النجاة والسعادة في الدارين.

(٢) أهوال القيامة تبدأ بحشر الناس حفاة عراة غرلاً، وذلك بحسب الأحاديث الدالة على ذلك، منها قوله ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء، عفراء كقرصة نقي (قال سهل أو غيره) ليس فيها معلم لأحد).

رواه البخاري في كتاب الرقاق، رقم الباب ٤٤، يقبض الله الأرض، ٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤. =

خمسين[1] موقفاً في كل موقف ألف سنة.

قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾[2].

وقيل أربعين سنة يقفون على قبورهم حيارى، أي مثل سكارى ينتظرون مَنَّ الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾[4]. ثم بعد أربعين سنة يؤمرون

= وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صفات المنافقين، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم الحديث (٢٨ ـ ٢٧٩٠)، ٩/١٤٨.

قال الإمام النووي في شرحه (العفراء: بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة. والنقي: بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحوري، وهو الدرمك. وهو الأرض الجيدة. قال القاضي: أن النار غير بياض وجه الأرض إلى الحمرة (ليس فيها علم أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر)، ٩/١٤٨ من شرحه على صحيح مسلم.

ومنه قوله ﷺ: (يحشر الناس حفاة عراة غرلاً، قالت عائشة: فقلت الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك). صحيح البخاري، كتاب الرقاق، رقم الباب ٤٥، كيف الحشر ٧/ ١٩٥.

وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، رقم الحديث (٥٦ ـ ٢٨٥٩)، ٩/ ٢١٠.

(١) لم أعثر على نص لهذا العدد.

(٢) [المعارج: ٤]، المراد من الآية (يوم القيامة) كما ذكره ابن كثير ٤/ ٤١٩.

(٣) [الحج: ٢].

(٤) [الزمر: ٦٨].

بالمحاسبة فيخوضون إلى موقف الحساب ويعرضون على ربهم ويسئلون عن أعمالهم: الخير والشر، ويحاسبون على أفعالهم وأقوالهم قليلاً كان أو كثيراً، فالله ـ عزّ وجلّ ـ يقضي بينهم بالحق وينصف المظلوم من الظالم وتظهر الفضائح، والقبائح، كما قال تعالى/: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾[1]. [١٨/ أ] والناس متفاوتون في ذلك: مناقش في الحساب، وإلى مسامح فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب، وإلى من يدخل النار بغير حساب[2] فينادي مناد:

---

(١) [الطارق: ٩].

أي أن تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

(إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان بن فلان).

رواه الإمام البخاري، في كتاب الأدب باب رقم ٩٩ مما يدعى الناس بآبائهم ١١٤/٧. ورواه الإمام مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم الحديث (٩ ـ ١٧٣٥) ٢٨٥/٦ وفي الباب روايات أخرى.

(٢) تفاوت درجات الناس يتم بحسب أعمالهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١﴾[المدثر: ٣٨ ـ ٤١]، وقد وردت آيات كثيرة في شأن يوم الحساب من ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٢].

كما جاء في الصحيح أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبيّ ﷺ قال: من حوسب عذب، قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حساباً يسيراً. قالت فقال: إنما ذلك =

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[1].

[١٣١] **فصل:** والله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى. أي يصير العبد مستحقاً لرحمته فيدخل الجنة أو مستوجباً لعذابه فيدخل النار ـ نعوذ بالله من غضب الله وسخطه ـ .

[١٣٢] **فصل:** قراءة الكتاب حق، فمن الناس من يعطى كتابه بيمينه[2]، ومنهم من يعطى كتابه بشماله[3] ومنهم من يعطى كتابه من وراء ظهره[4].

قال الله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ

= العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)، رواه البخاري في كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ١/ ٣٤، وفي صحيح مسلم قريب من لفظ البخاري، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إثبات الحساب، رقم الحديث (٧٩ ـ ٢٨٧٦)، ٩/ ٢٢٥، وفي الباب أحاديث أخرى.

(١) [غافر: ١٧] من الفوائد العظيمة التي تحصل من جراء يوم الحساب: بيان فضائل المؤمنين المتقين، الذين عبدوا الله تعالى حق العبادة، وإظهار فضائح العصاة وجرائمهم وذلك يوم تبيّض وجوه وتسوّد وجوه.

(٢) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

(٣) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٢].

(٤) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٢].

بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾[2].

[١٣٣] **فصل**: الميزان[3] ذو الكفتين حق الذي يوزن فيه أعمال الخلق بقدرة الله تعالى كما شاء عزّ وجلّ. وقيل يوزن فيه كتب الأعمال، وصفته في العظم مثل طباق السموات والأرض. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[4].

---

(١) [الإسراء: ١٣ ـ ١٤].
وبداية الآية: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾.

(٢) [الانشقاق: ١٠].

(٣) وقد ورد أنه ﷺ قال: (يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
انظر المستدرك كتاب الأهوال، باب ذكر سعة الميزان ٤/٥٨٦.
وروى الإمام الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل إن شاء الله، قلت: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أُخطىء هذه الثلاثة مواطن).
أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصراط، وقال هذا حديث حسن غريب. رقم الحديث ٢٥٥٠، وانظر جامع الأصول ١٠/ ٤٧٤.

(٤) [الأنبياء: ٤٧].

[١٣٤] **فصل:** ثقل الميزان وخفته حق، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[(١)].

[١٨/ ب] وقال تعالى:/ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[(٢)].

[١٣٥] **فصل:** حوض[(٣)] نبينا محمد ﷺ حق، يشرب منه المؤمنون الماء.

---

(١) [الأعراف: ٨].

(٢) [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣]. في الأصل دمج بين آية الأنبياء والأعراف السابقة.
وقد جاء في الصحيح عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، رقم الباب ١٩، إذا قال والله لا أتكلم اليوم... ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
وفي صحيح مسلم، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم الحديث (٣١ ـ ٢٦٩٤)، ٩/ ٢٢.

(٣) جاء في الصحيح عن أبـي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال:
(والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها. إلا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة. من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عُمان إلى أيلة. ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل). صحيح الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا ﷺ وصفاته، رقم الحديث (٣٦ ـ ٢٣٠٠)، ٨/ ٦٤.
وفي الصحيح كذلك: (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال النبـيّ ﷺ: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه =

وماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، من شربه لم يظمأ بعده أبداً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[1] اللهم اسقنا منه بفضلك يا كريم.

• • •

= كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً). رواه البخاري في كتاب الرقاق باب ٥٣، في الحوض، ٧/ ٢٠٧.

(١) [الكوثر: ١].

و... الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى ...ماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذ... ...وثر). رواه البخاري في تفسير سورة الكوثر ٦/ ٩٢.

(الشفاعة)

[١٣٦] **فصل:** شفاعة[1] نبينا محمد المصطفى، والأنبياء عليهم (الصلاة

---

(١) الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير من الغير للغير، وشفاعته عند (الله سبحانه وتعالى عبارة عن عفوه وقيل هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه)، التعريفات للجرجاني ص٦٧، وشرح جوهرة التوحيد للتتان ٢/١١٢٣. والمقصود بها: شفاعته ﷺ يوم القيامة للمؤمنين عند الله تعالى ممن ارتكب معصية من غير أهل الكفر، وهو المقام المحمود الذي وعده به ربه جلّ وعلا. وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقد جاء في الصحيح أن النبيّ ﷺ قال: (أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي (وعدّ منها) الشفاعة). وفيها تكريم وتشريف لنبيّنا محمد ﷺ، وكذلك رحمة منه تبارك وتعالى بعباده المؤمنين. فعن معاذ بن جبل وأبـي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (إن ربـي خيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة، فقالا: يا رسول الله ادع الله عزّ وجلّ أن يجعلنا في شفاعتك فقال: أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئاً في شفاعتي).

ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٤٠٤.

ـ وكذا الطبراني: انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٣٦٨.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابن =

. . . .

= عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (خُيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أُمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفأ، ترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلونين).

الطبراني: مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٣٧٨، وقال: رجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد، وهو ثقة.

ـ ومسند الإمام أحمد، ٢/ ٧٥.

وتتضح أهمية الشفاعة من خلال الآثار والأحاديث الشريفة التي تصف أهوال يوم القيامة، وما ينزل بالناس من البلاء العظيم. فقد جاء في الصحيح عن المقداد بن الأسود قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تدني الشمس، يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل)، قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين. قال: (فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً). قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه).

صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها، كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث (٦٢ ـ ٢٨٦٤)، ٩/ ٢١٤ (في ذلك الموقف الرهيب وعلى تلك الحال الشديدة تجتمع طوائف من المؤمنين تتشاور على مخرج لها من ذلك الموقف، وتأتي طوائف من المؤمنين إلى بعض الأنبياء يسألونهم الوساطة عند الله تعالى كي يأذن سبحانه بانصراف الناس من الموقف.... ويأذن بحساب الناس على أعمالهم)، انظر: أركان الإيمان ص٢٧١.

فقد جاء في الصحيح عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك (وقال ابن عبيد: فيلهمون لذلك) فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم ﷺ: فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع =

= لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم. فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله. قال فيأتون نوحاً ﷺ فيقول: لست هناكم. فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم ﷺ الذي اتخذه الله خليلاً. فيأتون إبراهيم ﷺ فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا موسى عليه السلام الذي كلمه الله وأعطاه التوراة. قال: فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست هناكم. ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها. ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم. ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر). قال: قال رسول الله ﷺ: (فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي. فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله. فيقال يا محمد ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه. اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي، بتحميد يعلمنيه ربي. ثم أشفع. فيحد لي حداً فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً. فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع. فيحد لي حداً فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال) فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي: وجب عليه الخلود).

ـ صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث (٣٢٢ ـ ١٩٣) ٢/ ٥١ ـ ٥٢. ورواه البخاري في التوحيد باب كلام الرب تعالى.

فيشفع النبيّ ﷺ لأمته ثم للخلق ممن سبق من مؤمني أمم الرسل والأنبياء. فإذا ما قبل الله تعالى شفاعته وقضى بدخول سبعين ألفاً من أمته الجنة دون حساب جاء بعد ذلك عرض الأعمال وجاء السؤال والجواب عن النوايا والقلوب والأقوال والأفعال في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ =

= زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف: ٤٨].

ويحاسب الله تبارك وتعالى عباده: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٧ ـ ٨]. والخلق حينئذ إما إلى جنة وإما إلى نار.

وقد عدد العلماء أنواع الشفاعة الخاصة بالنبيّ ﷺ ومنها:

١ ـ الشفاعة العظمى: وهي خاصة به ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

٢ ـ شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

٣ ـ في أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

٤ ـ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

٥ ـ الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ومن ذلك قول المصطفى ﷺ: (يدخل الجنة من أمتى زمرة هي سبعون ألفاً، تضيء وجوههم إضاءة القمر، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال رسول الله ﷺ: «سبقك بها عكاشة».

صحيح مسلم، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، باب كتاب الإيمان رقم الحديث (٣٦٩) ٢/ ٩١، ورواه البخاري في بدء الخلق، والأنبياء.

٦ ـ الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبـي طالب أن يخفف عنه عذابه.

٧ ـ شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة كما ورد في حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعاً). صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب في قول النبيّ: «أنا أول الناس=

والسلام) والعلماء والصديقين والشهداء والصالحين حق[1].

= يشفع في الجنة»، رقم الحديث (٣٣٠ ـ ١٩٦) ٣/ ٧٤.

٨ ـ شفاعته في أهل الكبائر من أمته، وقد تقدم ورود الحديث المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون. . .) انظر ص٢٣١.

ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).

ـ سنن أبي داود (٤٧٣٩) باب في الشفاعة، ٤/ ٢٣٦.

ـ سنن الترمذي (٢٥٥٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ٤/ ٤٥، باب ما جاء في الشفاعة.

(١) من الأحاديث الشريفة المروية في هذا الشأن ما جاء في الصحيح من حديث طويل لأبي سعيد الخدري (. . . فيقول الله عزّ وجلّ: «شفعت الملائكة وشفع النبيّون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر. ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر. . .) الحديث.

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث (٣٠٢ ـ ١٨٣) ٢/ ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.

قال صاحب الجوهرة:

وغيره من مرتضى الأخيار   يشفع كما قد جاء في الأخبار

قال شارحه: أي غير النبيّ ﷺ ممن ارتضاه الله من الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء يشفع في أرباب الكبائر على قدر مقامه عند الله تعالى.

أما ما جاء في فضائل الشهداء فقد روى الترمذي بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(للشهيد عند الله ست خصال: يغفر الله له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، =

. . . .

= ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه).

سنن الترمذي، فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد، رقم الحديث ١٧١٢، ٣/ ١٠٢.

ورواه ابن ماجه رقم ٢٧٩٩ في الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، وإسناده حسن، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقد أنكر المعتزلة شفاعة النبيّ ﷺ في أهل الكبائر، هذا ما حكاه القاضي عبد الجبار في الأصول الخمسة ص٦٨٩، وكذلك ورد عن أكثر الخوارج، وقد ردّ أهل السنّة والجماعة على المعترضين في هذه المسألة، ومن ذلك ما جاء في قول الإمام البغدادي: (وسألونا في هذا الباب عن رجل حلف بطلاق امرأته وعتق مماليكه، أو حلف بالله تعالى أن يعمل عملاً يستحق به الشفاعة، وقالوا لنا: ما الذي يلزم هذا الحالف، فإن قلتم نأمره باجتناب المعاصي فمن اجتنبها لا يحتاج إلى الشفاعة، وإن قلتم نأمره بالمعاصي خالفتم الإجماع في هذا. وجوابنا على هذا السؤال: أن الحالف إن حلف على أن يعمل عملاً يستحق به الشفاعة حانث في يمينه لأن من نال الشفاعة في الآخرة فإنما ينالها بفضل من الله تعالى بلا استحقاق، وإن حلف أن يعمل عملاً يصير به من أهل الشفاعة، أمرناه بأن يعتقد أصولنا في التوحيد والنبوات، وأن يجتنب البدع، وأن يتبرأ من أهل البدع على العموم وممن لا يرى الشفاعة على الخصوص، وأن يلعن منكري الشفاعة من الخوارج والقدرية. فإنه إذا اعتقد ذلك بر في يمينه وكان ممن يجوز الشفاعة إن كان له ذنب، وجاز أن يكون هو شفيعاً لغيره، جعلنا الله من أهلها برحمته).

ـ أصول الدين للبغدادي ص٢٤٤ ـ ٢٤٥. وللمزيد: انظر رد الإمام الماتريدي على المخالفين في كتابه «التوحيد» ص٣٦٥ ـ ٣٦٩، وكذلك الإمام الجويني في كتاب الإرشاد ص٣٩٣ ـ ٣٩٥، والإيجي في المواقف ص٣٨٠، والسفاريني في=

قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[1]، يعني مقام الشفاعة.

[١٣٧] **فصل**: الجنة[2] حق ولها ثمانية أبواب[3]، والنار حق، ولها سبعة أبواب الآية[4]، ....

= لوامع الأنوار ٢/ ٢١٧، والنسفي في «تبصرة الأدلة» ٢/ ٧٩٣.

(١) [الإسراء: ٧٩].

(٢) يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[آل عمران: ١٣٣].

ويقول: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦﴾[الغاشية: ٨ ـ ١٦].

والجنة في اللغة: البستان، ومنه الجنات. والعرب تسمي النخيل جنة، وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره)، الصحاح للجوهري ٣٠٩٤.

وفي الاصطلاح: دار الثواب. وهي فضل من الله تعالى يمن بها على عباده الصالحين، والإيمان بالجنة وكذا النار واجب)، لوامع الأنوار ٢/ ٢٢٥.

(٣) قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ...﴾ [الزمر: ٧٣].

وفي الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء). صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم الحديث (٤٦ ـ ٢٨)، ١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤]. =

وأما الجنة فذكر أساميها متفرقة[1].

= ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

وأخرج ابن أبـي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب﴾، قال جهنم، والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية وهي أسفلهم).

أخرجه ابن أبـي حاتم في تفسيره، انظر الدر المنثور ٤/ ٩٩.

وأخرجه ابن جرير في صفة جهنم عن ابن عمر في قوله (لها سبعة أبواب).

قال: (أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية والجحيم فيها أبو لهب)، أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤/ ٢٥.

انظر البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي ٣١٠ ـ ٣١١.

وانظر البعث والنشور للبيهقي ص٢٦٧، وكذلك التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(١) أما أسماء الجنة فمنها: (جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [لقمان: ٨]. وهذا اسم جامع لجميع الجنان لما تضمنته من الأنواع التي ينعم بها، من المأكول، والمشروب، والملبوس، والصور، والرائحة، والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعم الظاهرة والباطنة)، لوامع الأنوار ٢/ ٢٢٦.

وفي الصحيح عن حميد قال: سمعت أنساً يقول: (أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام؛ فجاءت أمه إلى النبـيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأُخرى ترى ما أصنع، فقال: ويحك أَوَهبلت أو جنة واحدة؟! إنها جنان كثيرة، وإنه لفي جنة الفردوس). رواه البخاري كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

وقد اختلف في الجنات، هل هي سبع أم أربع فقط؟

قال القرطبي: قيل الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، ودار الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة النعيم، وجنة الفردوس.

وقيل أربع فقط: (المأوى، والخلد، والعدن، والسلام). =

[١٣٨] **فصل**: فإذا فرغوا من حسابهم يقال لهم: هلموا إلى الجنة وإلى النار[١]. فإذا وصلوا إلى رأس الطريقين[٢] يفرق بين أهل الجنة والنار، فيساق كل فريق إلى ما أعد له.

قال الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾[٣].

[١٣٩] **فصل**: الصراط[٤] حق، وهو جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعر وأحدّ من السيف[٥]، يورد الناس جميعاً على الصراط، وورودهم

= انظر البدور السافرة للسيوطي ص٣٨٦.

ومنهم من جعل عليين اسماً من أسماء الجنة.

(١) يحاسب الله تبارك وتعالى عباده، بحسب أعمالهم، وأول ما يحاسب عليه: الصلاة ثم حقوق العباد، وأولها الدماء، وسؤال العقائد، وسائر العبادات من ضمن تلك الأسئلة، ثم يسأل عن جسده وصحته وحواسه وعمره وماله، وأول ما يقضى بين الأمم أُمة محمد ﷺ، وهي أول الأمم دخولاً إلى الجنة. وبعد الحساب يأتي الصراط وسيأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله تعالى.

(٢) روى البخاري بسنده عن أبي المتوكل أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا).

صحيح البخاري، باب القصاص يوم القيامة، كتاب الرقاق ٧/ ١٩٧.

(٣) [الشورى: ٧].

(٤) هذا الجسر ينصب على نار جهنم يوم القيامة، يجتاز عليه الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وتفاوت درجاتهم.

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول: (وقال مسلم عن أبي سعيد إنه قال: قلنا: =

قيامهم حول النار، ثم يمرون على الصراط بقدر أعمالهم.

[۱۹/ أ] / قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[١].

[١٤٠] **فصل**: الورود على الصراط حق: فمن الناس من يمر مثل البرق الخاطف، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر على أجود الخيل، ومنهم كعدْوِ الرجل حتى إن آخرهم يمشي ويقع، هكذا ورد في الحديث[٢].

= يا رسول الله، أنرى ربنا؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو؟ قلنا: لا. . . وساق الحديث، حتى آخره، وزاد عليه: (بغير عمل عملوه، ولا قدم قدموه، فقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه».

قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف).

انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، ١٠/ ٤٥٠.

(١) [مريم: ٧١].

وروى الإمام أحمد بسنده عن جابر رضي الله تعالى عنه حين سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، (فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الورود الدخول) لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم. حتى إن للنار أو قال ـ لجهنم ـ ضجيجاً من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً).

ـ مسند الإمام أحمد ٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

ـ ومجمع الزوائد للهيثمي ٧/ ٥٥، وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.

والآية في سورة[مريم: ٧٢]: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

(٢) ومما جاء في هذا الشأن، ما رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، وبسنده عن أبي سعيد الخدري (أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: (يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وساق الحديث إلى أن قال: (ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلِّم سلم، قيل يا رسول الله وما =

[١٤١] **فصل:** المؤمنون الموحدون المتقون كلهم يدخلون الجنة، بعضهم بأعمالهم، وبعضهم بشفاعة الشافعين(١)، وبعضهم بفضل الله وبرحمته، والكل بفضل الله ورحمته(٢).

[١٤٢] **فصل:** الأنبياء عليهم السلام والأتقياء والأولياء والعلماء لهم مقام

= الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك. تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح والطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم...).
رقم الحديث (٣٠٢ ــ ١٨٣، ٢/ ٢٤ ــ ٢٥ ــ ٢٦).

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه).

ــ مسند الإمام أحمد ١/ ٤٣٥ إلى قوله ثم يصدرون عنها بأعمالهم.

ــ الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٥، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، كما أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٠.

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
(ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين).
ــ أخرجه الطبراني، انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٣٧٩.

(٢) روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لن ينجي أحداً منكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا) كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل ٧/ ١٨١ ــ ١٨٢.
ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لن يدخل أحد الجنة... رقم الحديث (٧١ ــ ٢٨١٦) وفي الباب أحاديث أخرى.

الشفاعة[1]، وكل نبي يدخل[2] الجنة مع أمته، ونبينا محمد ﷺ يدخل مع أمته. وهو أول من يدخل الجنة[3] مع أمته كما قال ﷺ: (نحن الآخرون

---

(١) أما شفاعة الأنبياء، فقد روى أبو داود بسنده عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: (ثم يأذن الله عزّ وجلّ في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله ﷺ ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام. «قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال»، ثم يقوم نبيّكم ﷺ رابعاً فيشفع لا يشفع لأحد بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

ـ أما شفاعة الأتقياء والأولياء: فقد روى ابن ماجه عن أبي الجذعاء أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: (ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم. قالوا: يا رسول الله سواك، قال: سواي، قلت: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: أنا سمعته).

ـ سنن ابن ماجه كتاب الزهد رقم الحديث ٤٣١٦، باب ذكر الشفاعة ٢/ ١١٤٣ ـ ١٤٤٤.

ـ سنن الترمذي: (رقم الحديث ٢٥٥٥)، وقال حديث حسن صحيح غريب. ٤/ ٤٦، صفة القيامة. وكذا جاء في التذكرة للقرطبي ص٣٤٢.

أما عن شفاعة الأنبياء والعلماء:

فقد أخرج ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: (يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء).

ـ سنن ابن ماجه، كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة رقم الحديث ٤٣١٣، ٢/ ١٤٤٣.

(٢) في الأصل: يدخلون.

(٣) أخرج أبو يعلى والأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: (أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامي). =

السابقون[1]، أول من يقرع باب الجنة أنا)[2] صدق رسول الله ﷺ.

= ـ مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ١٦٢ وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم، وتكلم غيره فيه، وبقية رجاله ثقات.

كما أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أُمتي).

ـ رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

ـ مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٦٩.

وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت فأقول؟ محمد فيقول: بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك).

ـ صحيح مسلم كتاب الإيمان باب في قول النبيّ أنا أول الناس يشفع في الجنة، رقم الحديث (٣٣٣ ـ ١٩٧) ٢/ ٧٤ ـ ٧٥.

(١) روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد كل أمة، وقال مرة بيدان وجمعه ابن طاوس فقال: قال أحدهما بيدان وقال الآخر بأيد كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم ثم هذا اليوم الذي كتبه الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع فلليهود غد وللنصارى بعد غد).

مسند الإمام أحمد ٢/ ٢٤٣ وله طرق أخرى.

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غداً والنصارى بعد غد) المسند ٢/ ٢٧٤.

(٢) انظر هامش ٣ ص٢٤١.

(الجنـة والنـار)

[١٤٣] **فصل**: المؤمنون لهم مراتب في الجنة على قدر أعمالهم[١] والله

---

(١) يكرم الله تعالى المؤمنين بحسب أعمالهم ودرجاتهم، وقد أوضحت الآيات القرآنية والسنّة النبوية الشريفة ما أعد الله تعالى للمؤمنين الصابرين المحتسبين، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١﴾ [ق: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ . . . ﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٢].

وروى الإمام الترمذي بسنده عن أبـي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مات ولد العبد قال الله للملائكة: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد). سنن الترمذي كتاب الجنائز ٢/٢٤٣، باب فضل المصيبة إذا احتسب، وفي المسند ٤/٤١٥، ومما جاء أيضاً في هذا الصدد قول النبـيّ ﷺ: (أنا زعيم لمن آمن بـي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة)، سنن =

ـ عزّ وجلّ ـ يكرمهم بنعيم الجنة[1]، من حور العين والقصور

= النسائي، كتاب الجهاد، باب لمن أسلم وهاجر وجاهد ٦/ ٢١.

(١) نعيم الجنة هو ما أعده الله تعالى للمؤمنين، ومن كثرة أخباره فإنه لا يمكن حصره بوصف. من ذلك ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ في الحديث القدسي عن ربه عزّ وجلّ: (قال الله عزّ وجلّ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٧].

في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة ٤/ ٨٥ ـ ٨٦.

وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث (٢ ـ ٢٨٢٤) ٩/ ١٨١.

أما عن الحور العين فيقول الحق تبارك وتعالى في شأنهن:

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾[الرحمن: ٥٦].

وقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[الرحمن: ٧٢].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾[الرحمن: ٥٨].

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الواقعة: ٢٢ ـ ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور: ٢٠].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول زمرة ترد الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون، آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من رواء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد، يسبّحون الله بكرة وعشياً).

صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٤/ ٨٦. =

والغلمان[1] والولدان والشراب الطهور والخلود فيها لا يموتون[2] فيها ولا يخرجون منها، ويكرمهم أيضاً برؤيته، كما يشاء الله تعالى[3]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

= وصحيح مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم الحديث ١٧، ٩/١٨٩.

أما عن الدور والمنازل والغرف في الجنة فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقوله أيضاً: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[سبأ: ٣٧].

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾[الفرقان: ٧٥].

وقوله: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[التوبة: ٧٢].

أما عن الولدان والغلمان فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾[الطور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩].

وبشأن الشراب الطهور: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾[الإنسان: ٢١]، وكذا [الواقعة: ١٨ ـ ١٩].

(١) في الأصل غلماء.

(٢) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ ـ ٨].

(٣) يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وفي الصحيح: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: «تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجلّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

صحيح الإمام مسلم، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم عزّ وجلّ، رقم =

[١٩/ ب] ﴿نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[١] اللهم اجعلنا/ منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

[١٤٤] **فصل**: المؤمنون المذنبون في المشيئة إن شاء يعذبهم وإن شاء يرحمهم، فإن عذبهم في النار بقدر معاصيهم ثم يرحمهم، ويخرجهم، ويدخلهم الجنة. قال ﷺ: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان)[٢].

[١٤٥] **فصل**: الكفار كلهم يدخلون النار، ويخلدون فيها أبداً[٣]

= الحديث (٢٩٧ ـ ١٨١) ٢/ ١٩ ـ ٢٠.

(١) [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

(٢) روى الإمام البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال:

«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية قال وهيب حدثنا عمر والحياة وقال خردل من خير).

صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١/ ١١.

وفي مسلم: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بطر الحق وغمط الناس). باب كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث (١٤٧ ـ ٩١) ١/ ٣٦٦.

وفي رواية: (لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء)، المرجع السابق رقم الحديث ١٤٨.

(٣) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا =

= طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٧].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٦].

وكذلك: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾[القمر: ٤٧ ـ ٤٨].

وكذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

وجاء في الصحيح: (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون).

صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين، رقم الحديث (٣٠٦ ـ ١٨٥) ٢/٣٩.

قال الإمام القرطبي: (هذه الأحاديث مع صحتها نص على خلود أهل الدارين فيها لا إلى غاية ولا إلى أمد مقيمين على الدوام والسرمد، فمن دخل النار فليس له موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال الله في كتابه الكريم وأوضح فيه من عذاب الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ـ إلى قوله ـ نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦ ـ ٣٧].

وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ =

لا يموتون فيها ولا يخرجون منها يعذبون بأنواع العذاب على قدر معاصيهم وكفرهم ــ نعوذ بالله منها ــ .

[١٤٦] **فصل**: واعتقد أن الجنة والنار مخلوقتان لأهليهما لا يفنيان أبداً هكذا ورد لفظ الحديث(١).

[١٤٧] **فصل**: اعلم بأن الله تعالى خلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً(٢) فمن شاء منهم للجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم للنار عدلاً منه. فإن الله تعالى أعلم

= بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ١٩ ــ ٢٢].

.. فمن قال إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بمجملها خاوية على عروشها وإنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ وما أجمع عليه أهل السنّة والأئمة العدول)، التذكرة للقرطبي ص٤٣٦ ــ ٤٣٧.

(١) جاء في الصحيح: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٧/ ٢٠٠.
وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون، رقم الحديث ٤٣، ٩/ ٢٠١.

(٢) جاء في الصحيح: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، ينادي مناد:
إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تضحوا فلا تشقوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً. فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].
صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في نعيم أهل الجنة، رقم الحديث (٢٢ ــ ٢٨٣٧)، ٩/ ١٩١.

عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه كذلك أفعالهم فيما علم أن يفعلوه وكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل الجنة يسر الله عز وجل عليه عمل أهل الجنة، وكذا من كان من أهل النار ـ نعوذ بالله من النار ـ .

• • •

(الإيمـان)

[١٤٨] **فصل:** واعتقد أن الإيمان[١] ....

(١) لم يكن هناك خلاف في مفهوم الإيمان إبّان عهد النبيّ ﷺ وإلى عهد قريب من عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إذ أن مفهومه كان جلياً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض متمثلاً بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر، كما ثبت ذلك عن المصطفى ﷺ، إلا أن توالي الأحداث وما نجم عنها من اجتهادات العصور الأولى من جهة وما استتبع ذلك من نشأة الفرق الكلامية وظهورها لأسباب مختلفة آنذاك، وبروز الأحزاب السياسية التي أدت إلى خلاف حول مفهوم الإيمان وغيره من المسائل العقدية الأخرى سيما وأن ظهور النزاع بين الفرق والمذاهب كان عاملاً مهماً في إرساء قواعد الخلاف بين المتخاصمين، ولقد بلغت ذروة هذا الخلاف إلى الحد الذي اندلعت على أثره الحروب بين أفراد الأمة، فأصبح هناك القاتل والمقتول، وهناك الجاني والمجني عليه، فما حكم كل منهما من الناحية العقدية؟ وما الذي يترتب على هذا الحكم سواء في الدنيا أو في الآخرة؟ وعليه فقد اعتبر القاتل مرتكباً للكبيرة، ولقد اختلفت الأمة في الحكم عليه. وهكذا حلّ الخلاف المستحكم الذي (دفعتهم إليه الغلبة من شهوة أو غفلة أو شدة الغضب، أو الحمية، أو رجاء العفو والتوبة من غير استحلال منهم ولا استحقاق بمن أمر ونهى، فمنهم من جعله كافراً ومنهم من جعله مشركاً، ومنهم من جعله غير مؤمن ولا كافر، ومنهم من جعله منافقاً، ومنهم من جعله مؤمناً على ما كان عاصياً =

في التحقيق وهو التصديق[1] بالقلب، وهو الإيمان المفروض/ على العبد،[٢٠/ أ]

= بما فعل). التوحيد، للإمام الماتريدي ص٣٢٩.
وهكذا تحدد الخلاف الذي تراوح بين الاعتدال عند أهل السنّة والجماعة وبين الإفراط والتفريط عند أصحاب الأهواء والبدع، وكان للأيدي الخفية الدور الأكبر في تزكية هذه الخلافات وتعميق جذورها، والتلاعب بالمصطلحات الناجمة عن هذا الخلاف وتسليط الأضواء عليه زيادة في نشره بين المتخاصمين، وعليه كان لزاماً على علماء أهل السنّة والجماعة تمحيص الآراء والأفكار للذبّ عن حياض الدين، وردع مقولات أهل الإلحاد والمشركين. فتشعبت الآراء والردود، وهكذا أصبح للمدارس والمذاهب الفكرية عناصر ومواد خصبة لمقولاتها.

(١) ذهب جمهور أهل السنّة والجماعة إلى أن:
الإيمان لغة التصديق، على وزن إفعال من الأمن للصيرورة أو التعدية، فيتعدى باللام كما في قوله تعالى حكاية (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق، وبالباء كم في قوله عليه الصلاة والسلام (الإيمان أن تؤمن بالله) الحديث. أي أن تصدق.
وليس حقيقة التصديق أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول لذلك، بحيث يقع عليه اسم التسليم.
أما من الناحية الشرعية فهو التصديق بما جاء به النبـيّ ﷺ من عند الله، أي تصديق النبـيّ عليه الصلاة والسلام بالقلب في جميع ما علم من الدين بالضرورة مجيئه به من عند الله تعالى إجمالاً).
ــ انظر شرح المقاصد ص٧٩.
ــ وشرح العقائد النسفية ص٧٧ ــ ٧٨.
وقد نقل النسفي في تبصرة الأدلة أقوال العلماء في التصديق، وبين الخلاف الناشىء عنه حيث يقول: (اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً لا وجه لذكر ذلك ولا سبيل إليه لكثرة ما فيه من الأقاويل. . (فمن) الناس من زعم أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان. وحكي هذا عن مالك والشافعي والأوزاعي وأهل المدينة وأهل الظاهر وجميع أئمة أهل الحديث كأحمد بن حنبل =

الإقرار باللسان ليظهر عند الناس ما في الجنان فتجري عليه أحكام الإسلام، فمن أتى بالتصديق بالقلب يكون مؤمناً بينه وبين الله تعالى، ومن أتى بهما يكون مؤمناً عند الله وعند الناس.

والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر[1]، دلالة أن الإيمان هو التصديق بالقلب وأن ضد الإيمان هو كفر وتكذيب، والتصديق والتكذيب عمل القلب[2].

= وإسحق بن راهويه ومن المتكلمين منهم الحارث بن أسد المحاسبي وأبي العباس القلانسي وأبي علي الثقفي.

ومن الناس من زعم أن الإيمان يكون بالقلب واللسان دون غيرهما من الجوارح وإليه يذهب الشمرية والنجارية والغيلانية، وحكى هذا عن كثير من أصحاب أبي حنيفة غير أن هؤلاء اختلفوا فيما بينهم.

فمنهم من جعل بالقلب المعرفة، ومنهم من جعل ذلك بالتصديق، وكان بشر بن غياث المريسي يقول إن الإيمان هو التصديق في اللغة، وما ليس بتصديق فليس بإيمان إلا أن التصديق يكون بالقلب واللسان جميعاً).

تبصرة الأدلة للنسفي ٢/٧٩٨، وسيأتي الكلام عن هذا فيما بعد.

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث (١ ــ ٨) ١/ ١٧٧ ــ ١٧٨.

(٢) مدار الخلاف بين العلماء حول مناط الحكم في الآخرة، أيكفي من الإنسان مجرد التصديق؟ أم هو مع الإقرار باللسان؟

فمذهب الماتريدية أن من (أتى بهذا التصديق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى والإقرار يحتاج إليه ليقف عليه الخلق فيجروا عليه أحكام الإسلام.

وكما يكون التصديق بالقلب يكون أيضاً باللسان، فيكون كل من التصديق القلبي واللساني ركناً فيه كما في مفهوم الإيمان، بدليل قوله ﷺ: (أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، ولأن الاحتياط في اعتبار الركنية، والاحتياط أمر لازم =

. . . .

= لا سيما في أصل كل أصل، وبأن الله تعالى ذم المتمكن المعاند أكثر من ذم الجاهل المقصر، فلو لم يكن الإقرار ركناً لازماً لما ذمه).

انظر: التمهيد لقواعد التوحيد ص٣٧٨ وكتاب نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة ص١٦٦.

وقد نقل الملا علي القاري قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كتاب الوصية: (إن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيماناً؛ لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنين. وكذلك المعرفة وحدها، أي مجرد التصديق لا يكون إيماناً لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين. قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]، أي في دعواهم الإيمان حيث لا تصديق لهم. وقال الله في حق أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام: ٢٠].

ثم إن التصديق ركن حسن لعينه لا يحتمل السقوط في حال من الأحوال بخلاف الإقرار فإنه شرط أو شطر وركن حسن لغيره. ولهذا يسقط في حال الإكراه، وحصول الأعذار، وهذا لأن اللسان ترجمان الجنان، فيكون دليل التصديق وجوداً وعدماً، فإذا بدله بغيره في وقت يكون متمكناً من إظهاره كان كافراً، وأما إذا زال تمكنه من الإظهار بالإكراه لم يصر كافراً، لأن سبب الخوف على نفسه دليل ظاهر على بقاء التصديق في قلبه، وإن الحامل له على هذا التبديل حاجته إلى دفع المهلكة عن نفسه لا تبديل الاعتقاد في حقه كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦]. انظر شرح الفقه الأكبر ص١٢٤.

أما مذهب الأشاعرة وبعض الماتريدية: فقد ذهبوا إلى أن النطق من القادر شرط في الإيمان خارج عن ماهيته التي هي التصديق لإجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن من نحو التوارث والتناكح والصلاة خلفه وعليه، والدفن في مقابر المسلمين. ومطالبته =

[١٤٩] **فصل**: وسائر العبادات من أحكام الإيمان، لأن اسم الإيمان لو كان واقعاً على مجموع التصديق والإقرار والأعمال لوجب زوال الإيمان بزوال بعض الأعمال أو بزوال كلها ولا (يوجب)[١] ذلك زوال الإيمان[٢].

[١٥٠] **فصل**: الإيمان لا يزيد ولا ينقص بانضمام الطاعات إليه، ولا ينتقص بارتكاب المعاصي، لأن الإيمان عبارة عن التصديق والإقرار،

= بالصلوات والزكوات وما إلى ذلك، وينبني على هذا أن كل من يريد الدخول في الإسلام لا بد أن ينطق بالشهادتين فإذا لم ينطق عد «كافراً» في الدنيا والآخرة، أما إذا امتنع لعذر كالخرس مثلاً، أو عن فهم الإشارة، فلا يطالب بالنطق ما دامت قامت قرينة تدل على إسلامه).

راجع: شرح الفقه الأكبر ص١٢٥.

وكذ: شرح جوهرة التوحيد، للشيخ التتان ٢/ ٢٣٨ وما بعدها.

والمنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد، د. نشأت ضيف ص٢٦٢.

(١) في الأصل: وجب.

(٢) ومما يؤكد كلام المصنف ما جاء في قول النسفي:

(ويدل عليه ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال: (إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحج مبرور). ولو كان الإيمان اسماً لكل الخيرات لا يكون وجوده بلا شك، لأنه لا أحد يقطع القول بإثبات جميع الخيرات، ولأنه غاير بين الإيمان والغزو والحج وذلك دليل أنهما غير الإيمان.

والدليل عليه أن الله تعالى جعل الإيمان شرطاً لقيام الأعمال الصالحة بقوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾، ولو كان الإيمان اسماً لجميع الأعمال الصالحة والخيرات لكان شرط الشيء وما به قيامه هو ذلك الشيء، وهو محال).

تبصرة الأدلة، لأبي المعين النسفي ٢/ ٨٠٢.

ودونهما لا يختلف ولايزيد ولا ينقص[1].

---

(١) هذا مذهب مشايخ الحنفية وبعض الأشاعرة كالإمام الجويني، فالإيمان على هذا لا يزيد ولا ينقص، وقد جاء في كتاب الوصية للإمام أبـي حنيفة قوله: (لا يتصور زيادة الإيمان إلا بنقصان الكفر، ولا يتصور نقصان الإيمان إلا بزيادة الكفر، فكيف يجوز للشخص في حالة واحدة (أن يكون) مؤمناً وكافراً، والمؤمن مؤمن حقاً وليس في إيمان المؤمن شك، كما أنه ليس في كفر الكفار شك، لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ [الأنفال: ٤].

وفي موضع آخر: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ ﴾ [النساء: ١٥١] (أي: في محل آخر، والعاصون من أمة محمد ﷺ كلهم مؤمنون حقاً ليسوا بكافرين أي حقاً)، شرح الفقه الأكبر ١٢٨.

وقد وافق الإمام الرازي من الأشاعرة الماتريدية القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وقد علل ذلك بقوله: (لما كان اسماً لتصديق الرسول ﷺ في كل ما علم بالضرورة مجيئه به وهذا لا يقبل التفاوت فكان مسمى الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان، وعند المعتزلة لما كان اسماً لأداء العبادات كان قابلاً لها. وعند السلف لما كان اسماً للإقرار والاعتقاد والعمل فكذلك. والبحث لغوي ولكل واحد من الفرق نصوص. . . .

ــ وبعد أن استعرض هذه الأقوال ذهب إلى التوفيق بين الآراء فقال:

(والتوفيق أن يقال: الأعمال من ثمرات التصديق، فكل ما دل على أن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كان مصروفاً إلى أصل الإيمان، وما دل على أنه قابل لهما فهو مصروف إلى الإيمان الكامل). انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للإمام الرازي ص٢٤٩ ــ ٣٥٠.

وانظر المزيد من الأدلة للماتريدية: شرح المقاصد للتفتازاني ص٢١٠ ــ ٢١١ وما بعدها.

ــ أما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: (وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا =

[١٥١] **فصل**: وأما تأويل ما ورد من الزيادة في القرآن(١) فمن وجوه:

= بالتصديق به ولا جهل به لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبيّ ﷺ وإن كنا جميعاً (مؤدين للواجب علينا)، رسالة أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص٢٧٢، وانظر المواقف للإيجي ص٣٨٨.

وقد استشهد الأشاعرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤]، وكقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤]، وكذا في سورة [المدثر: ٣١].

كما استشهدوا بقول النبيّ ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما لما سأله عن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار)، رواه ابن ماجه، رقم الحديث ٧٤، وإسناد هذا الحديث ضعيف، كما أشار إليه محمد فؤاد عبد الباقي في سننن ابن ماجه ٢٨/١، باب ٩، المقدمة، باب الإيمان.

والإجابة على ذلك: أن الدليل على عدم الزيادة والنقص (أن الواجب في الإيمان هو التصديق البالغ حد الجزم، وذلك لا يقبل التفاوت في حد ذاته، لأن التفاوت إنما هو في احتمال النقيض، واحتماله ولو بأبعد وجه ينافي اليقين ولا يحيا معه. وبأنه أجمع العلماء على أنه واحد، وأهله في أصله سواء، ووحدته واستواء أهله فيه ينافي التفاوت).

انظر: نظرة علمية في نسبة كتابة الإبانة ص١١٧.

(١) وقد أجيب إضافة لما ذكره المصنف: بأن الزيادة الواردة في الإيمان من مثل قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ أن الزيادة والنقصان ليسا في ذات =

أحدها: أنهم آمنوا وصدقوا في الجملة. ثم يزداد فرض بعد فرض فيؤمنون بكل فرض خاص، فيزداد إيمانهم من حيث التفصيل مع إيمانهم بالجملة(١).

والثاني: الثبات والدوام عليه زيادة عليه في كل ساعة(٢).

= الإيمان، بل هي أمور زائدة ككونه جلياً أو أجلى، وما يتخيل أنه تفاوت فليس رجوعه إلَّا إليهما كالجزم بأن الواحد نصف الاثنين أجلى من اعتقاد حدوث العالم. وهو أمر جلي أيضاً فالإيمان يتفاوت في جلائه وإشراقه، وعلى هذا تحمل الآيات الواردة في زيادة الإيمان)، نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة ص١١٧.

(١) انظر: شرح المقاصد ص٢١٤، وكذلك شرح العقائد النسفية ص٨١.

(٢) شرح المقاصد ص٢١٤.

ويؤكد الرازي على ذلك حيث قال: (إن الإيمان لا يقبل الزيادة من حيث أنه أصل التصديق لا من جهة اليقين، فإن مراتب أهلها مختلفة في كمال الدين، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فإن مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين. وكذا ورد (ليس الخبر كالمعاينة) وإن قال بعضهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً؛ يعني أصل اليقين؛ لمطابقة علم اليقين في ذلك الحين وهو لا ينافي زيادة اليقين عند الرؤية كما هو مشاهد لمن له علم بالكعبة في الغيبة، ثم حصل له المشاهدة في عالم الحضرة.

وعلى هذا فالمراد بالزيادة والنقصان القوة والضعف، فإن التصديق بطلوع الشمس أقوى من التصديق بحدوث العالم، وإن كانا متساويين في أصل تصديق المؤمن به، ونحن نعلم قطعاً أن إيمان آحاد الأمة ليس كإيمان النبيّ ﷺ، ولا كإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه باعتبار هذا التحقيق. وهذا معنى ما ورد: (لو وزن إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإيمان جميع المؤمنين لرجح إيمانه)، يعني لرجحان إيقانه ووقار جنانه وثبات إتقانه وتحقيق عرفانه، لا من جهة ثمرات الإيمان من =

[٢٠/ ب] **الثالث**: / زيادتهم إيماناً: أي يقيناً وإخلاصاً في كل ساعة غير شك من حيث إنهم إذا رأوا معجزة النبيّ ﷺ يعد معجزة نصرة بعد نصرة، ودخل الناس في دين الإسلام ازداد يقينهم وإخلاصهم في صدق نبوّته ورسالته وحقيقة دين الإسلام. مثاله إذا كان ولياً وله مريد كلما رأى منه الكرامات وزيادة العبادات ازداد للمريد يقينه وإخلاصه واعتقاده فيه، وكذا هذه.

[١٥٢] **فصل**: العبد إذا آمن وصدق وعرف الله حق معرفته بتعريفه إياه وهدايته، يحكم بكونه مؤمناً حقاً، لأن القول بكون الشخص مؤمناً حقاً فيه اعتبار الحقائق، لأن من كان مؤمناً في نفسه حقيقة كمن كان طويلاً أو قصيراً يكون عند الله كذلك.

[١٥٣] **فصل**: الإيمان فيه طرفان: فعل الله تعالى، وفعل العبد. فمن حيث إنه فعل الله تعالى وهو التوفيق والهداية غير مخلوق(١)، لأنه صفته، وصفته أزلية. ومن حيث إنه فعل العبد وهو الإقرار والتصديق فهو مخلوق، لأن العبد بجميع أفعاله مخلوق(٢) بخلق الله تعالى.

[١٥٤] **فصل**: إيمان المقلد صحيح(٣)، وهو الذي اعتقد جميع ما فرض

= زيادات الإحسان لتفاوت أفراد الإنسان من أهل الإيمان في كثرة الطاعات، وقلة العصيان، وعكسه في مرتبة النقصان مع بقاء أصل وصف الإيمان في حق كل منها بنعت الإيقان، كذا نقله الملا علي القاري عن الرازي في شرح الفقه الأكبر ص ١٢٦ ــ ١٢٧. فالخلاف لفظي بين أرباب العرفان).

(١) انظر: نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة ص١٢٠.

(٢) راجع كتاب التوحيد للماتريدي ص٢٨٧ ــ ٢٨٨.

(٣) ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى صحة إيمان المقلد ولكن لكل وجهة: فالأحناف يقولون: إن من اعتقد أركان الإيمان تقليداً كالتوحيد والنبوّة وغيرهما =

. . . .

= يصح إيمانه.

ـ انظر في هذا: شرح المقاصد للتفتازاني ص٢١٨، أما جمهور الأشاعرة فقد ذهبوا إلى عدم الاكتفاء بالتقليد في العقائد الدينية، يقول صاحب الجوهرة:

إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد

انظر: شرح جوهرة التوحيد، للتتان ١/ ١٦٩.

ـ انظر: أدلتهم في: أصول الدين للبغدادي ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

ويعلل الأشاعرة ذلك بأنه: لا يجوز التقليد في الأصول؛ لأنا مأمورون باتباع الرسول ﷺ، وهو مأمور بتحصيل العلم بها. لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولما تكرر في التنزيل من ذم التقليد، لخلاف الفروع لأن المسألة الأصولية قليلة تمكن الإحاطة بها، وتكفي فيها المعرفة إجمالاً، وهو مركوز في الطبائع السليمة، وإنما يحتاج إلى نظر لطيف كما نقل عن أعرابي قيل له: بم عرفت الرب؟ قال البعرة تدل على البعير وآثار المشي تدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، أفلا تدلان على الصانع الخبير؟).

أما المعتزلة فقد ذهبت إلى القول: من لم يعرف كل مسألة بدلالة العقل على وجه يمكنه دفع الشبهة لا يكون مؤمناً، لأن العلم المحدث إما ضروري وإما كسبي، وهذا الاعتقاد ليس ضرورياً، وهو ظاهر، ولا استدلال معه فلا يكون علماً.

انظر: أدلة المعتزلة في: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٦١، وكذلك في المغني ١٢/ ٧٠.

وقد أجاب الحنفية: أن هذا الخلاف فيمن نشأ على شاهق جبل، ولم يتفكر في العالم فأخبر بذلك فصدقه، وأما من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤية صنائعه فهو خارج عن التقليد ولم يكن فيه خلاف بيننا وبين الأشعرية إنما الخلاف بيننا وبين المعتزلة.

انظر: الروضة البهية، لأبي عذبة ص٣٧ ـ ٣٨.

ومن أدلة الحنفية: أن النبيّ ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم قبلوا إيمان الأعراب=

[٢١/ أ]عليه، من حدوث[1] العالم، ووجود الصانع، وقدمه ووحدانيته/ بجميع صفاته وإرسال رسله، وإنزال كتبه، وغير ذلك اعتقاداً صحيحاً، جزماً بلا شك وارتياب من غير دليل عقلي، فهذا مؤمن وإيمانه صحيح في الدنيا والآخرة.

● ● ●

= الخالين عن النظر والاستدلال ولم يشتغلوا بتعليم الدلائل. فلو كان شرطاً في صحة الإيمان لما تركوا، قال علم الهدى الماتريدي: أجمع أصحابها على أن العوام مؤمنون عارفون بالله تعالى وأنهم حشو الجنة للأخبار، والإجماع فيه لكن منهم من قال: لا بد من نظر عقلي في العقائد. وقد حصل لهم من المعرفة القدر الكافي، فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث الموجودات، وأنه تعالى مبدع للكائنات وإن عجزوا عن التعبير عنه على اصطلاح المتكلمين). نظرة علمية ص١١٨.

ومن أدلتهم: أن المعتبر في التصديق هو اليقين (أي) الاعتقاد الجازم المطابق، بل ربما يكتفى بالمطابقة، ويجعل الظن الغالب الذي لا يخطر معه النقيض بالبال في حكم اليقين)، شرح المقاصد ص٢١٨.

(١) في الأصل: حدث العالم.

(الإسـلام والإيمـان)

[١٥٥] **فصل**: الإيمان والإسلام[1] شيء واحد[2]، والإيمان والإسلام

---

(١) الإسلام لغة: الخضوع والانقياد، بمعنى قبول الأحكام والإذعان. وشرعاً هو: الامتثال والانقياد لما جاء به النبيّ ﷺ مما علم من الدين بالضرورة. والمراد بالامتثال الإقرار اللساني بجميع ما جاء به النبيّ ﷺ.
ـ راجع: شرح العقائد النسفية ص٨٣، وإرشاد الأنام في عقائد الإسلام للبغدادي ص٤٩، وشرح المقاصد ص٥/ ٢٠٧.

(٢) وجمهور الماتريدية على أن الإسلام والإيمان شيء واحد باعتبار ما ينجي العبد في الآخرة، إذ معنى آمنت بما جاء به النبيّ عليه السلام: صدقته. ومعنى أسلمت له: سلمته، ولا يظهر بينهما كثير فرق لرجوعهما إلى معنى الاعتراف والانقياد والإذعان والقبول)، انظر: شرح المقاصد ص٥/ ٢٠٧، وكتاب التوحيد للماتريدي ص٣٩٥.
وقد بين التفتازاني المراد من عدم التغاير بين الإسلام والإيمان: أنه لا ينفك أحدهما عن الآخر، لا الاتحاد بحسب المفهوم فالإيمان هو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من أوامره ونواهيه، والإسلام هو الانقياد والخضوع للألوهية وهذا لا يتحقق إلا بقبول الأمر والنهي، فالإيمان لا ينفك عن الإسلام حكماً فلا يتغايران. ومن أثبت التغاير يقال له: فاحكم حكم من آمن ولم يسلم. أو أسلم ولم يؤمن؟ فإن أثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر منهما فبها ونعمت وإلا فقد ظهر بطلان قوله...)، شرح العقائد النسفية ص٨٣.
=

= ويؤكد الإمام أبو منصور الماتريدي هذا التلازم بينهما فيقول: (هما واحد في التحصيل، وإن كانت العبارة من الاسم في الإطلاق ربما تختلف كالإنسان وابن آدم ورجل وفلان يختلف من ظاهر الإسلام المعنى. وفي التحقيق واحد من حيث كان بوجود واحد وجود الآخر، إلا من الوجه الذي وصفت في حق الإسلام الذي هو باللسان)، كتاب التوحيد ص٣٩٥.
ومن أدلته أيضاً: قوله: ثم الأصل أنه من البعيد عن العقول أن يأتي المراء بجميع شرائط الإيمان ثم لا يكون مسلماً أو يأتي بجميع شرائط الإسلام ثم لا يكون مؤمناً، ثبت إنهما في الحقيقة واحد.
وكذلك يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].
وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].
ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤] فصيرهم بالذين آمنوا مسلمين.
وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧]، صير ذلك منهم إسلاماً لو صدقوا في إيمانهم وكذلك به يكونون مسلمين. وجاء في قول الملائكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦] فصير الذين كانوا مسلمين مؤمنين... ثم الأمر المتوارث من غير تنازع في تسمية كل مسلم مؤمناً وكل مؤمن مسلماً، ثم اتفاق أصل المذاهب في الإسلام إن ما يخرج من الإيمان يخرج من الإسلام، وكذلك الذي يخرج من الإسلام يخرج من الإيمان، ثم ما لا تنازع في الآخرة في جميع الفرق إن الدار التي هي لأهل الإسلام هي لأهل الإيمان، وإن التي هي لهؤلاء هي لهؤلاء). انظر: كتاب التوحيد للماتريدي ص٣٩٧ ـ ٣٩٨، وعبارات النسفي في التبصرة قريبة من عبارات أبي منصور في «التوحيد». انظر: تبصرة الأدلة ٢/٨١٧ ـ ٨١٨، وانظر كذلك شرح المقاصد=

يترادفان عليه، وكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن، دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢). أي دين الله تعالى هو الإسلام.

وإن كان الإيمان غير الإسلام فهو غير مقبول والإيمان دين لا محالة فلو كان ديناً غير الإسلام لم يكن دين الله ـ عزّ وجلّ ـ ولم يكن مقبولاً والأمر بخلافه.

[١٥٦] **فصل**: اعلم أن قوله: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى استثناء، والاستثناء شك، والشك في أصل الإيمان كفر وضلال(٣). دل عليه أن الكافر

= ٥/٢٠٦ ـ ٢٠٧.

ومن الردود: ما أشار إليه التفتازاني بقوله: (فإن قيل: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] صريح في تحقيق الإسلام بدون الإيمان، قلنا: المراد أن الإسلام المعتبر في الشرع لا يوجد بدون الإيمان، وهو في الآية بمعنى الانقياد الظاهر ومن غير انقياد الباطن بمنزلة التلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق في باب الإيمان). شرح العقائد النسفية ص٨٣، وشرح المقاصد ٥/٢٠٦، والفقه الأكبر ص١٣٠ ـ ١٣١.

(١) [آل عمران: ٨٥].

(٢) [آل عمران: ١٩].

(٣) فصّل الماتريدية هذه المسألة فقالوا: إن كان قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله للشك فهو كفر لا محالة. وإن كان للتأدب، وإحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى أو للشك في العاقبة والمآل، لا في الآن والحال أو للتبرك بذكر الله تعالى أو للتبري من تزكية نفسه والإعجاب بحاله فالأولى تركه لما أنه يوهم الشك). شرح العقائد ص٨٥، والفقه الأكبر ص٢٠٨ ـ ٢٠٩. وقال في شرح المقاصد: (ومنعه الأكثرون لدلالته =

لو قال ابتداء أنا مؤمن إن شاء الله لا يصير مؤمناً لوقت الإيمان، أو قال آمنت بالله ورسله إلى ألف سنة لم يصر مؤمناً. تفكر أنه مؤمن إلى ألف سنة يحكم بكفره في الحال.

والاستثناء شرع في الأعمال المؤقتة لا المؤبدة، والإيمان معقود إلى الأبد من غير توقيت. وإن قال: أكون مؤمناً إن شاء الله[1]/ [٢١/ ب] أموت مؤمناً إن شاء[2] الله يكون إيماناً مقبولاً إن[3] شاء الله، يكون مستحسناً[4] لأن المؤمن أبداً فينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء خصوصاً خوف الخاتمة. فإنه من أهم الأمور، وما يدري العبد أنه يختم عمره على الإيمان أو على الكفر، ولأجلها كان أكثر بكاء الخائفين. فمن هذا الوجه يجب الاستثناء، ويكون شكاً في الثبات والدوام والقبول في أصل الإيمان.

= على الشك أو إيهامه إياه)، شرح المقاصد ٥/ ٢١٤.

(١) في الأصل: إنشاء.

(٢) في الأصل: إنشاء.

(٣) في الأصل: إنشاء.

(٤) من المسائل المترتبة على هذه المسألة ما أوضحه الملا علي القاري حيث يقول: من قال: (أنا مؤمن إن شاء الله تعالى) قالوا (في حقه) ذلك لا يصح كما لا يصح قول القائل: (أنا حي إن شاء الله تعالى، وأنا رجل إن شاء الله تعالى. وقال صاحب التعديل: فإن لم يثبت الكفر فلا أقل من أن يكون التلفظ به حراماً لأنه صريح في الشك في الحال، وهو لا يستعمل في المحقق في الحال حيث لا يقال أنا شاب إن شاء الله تعالى)، شرح الفقه الأكبر ص٢٠٩.
والأشاعرة حينما تقر الاستثناء في الإيمان فإنهم يربطونه بالمشيئة ولا يقصدون التشكك في الإيمان الناجز)، انظر الإرشاد للجويني ص٤٠٠، فإذا كانت المسألة على هذا النحو بين الفرقاء فالخلاف بينهما يسير.

[١٥٧] **فصل**: إيمان المحسن والمسيء سواء[1]. دل عليه: أن الله تعالى سوّى بين شهادة الملائكة والمؤمنين حيث قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[2] يعني المؤمنين، فلولا أن إيمانهم

---

(١) هذه المسألة تابعة لما قبلها من مسائل زيادة الإيمان ونقصه، وقد تقدم تقرير الماتريدية وبعض الأشاعرة منع الزيادة والنقصان خلافاً لجمهور الأشاعرة.

وقد أجاب الجويني على هذه المسألة بقوله: (إذا حملنا الإيمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقاً كما لا يفضل علم علماً، ومن حمله على الطاعة سراً وعلناً فلا يبعد على ذلك إطلاق القول بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينتقص بالمعصية وهذا مما لا نؤثره.

فإن قيل: أصلكم يلزمكم أن يكون إيمان منهمك في فسقه كإيمان النبي ﷺ. قلنا: النبي عليه الصلاة والسلام يفضل من عداه باستمرار تصديقه، وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب. والتصديق عرض لا يبقى، هو متوال للنبي عليه الصلاة والسلام ثابت لغيره في بعض الأوقات، زائل عنه في أوقات الفترات، فيثبت للنبي عليه الصلاة والسلام أعداد التصديق ولا يثبت لغيره إلاَّ بعضها، فيكون بذلك أكثر، فلو وصف الإيمان بالزيادة والنقصان وأريد بذلك ما ذكرناه لكان مستقيماً فاعلموه).

الإرشاد للجويني، ص٣٩٩. وقد أوضح الرازي الخلاف بين الإمامين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما في هذه المسألة فقال: (إن الإيمان لما كان عند الشافعي هو مجموع الأمور الثلاثة وهي القول والعمل والاعتقاد، وكان حصول الشك في العمل يقتضي حصول الشك في أحد أجزاء هذه الماهية فيصح الشك في حصول الإيمان.

وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فلما كان الإيمان عبارة عن الاعتقاد المجرد؛ لم يكن الشك في العمل موجباً لوقوع الشك في الإيمان فظهر أنه ليس بين الإمامين رضي الله عنهما مخالفة في المعنى).

انظر: أصول الدين للرازي ص١٣٥ ــ ١٣٦.

(٢) [آل عمران: ١٨].

واحد وإلا لما سوى شهادتهم، وقال أيضاً: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾[1] يعني أن أهل الكتاب والمشركين (إن هم آمنوا) بما آمن به محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقد اهتدوا؛ فدل أن إيمان المشركين ـ لو آمنوا ـ وأهل الكتاب وإيمان النبيّ ﷺ وإيمان الصحابة سواء.

[١٥٨] **فصل**: السعيد من سعد بقضاء الله وقدره[2]، والشقي من شقي

---

(١) [البقرة: ١٣٧].

(٢) هذه المسألة من المسائل المختلف فيها أيضاً بين الأشاعرة والماتريدية.

فقد ذهب جمهور الأشاعرة إلى أن السعيد لا يشقى، والشقي لا يسعد. فالسعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل، لا يتغيران ولا يتبدلان، وأن فوز السعيد مقدر في الأزل، وكذا شقاء الشقي مقدر في الأزل.

وذلك لأن السعادة هي الموت على الإيمان، باعتبار تعلق علم الله تعالى أزلاً بذلك، والشقاوة هي الموت على الكفر بذلك الاعتبار، فالخاتمة تدل على السابقة، فإن من ختم له بالإيمان دل على أنه كان من السعداء في الأزل، وإن تقدم ذلك كفر. وإن ختم له بالكفر والعياذ بالله ـ تعالى ـ دل على أنه كان من الأشقياء في الأزل وإن تقدم ذلك إيمان). انظر: ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد ص٥٨، ونظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة ص٢١، وشرح جوهرة التوحيد للشيخ التتان ١/ ٥٧٣.

أما جمهور الماتريدية فالسعادة عندهم هي: الإيمان في الحال، والشقاوة لديهم هي: الكفر كذلك في الحال، والسعيد في نظرهم هو المؤمن في الحال، فإذا مات على الكفر فقد انقلب شقياً بعد أن كان سعيداً، أما الشقي فهو الكافر في الحال، وإذا مات على الإيمان فقد انقلب سعيداً بعد أن كان شقياً.

أما أدلتهم فهي قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ حيث دلت الآية على غفران ما سلف قبل الإسلام بالإسلام وحديث: (الإسلام يجب ما قبله). وكان عمر رضي الله عنه يطوف بالبيت يبكي ويقول: (اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقاوة فامحني وأثبتني =

بقضاء الله وقدره لقوله/ ﷺ (بما معناه): (السعيد من سعد في بطن أمه[٢٢/ أ] والشقي من شقي في بطن أمه والأعمال بالخواتم) نسأل الله تعالى خاتمة الخير بمنّه وكرمه. فمن ختم له بالإيمان، فقد حصلت له السعادة الأبدية، ومن ختم له بالكفر نعوذ بالله من سوء الخاتمة فقد حصلت له شقاوة أبدية[١].

= على السعادة).

وقد اعتبر بعض العلماء هذا الخلاف لفظياً بين الفريقين وحاول التوفيق بينهما وذلك: أن الخلاصة في أن العامة تخاف من الخاتمة.

وأما خوف الخاصة فمن السابقة وهو أشد وإن تلازما. قال ابن حجر: (إنه تعالى قد سبق في علمه الأزلي سعيد العالم وشقيه، ثم رتب على هذا السبق الخاتمة عند الموت بحسب صلاح العمل.. وعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشقاوتها والمبني على الشيء مبني على ذلك الشيء فهي إذن أولى بالخوف منها والمراعاة لها....

وعليه يكون الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية لفظياً، فيتناول أن السعادة عند الأشاعرة هي الموت على الإيمان، فهي مستقبلة لذلك صح تعلقها.

(وعند الماتريدية هي الإيمان الحالي أي الحاصل بالفعل لذلك لا يعلق، وتقرير الخاتمة أزلاً لا يتعارض مع العمل وتلمس أسباب السعادة والنأي عن الشقاء. (ففي الأثر): (أن رجلاً من مزينة أو جهينة ـ كما قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله فيم نعمل؟ أفي شيء قد خلا ومضى أم في شيء يستأنف الآن؟ قال: في شيء خلا ومضى. فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال: (إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار). رواه أبو داود في كتاب السنة باب في القدر رقم الحديث ٤٦٩٦ ٤/ ٢٢٤) وانظر: شرح جوهرة التوحيد للتتان، ١/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، إنما ورد في صحيح مسلم بسنده عن عامر بن واثلة رحمه الله أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: (الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد=

[١٥٩] **فصل:** اعلم أن من آمن يحكم بكونه مؤمناً في تلك الساعة، وكذا من كفر. ولا يحكم بكونه كافراً في أول عمره؛ لأنه يؤدي إلى أن يحكم بكونه كافراً حين كان مؤمناً مصدقاً لله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، موقناً مخلصاً آتياً بالعبادات والطاعات، وهذا ظاهر الفساد، وكذا يؤدي إلى عصيان آدم عليه السلام، وكذا داود، وكذا يؤدي إلى أن سحرة فرعون كانوا مؤمنين حين كانوا يعبدون الأوثان، واعلم أن من شاخ لا يتبين أنه كان شيخاً حال عنفوان شبابه. أو طوليته في بطن أمه، وكمن يوجد منه القعود في الحال يسمى قاعداً قطعاً، وإن كان يقوم بعد ذلك؛ فدل أن هذا الحكم إنكار الحقائق، والله أعلم بالصواب، نسأل الله تعالى أن يختم لنا بالإيمان بفضله ــ اللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

• • •

= من وعظ بغيره. فأتي رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال له: وكيف يشقى بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها، وخلق سمعها، وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص).

وفي رواية... ثم يقول يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً). رواه مسلم، في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه رقم الحديث (٣ ــ ٢٦٤٥) ٨/ ٤٤١.

(الإمامة)

/[١٦٠] **فصل:** لا بد للمسلمين من إمام[١] يقوم بمصالحهم من تنفيذ[٢٢/ ب]

(١) الإمامة في اللغة: مصدر من الفعل «أمّ» تقول: (أمهم وأمّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمامة كل ما ائتم به من رئيس أو غيره، والأم بالفتح القصد، يقال أمه وأممه وتأممه إذا قصده). القاموس المحيط للفيروزآبادي، ٤/ ٧٧، والصحاح للجوهري ٥/ ١٨٦٥.
أما في الاصطلاح فهناك العديد من التعريفات منها:
(أ) ما عرفها به صاحب المواقف بقوله: (هي خلافة الرسول في إمامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة)، المواقف للإيجي ص٣٩٥.
(ب) أما التفتازاني فقد عرفها بقوله: (هي رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبيّ ﷺ وأحكامه في الفروع)، شرح المقاصد ٥/ ٢٣٢.
(ج) أما ابن خلدون فيقول: (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)، المقدمة لابن خلدون ص١٩٠، ط٤، ١٣٩٨هـ.
ومن خلال التعريفات السابقة يلاحظ أن تعريف ابن خلدون أوسع وأشمل من تعريف غيره من العلماء، وقد اعتبر هذا التعريف من أشهر التعاريف وأجمعها فكان جامعاً مانعاً. وقد عدها بعض العلماء من الفروع إلا أن علة إدراج أحكامها في =

أحكامهم وإقامة حدودهم، وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وصرفها إلى مستحقيهم لأنه لو لم يكن لهم إمام (فإنه)[1] يؤدي إلى إظهار الفساد في الأرض[2].

= أصول الدين (أنه لما شاعت من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد أدرجت مباحثها في الكلام)، انظر شرح المقاصد ٥/ ٢٣٢.

وللمزيد: يراجع كتاب: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله الدميجي ص٢٨.

يضاف إلى ذلك أن بعضاً ممن ينتسب إلى هذا الدين أنكر كونها منه، وهذه من أخطر المسائل الفكرية المعاصرة، وعليه فإنه من الممكن اعتبار الإمامة من المواضيع المشتركة بين الأصول والفروع من هذه الحيثية. وقد أشار التفتازاني إلى أن مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق؛ لرجوعها إلى القيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات، وهي أمور تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية، ولا ينتظم الأمر إلا بحصولها فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل أحد، ولا خفاء في أن ذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية)، شرح المقاصد ٥/ ٢٣٢ ــ ٢٣٣.

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) تواتر إجماع المسلمين على وجوب نصب الإمام، وقد امتنع خلو الوقت عن إمام بعد وفاة النبيّ ﷺ، ولهذا نجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه عند إعلانه وفاة النبيّ ﷺ يقول: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) فكان لا بد لهذا الدين من يقوم به، فبادر الكل إلى قبوله.

ــ انظر المواقف ص٣٩٥، وأصول الدين للبغدادي ص٢٧٢، والتمهيد للنسفي ص٣٩٥، وشرح العقائد النسفية ص٩٦، وتبصرة الأدلة للنسفي ص٨٢٣.

وقد خالف هذا الإجماع شرذمة من الخوارج وهم «النجدات» و«أبو بكر الأصم» والفوطي من المعتزلة، الذين زعموا أن الناس لو كفوا عن التظالم (المظالم) =

= لاستغنوا عن الإمام، وزعم هشام أن الأمة إذا اجتمعت كلمتها على الحق احتاجت حينئذ إلى الإمام، وأما إذا عصت وفجرت وقتلت الإمام لم يجب حينئذ على أهل الحق منهم إقامة إمام...).

أصول الدين للبغدادي ص٢٧١ ـ ٢٧٢؛ وانظر التمهيد ص٣٩٥؛ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٢٠٥؛ والفرق بين الفرق ص١٥٩.

وقد رد النسفي على هؤلاء بقوله: (إن هذا التعليل فاسد لما مر من إثبات الحاجة إلى أمور كثيرة وراء قطع المنازعات والإنصاف والانتصاف. على أن قوماً لو استغنوا عنه لكانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع جلال أقدارهم وشدة احترازهم عما لا يحل، وامتناعهم عن الظلم والتعدي أولى الناس بالاستغناء. وحيث لم يستغنوا هم عنه دل أن ذلك ليس بشيء والله الموفق). التمهيد ص٣٩٦؛ وللمزيد انظر الردود في المواقف ص٣٩٦.

أما الأدلة على وجوب الإمامة، فمنها:

أولا: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقد نص المفسرون على أن المراد بأولي الأمر هم الأمراء والولاة والعلماء، فقد نصت الآية على وجوب الطاعة. فقوله «أطيعوا» أمر وكل أمر يقتضي الوجوب) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٠٣، وكذلك تفسير الطبري ٧/ ٤٩٧.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقوله أيضاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥]. =

وشرطه: أن يكون الإمام عاقلاً، بالغاً، ذكراً، عادلاً، عالماً بالحلال والحرام، مهتدياً إلى وجوه السادات والتدابير بأسباب الحروب، قادراً على العدل، وعلى إقامة الجمعة والأعياد، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس، لأنه لو لم تكن فيه هذه الشرائط يكون ناقصاً وعاجزاً فيؤدي إلى إظهار الفتن[1].

= وقد دل عليها كذلك قوله ﷺ: (من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية). رواه الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم الحديث (٥٨ ـ ١٨٥١)، ٦/ ٤٨١.

ومن ذلك قوله ﷺ: «لينتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة).

ـ رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٥١.

ـ والحاكم في المستدرك ٤/ ٩٢، وصححه الحاكم، ولم يوافقه الذهبي، فقد ضعف أحد رواته، والبقية ثقات.

وقوله ﷺ: (إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة).

ـ رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ١٦ رقم الحديث ٢٨١٦، ٤/ ١٤٩ ـ ١٥٠ وقال حسن صحيح.

وهناك الكثير من الأدلة من السنة العملية، وكذا الإجماع بين الأئمة على وجوب الإمامة، وللمزيد يراجع كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله الدميجي ص٥٢ وما بعدها.

(١) أضاف بعض العلماء شروطاً أخرى منها أن يكون (مجتهداً، شجاعاً، ذا رأي وكفاية سميعاً بصيراً ناطقاً، ثم ينبغي أن يكون الإمام في كل وقت ظاهراً يمكنه القيام بما نصب له، إذ نَصْبُ من لا يمكنه القيام بذلك غير معتبر، وبهذا يبطل قول الروافض =

[١٦١] **فصل**: ومن شرائطها: أن يكون قرشياً لقوله ﷺ: (الأئمة من قريش)[١].

= بإمام غائب مختف ينتظرون خروجه). المقاصد ٥/ ٢٣٣، والتمهيد للنسفي ص٣٩٦ ـ ٣٩٧.

ولشارح المواقف شروط أخرى، راجع ص٣٩٨ منه.

(١) هذا الحديث رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه وتمامه: (أن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال: (الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حق مثل ذلك، إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفّوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

ـ المسند ٣/ ١٨٣.

ـ قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ٥/ ١٩٢.

وقد استدل القائلون باشتراط القرشية في الإمام بهذا الحديث وبغيره، ومن ذلك ما ورد في البخاري بسنده عن الزهري قال: (كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهم عنده في وفد من قريش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، وأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين).

قال البخاري: تابعه نعيم عن ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن محمد بن جبير حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عاصم بن محمد، سمعت أبـي يقول: قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان).

ـ صحيح البخاري، كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش ٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

كذلك ما ورد في الصحيح عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: =

. . . .

= (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم).

ـ رواه البخاري في كتاب المناقب، باب (١) المناقب، ٤/ ١٥٤.

ورواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة، رقم الحديث (١ ـ ١٨١٨) ٦/ ٤٣٩.

وقد ذهب جمهور الماتريدية إلى اشتراط القرشية؛ وفقاً لما ذهب إليه أكثر الأئمة والفقهاء كالإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام أبو حنيفة والإمام مالك رضي الله عنهم أجمعين. انظر في هذا الشأن: طبقات الحنابلة لابن أبـي يعلى ١/ ٢٦.

وأصول الدين للبغدادي ص٢٧٥، وأحكام القرآن لابن العربـي ٤/ ١٧٢١، والتمهيد للنسفي ص٣٩٧ ـ ٣٩٨؛ وشرح العقائد النسفية ص٩٦؛ والمواقف للإيجي ص٣٩٨.

وذهب بعض الأشاعرة كإمام الحرمين الجويني إلى عدم اشتراطه كما هو مصرح في كتابه الإرشاد ص٤٢٧، وقد أشار الشهرستاني إلى أن الخوارج والمعتزلة ممن ذهب إلى عدم اشتراطها، يراجع في ذلك الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٦، وكذلك ١/ ٩١، وكذا أصول الدين للبغدادي ص٢٧٥.

ويمكن رد الأمر إلى اشتراط القريشية في الإمامة إلى: أن قريشاً كانت تعتبر كبرى القبائل العربية، فيها المنعة والنسب، والرفعة وعلو الكعب في مكارم الأخلاق والفصاحة والرياسة. وقد نشأ فيها النبـيّ ﷺ، وتربـى في كنفها وربـى فيها جيلاً يحمل جل الصفات التي وجدت في الخلافة الراشدة ومن بعدها، كما أن قريشاً قد خضعت لها سائر القبائل العربية.

وقد تكلم ابن خلدون عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه فقال: (ونحن إذا بحثنا في الحكمة في اشتراط النسب القرشي وقصد الشارع منه، لم يقتصر على التبرك بها بوصلة النبـيّ ﷺ، وإن كانت تلك الوصلة موجودة، والتبرك بها حاصلاً ـ أي عند اختيار الخليفة من قريش لكن التبرك ليس من=

والأفضل أن يكون هاشمياً[1]، وكونه معصوماً[2] أو أفضل الناس[3]

= المقاصد الشرعية. . . فلا بد إذن من المصلحة في اشتراطها وهي المقصود من مشروعيتها. . . وإذا سبرنا وقسمنا لم نجدها إلا اعتبار العصبية (أي القوة والمنعة) التي تكون بها الحماية، والمطالب، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها. . .).

ـ المقدمة لابن خلدون ص١٨٤، وقد بيّن رحمه الله تعالى الأسباب التي آلت إليها حال قريش وسبب تنحيتها عن الخلافة ومن ذلك أن ما ظهر من مخالفة اشتراط الخلافة: (إنما ظهر بعد أن ضعف أمر قريش، وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم، وبما أقطعتهم الدولة في سائر أقطار الأرض، فعجزوا بذلك عن حمل الخلافة، وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحل والعقد لهم، فاشتبه ذلك على كثير من المحققين، وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة» وهذا لا تقوم به حجة لأنه من قبيل التمثيل، والفرض والمبالغة في إيجاب السمع والطاعة)، المقدمة ص١٨٤.

(١) هذا الشرط ليس ملزماً عند أهل السنّة واشترطته الشيعة. انظر: المواقف ص٣٩٨؛ وشرح العقائد النسفية ص٩٩.

(٢) هذا ما اشترطته الإمامية والإسماعيلية، وليس شرطاً عند أهل السنّة، إذ العصمة تجب فقط للأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد رد التفتازاني على الشيعة لهذا الشرط، انظر: شرح المقاصد ٥/٢٤٧ وما بعدها.

(٣) جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل من المسائل المختلف فيها بين العلماء، إلا أن أكثر أهل السنّة والجماعة وكذا المعتزلة والخوارج والزيدية يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل. قال الإيجي في المواقف: «فمنعه قوم لأنه قبيح عقلاً فإن من ألزم الشافعي حضور درس بعض الفقهاء والعمل بفتواه، عد سفيهاً قاضياً بغير العقل، وجوزه الأكثرون، إذ لعله أصلح للإمامة من الفاضل، إذ المعتبر في ولاية كل أمر معرفة مصالحه ومفاسده، وقوة القيام بلوازمه ورب مفضول في علمه =

أو مجتهداً في الأصول والفروع ليس بشرط.

[١٦٢] **فصل**: الإمامة تثبت باختيار أهل[1] الصلاح، وتنعقد بقدر رجل واحد من أهل العدالة والاجتهاد. ودلالة الثبوت تفويض النبيّ ﷺ ولاية الإمامة إلى الصحابة[2] حيث قال: (إن وليتموها أبا بكر تجدوه ضعيفاً في

= وعمله هو بالزعامة أعرف وبشرائطها أقوم، وفصل قوم فقالوا: نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلا وجب)، المواقف للإيجي ص٤١٢ ــ ٤١٣.
وقد نقل هذا الإجماع الإمام ابن حزم في الفصل ٥/٣.
ولعل مدار الأمر راجع إلى مصلحة المسلمين فإن كانت المصلحة تقتضي تقديم المفضول قدم، وإن كانت تقتضي تقديم الفاضل قدم). انظر: الإمامة العظمى عند أهل السنّة والجماعة ص٣٠٠.

(١) المقصود بأهل الصلاح هم: أهل الحل والعقد. وأهل الاختيار والشورى، القادرون على إبداء الرأي السديد والنصح للأئمة والأمة، وحل المشاكل، وإليهم يرجع في الملمات وسموا بذلك لأنهم يوثقون العقدة في الأمر بإمضائه وتأكيده، كما يملكون حل ما عقدوه ونقض ما أبرموه.
يراجع: «من أصول الفكر السياسي الإسلامي» د.محمد فتحي عثمان ص٣٨٤.
وكذا: النظام السياسي في الإسلام، د.محمد عبد القادر أبو فارس ص١١٢ وما بعدها، وكذا يراجع: الإمامة العظمى ص١٦٢.
وقد استدل بعض العلماء على ضرورة الرجوع إلى أهل الشورى ــ أهل الحل والعقد ــ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣].
أما الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم أهمها: (الإسلام، العقل، الذكورة، الحرية، العدالة، العلم الرأي والحكمة، ولهم وظائف ومهام توكل إليهم.
راجع: من أصول الفكر السياسي الإسلامي. د، محمد فتحي عثمان ص٣٨٤.

(٢) ذهب فريق من أهل السنّة والجماعة كما بين الإمام ابن حزم في الفصل ٥/٩ وابن =

. . . .

= حجر في الصواعق المحرقة ص٢٦ إلى هذا الرأي، وبين ابن حزم الأسباب الداعية إليه. كما استدل بتولية أبـي بكر الصديق للخلافة وأن النبـيّ ﷺ قد أوصى بالخلافة إليه، ومن الأدلة الأخرى:

ـ ما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قال لي رسول الله في مرضه «ادعي لي أبا بكر، وأخاك، حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبـى الله والمؤمنون إلا أبا بكر).

رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبـي بكر الصديق رقم الحديث (١١ ـ ٢٣٨٧) ٨/ ١٦٣، كما رواه البخاري بنحوه في كتاب الأحكام، رقم الباب ٥١، ٨/ ١٢٦.

كما روى الحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن أسأله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ فأتيته فسألته فقال: إلى أبـي بكر)، رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٧٧ ووافقه الذهبـي.

وكذا بما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابـي: أبـي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود).

أخرجه الترمذي، رقم الحديث ٣٨٩٣ في المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود، ٥/ ٣٣٦.

ـ ورواه أيضاً أحمد في المسند ٥/ ٣٩٩ من حديث حذيفة وهو حسن. كما قال الترمذي.

ومن ذلك ما جاء في الصحيح عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ (إلى أن قال) قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة. قالت فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبـي بكر أن يصلي بالناس. . .) الحديث.

ـ صحيح الإمام مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر. رقم الحديث (٩٠ ـ ٤١٨)، ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢. =

نفسه قوياً في أمر الله)[1].

= وهذه الأحاديث وإن لم تصرح بنص الرسول ﷺ على تولية أبـي بكر الصديق بالاسم، إلا أنها تشير إلى إرشاد الأمة إلى أن أبا بكر أولى بأن ينوب عن الرسول ﷺ وكذلك هناك أحاديث أخرى مثل: سد الأبواب والخوخ إلا باب أبـي بكر، ففيه إشارة إلى فضله وتميزه. ومن الدلائل على عدم النص صراحة بالاسم: اجتماع السقيفة حيث توفي رسول الله ﷺ، اجتمع المسلمون لاختيار خليفة للمسلمين فلو كان هناك نص ما اجتمعوا لذلك ولبايعوا المعهود إليه مباشرة.

كما يدل على ذلك أيضاً أخذ أبـي بكر رضي الله عنه بيدي عمر وأبـي عبيدة بن الجراح وقوله: (لقد اخترت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم). رواه البخاري من حديث طويل عن ابن عباس في كتاب الحدود، باب (٣١) رجم الحبلى من الزنا، (٨/ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧).

(١) لم أعثر على هذا الحديث بهذا النص إلا أنه قد ورد في مسند الإمام أحمد بسنده إلى علي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك؟ قال إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم).

ـ المسند حديث رقم ٨٥٩، ٢/ ١٥٧ وصححه الأستاذ أحمد شاكر وقال الهيثمي رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات. مجمع الزوائد ٥/ ١٧٦.

وعليه فإن هذا الحديث وغيره يشير إلى أن النبـيّ ﷺ وضع الأمة أمام خيارات عدة، وضمن شروط ومواصفات تتعلق بمن يستخلف، ولم يشر بصورة خاصة أو صريحة إلى تعيين خلف بالاسم، وعليه فإن الخليفة يختار اختياراً من الأمة، وإنها هي الأحق في هذا الاختيار ضمن دائرة الشورى ووفق الإطار الشرعي.

وقد أجاب بعض العلماء على أقوال المعترضين على ترك النبـيّ ﷺ النص على الخليفة ومنها: (أن ترك التنصيص على معين ليس إهمالاً من النبـيّ ﷺ أن يهمل =

ودلالة الانعقاد/ أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يشترطوا[٢٣/ أ] لها الإجماع والإعداد محصوراً، وإنما اعتبروا فيها العقد[(١)].

ثم أوجبوا المبايعة[(٢)] بعد ذلك، ولهذا عقدها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما وحده، ثم جوز الباقون وبايعوه[(٣)].

= مثل هذا الأمر الجليل، وقد بين ما هو بالنسبة إليه أقل من القليل والجواب: أن ترك النص الجلي على واحد بالتعيين ليس إهمالاً، بل تفويض معرفة الأحق الأليق إلى آراء أولي الألباب، واختيار أهل الحل والعقد من الأصحاب، وأنظار ذوي البصيرة بمصالح الأمور، وتدبير سياسة الجمهور مع التنبيه على ذلك بخفيف الإشارة أو لطيف العبارة نوع بيان لا يخفى حسنه على أهل العرفان)، شرح المقاصد ٥/ ٢٦٣.

(١) قول المؤلف عن الإمامة: (إنها تنعقد بقدر رجل واحد إلى «قوله»: وإنما اعتبروا فيه العقد)، هذا ما وافق عليه بعض العلماء كابن حزم وغيره كما سبقت الإشارة إليه إلا أن هذا الرأي ليس أصح الأقوال.
كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو (الاثنتين أو العشرة يضر فقد غلط، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه بايعه المهاجرون والأنصار الذين هم بطانة رسول الله ﷺ والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة، وبهم قُهِر المشركون، وبهم فتحت جزيرة العرب. . .
وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماماً لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إماماً سواء كان ذلك جائزاً أو غير جائز، وعثمان بن عفان رضي الله عنه لم يصر إماماً باختيار بعضهم بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، ولم يتخلف عن بيعته أحد). النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس ص٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٢) في الأصل: المبالغة، والمثبت ما اقتضاه السياق.

(٣) إن تولية الخليفة في النظام السياسي للإسلام لم يعتمد على طريقة واحدة معينة في =

=

الدولة الإسلامية، وإنما نجد الأمر أن الأمة تختار رئيس الدولة إذا توافرت فيه شروط معينة، وأن يتحقق في هذا الاختيار العدل والشورى، ولا يهم بعد ذلك الأسلوب وطريقة الاختيار (إذ أن) طريقة الاختيار ليست ثابتة، فقد تصلح طريقة لزمن معين ولفترة معينة ويظهر غيرها أكثر ملاءمة منها في زمن آخر وفترة أخرى. فما كان بالأمس قد لا يناسب ظروف اليوم، وما يناسب الحياة اليوم قد لا يصلح غداً، ولا يحق لقائل أن يقول: ما دام الأمر كذلك فلم لا تتغير كذلك الأحكام الأخرى المتعلقة بأمور الدين؟ والجواب: أنه قد سبقت الإشارة إلى أن الإمامة ليست ركناً من أركان الإيمان أو الدين بصورة عامة، بل هي حاجة ملحة تقتضيها مصالح العباد الدينية والدنيوية، وعليه فإنها تكون بمثابة جهة منفذة لأحكام الدين وليست مشرعة له.

ومن الملاحظ أن الاختيار كان يتم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الترشيح، وقد أطلق عليها: البيعة الخاصة، إذ يقوم فيها أهل الحل والعقد أو بعضهم باختيار الخليفة وترشيحه للأمة لترى رأيها فيه.

وربما جاء التباس الأمر على المصنف رحمه الله تعالى من هذه الناحية فاعتبر انعقاد الخليفة يتم بواحد والصواب أنها: مرحلة ترشيح ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية.

وفي هذه الأخيرة: تتم فيها البيعة العامة، وهي أقرب ما تكون إلى الاستفتاء، إذ يعرض الإمام المرشح برنامجه غالباً في خطبة على الناس في المسجد، وهذه المرحلة هي الحاسمة والتي تقرر صلاحية الخليفة المرشح أو عدم صلاحيته، فإذا بايعه الناس فقد أصبح ببيعتهم إماماً، وإذا لم يبايعه الناس لم تنعقد إمامته، وطلب من أهل الحل والعقد ترشيح غيره وعرضه على الأمة، فخلافة أبـي بكر رضي الله عنه انعقدت بموافقة غالبية الأمة عليه ومبايعتهم له بعد أن بايعه من في سقيفة بني ساعدة، وخلافة عمر انعقدت ببيعة الأمة له، وكذلك عثمان بن عفان وعلي بن أبـي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

=

[١٦٣] **فصل**: طاعة الأئمة واجبة، وهي فرض عين من فروض الشرع، لأن الإمام إذا لم يكن مطاعاً يؤدي ذلك إلى إخلال نظام الدين[١]، والدنيا من الفساد ما لا يحصى، وكذا طاعة السلاطين والأمراء والولاة واجبة لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] إلا فيما يأمرون من المعاصي فحينئذ لا إثم على الآبـي.

[١٦٤] **فصل**: ولا يحل الخروج عليهم وإن جاروا[٣] ولا ينعزلون عن

= ــ انظر: النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس ص٢٢٨ ــ ٢٢٩.

(١) في الأصل: (يؤدي ذلك إخلال نظام الدين).

(٢) [النساء: ٥٩].

وقد جاء في الصحيح كذلك أن النبـيّ ﷺ قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني).

وفي لفظ البخاري: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)، كتاب الأحكام ٨/ ١٠٤، وورد أيضاً في كتاب الجهاد.

ــ وأخرجه النسائي في الاستعاذة ٤٩، ٨/ ٢٦٧.

ــ وابن ماجه في الجهاد، رقم الحديث ٢٨٥٩، باب طاعة الإمام ٢/ ٩٥٤.

وجاء أيضاً في الصحيح: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة). صحيح الإمام مسلم، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم الحديث (٣٨ ــ ١٨٣٩)، ٦/ ٤٦٦.

(٣) جاء في الصحيح: (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتة جاهلية). صحيح الإمام =

. . . .

= مسلم، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، كتاب الإمارة، رقم الحديث (٥٥ ـ ١٨٤٩). فيما سبق يتبين حرص النبـيّ ﷺ على وحدة الأمة، وتشديد النكير على من يخرج عن طاعة الأمير لما يترتب عليه من مفاسد أكبر، كما يلحق بالمسلمين أضراراً فادحة.

والأولى إسداء النصح إليهم، وتقديم المشورة الصادقة والدعوة لهم بالصلاح والتقوى والسداد، فهذا أدعى إلى التخلص من الشقاق والنزاع، ولهذا نرى بعض الأحاديث الأخرى توصي بضرورة السمع والطاعة. فمن ذلك: ما جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة...) الحديث.

ـ الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٦ وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبـي ١/ ٩٥.

وهذا التشدد من النبـيّ ﷺ في تقديم السمع والطاعة لأولي الأمر حرصاً منه على تماسك المسلمين كما سبقت الإشارة، ومنعاً من التشتت والتشرذم والشقاق، كما حل بأهل الكتاب. إذ جاء في الحديث: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة).

ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٠٢، وأبو داود باب افتراق الأمة ٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥، والترمذي بلفظ آخر، رقم الحديث ٢٧٧٨ وقال هذا حديث حسن غريب.

ـ والدارمي ٢/ ٢٤١.

وفي الباب عند أحمد ٣/ ١٢٠ و١٤٥ وابن ماجه ٣٩٩٢ وغيرهما فيه من الزيادة: =

الإمامة والولاية وإن ظلموا أو ارتكبوا كبيرة ولا ندعوا عليهم إذا ظلموا بل ندعوا لهم بالصلاح والعدل[1].

[١٦٥] **فصل**: الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على خلافة أبـي بكر الصديق رضي الله عنه استدلالاً بتفويض النبـيّ ﷺ، واتفقوا عليه[2]، وبثبوت خلافته[3]، تثبت خلافة عمر رضي الله . . . .

= (واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار) وهو حسن.

(١) ومن أقوى الدلائل على حرص النبيّ ﷺ قوله: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، فقلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة)، وورد فيه مرتان (لا ما أقاموا فيكم الصلاة).

ـ أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، رقم الحديث (٦٦ ـ ١٨٥٥)، ٦/٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٢) في الأصل: إليه.

(٣) اتفاق المسلمين على أبـي بكر رضي الله تعالى عنه كان بعد التشاور بين الصحابة، إذ أنه بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لهم. فلما سمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بخبر السقيفة، أسرعوا إليها واجتمعوا بإخوانهم الأنصار، فقالت الأنصار: (منا أمير ومنكم أمير، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن =

عنه[1]، لأنه هو الذي ولاه واستخلفه وهكذا انعقد الإجماع، ثم بعد وفاة

= الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس).

صحيح البخاري، باب قول النبيّ ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٤/ ١٩٤.

قال ابن إسحق: (وحدثني الزهري قال: حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إني كنت قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كنت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهد إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هذا له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة... وقد ألقى خطبته المشهورة قائلاً:

«أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم وليست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، فقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله).

- السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٨٨.
- البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٠١ وقال: هذا إسناد صحيح.

(١) خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تختلف تولية عمر بن الخطاب عن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث تم هذا الأمر بعد مشاورة أبي بكر الصديق لبعض الصحابة بشأن عمر رضي الله عنه ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير =

عمر رضي الله عنه اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على خلافة عثمان[1]/ [٢٣/ ب]

= وغيرهم من المهاجرين والأنصار، وكان ذلك في مرض موته، وقد أشاروا عليه بتوليته خليفة من بعده. ولهذا فقد كتب كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبـي قحافة في آخر عهده الدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم أمر بالكتاب فختم.

ثم خرج عثمان للناس فقال: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم، وقال بعضهم: قد علمنا به، قال «ابن سعد»: علي القائل: وهو عمر فأقروا جميعاً ورضوا به وبايعوه).

- انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
- تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٨.
- مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٥٤، ٥٥.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٢، ت: محمد محيـي الدين عبد الحميد.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٥.

(١) خلافة عثمان رضي الله عنه:

تولية الخليفة عثمان رضي الله عنه أيضاً تختلف عما سبق من البيعتين السالفتين: إذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد طعنه من قبل أبـي لؤلؤة المجوسي وهو في مرض موته إلى عدد من الصحابة وهم:

علي بن أبـي طالب، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف.

وقد جاء في البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة أخبر أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا. قال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، قال المسور =

رضي الله عنه.

وهؤلاء الثلاثة كانوا قريشيين[1] ثم بعد وفاة عثمان رضي الله عنه اجتمعت الصحابة على علي بن أبـي طالب[2] كرم الله وجهه وهو قريشي

= طرقني عبد الرحمن عند هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نوم، فانطلق، فادع الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي علياً فدعوته فناجاه حتى أبها الليل (انتصف) ثم قام علي من عنده وهو على طمع. . . ثم قال ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: «أما بعد: يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس، المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون).

انظر أمر تولية عثمان رضي الله عنه في: البخاري، كتاب: أصحاب النبـيّ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ٤/ ٢٠٤ ــ ٢٠٥، ٢٠٦.

- وتاريخ الطبري ٤/٢٢٨.
- وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣٥.
- البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٤٥ و١٤٦.

(١) في الأصل جاء النص هكذا: (وهاولاء الثلثة كانوا قريشاً) والمثبت أصح.

(٢) خلافة علي رضي الله عنه:

أما تولية علي رضي الله عنه فقد جاءت في ظروف قاسية على المسلمين، حيث اندلعت نار الفتنة بين المتخاصمين عقب استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه. قال ابن كثير: «ذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا: بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى =

وهاشمي، ثم بعد وفاة علي رضي الله عنه بأشياء[1]، فلم يوجب ذلك قدحاً في حقهم رضي الله عنهم.

[١٦٦] **فصل:** أفضل الأمة، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين[2].

= القيام بالأمر، والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم: لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة فمضوا إلى سعد بن أبـي وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم.

ثم راحوا إلى ابن عمر فأبـى عليهم، فحاروا في أمرهم، ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه، وأخذ الأشتر النخعي بيده فبايعه، وذلك يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي فلما كان يوم الجمعة وصعد المنبر بايعه من لم يبايع بالأمس) وقيل إنه بويع لخمس بقين من ذي الحجة.

ـ انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٢٧.

ـ تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٤.

ـ وانظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ١٩٠.

(١) كذا في الأصل: وربما تكون «بأشهر».

(٢) ورد في فضائل الخلفاء والأئمة الراشدين والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الكثير من الآثار الصحيحة في حقهم، فمن ذلك ما جاء في الصحيح: (أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال النبـيّ ﷺ: (اهدأ، فما عليك إلا نبـي أو صديق أو شهيد) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير، رقم الحديث (٥٠ ـ ٢٤١٧)، ٨/ ٢٠٣. =

. . . .

= وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبـي بن كعب، ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وما أقلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبـي ذر، أشبه عيسى عليه السلام في ورعه، قال عمر: أفنعرف له ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، فاعرفوا له) رواه الترمذي: ١٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ في مناقب أبـي عبيدة، وكذا في ١٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠ مناقب أبـي ذر، وقال حديث حسن صحيح.

كما جاء في الصحيح، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، نخير أبا بكر ثم عمر، ثم عثمان).

وفي رواية: (كنا زمن النبـيّ ﷺ لا نعدل بأبـي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم).

وفي أبـي داود: (كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبـيّ ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان).

انظر هذه الروايات في: البخاري في فضائل النبـيّ ﷺ باب فضل أبـي بكر بعد النبـيّ ﷺ، وباب مناقب عثمان ٤/ ١٩١.

وفي سنن أبـي داود: رقم الحديث ٤٦٢٧ في السنة.

كما أخرج الترمذي بسنده عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني بأنه يحبهم، قيل: يا رسول الله سمهم لنا. قال علي منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم). رواه الترمذي في المناقب، باب مناقب علي بن أبـي طالب رضي الله عنه وقال: حديث حسن ١٣/ ١٦٨، وفي ابن ماجه رقم الحديث ١٤٩ ٢/ ٥٣، وصححه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ثم تمام العشرة[1]، ثم بقية الصحابة على حسب مراتبهم، وأقدارهم، ثم التابعون، ثم تبع التابعين، ثم علماء السلف، ومن بعدهم من أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين[2].

[١٦٧] **فصل**: ونحن نحب أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة هم:

ـ الخلفاء الراشدون الأربعة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين:

(أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبـي طالب).

٥ ـ الزبير بن العوام.

٦ ـ طلحة بن عبيد الله.

٧ ـ عبد الرحمن بن عوف.

٨ ـ أبو عبيدة عامر بن الجراح.

٩ ـ سعد بن أبـي وقاص.

١٠ ـ سعيد بن زيد.

وذلك حسبما ورد ذكره في سنن أبـي داود، رقم الحديث ٤٦٤٨ و٤٦٤٩ و٤٦٥٠ في السنّة باب في الخلفاء.

وكذا في الترمذي رقم الحديث: ٣٧٤٩ و ٣٧٥٨ في المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ١٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣، كما أخرجه البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢) ومن أفضل أئمة الدين الأئمة الأربعة:

وهؤلاء فقهاء الأمة وأعلامها وهم: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى، بهم اقتدت الأمة علماً وأخلاقاً وأدباً، فقد نهلوا من معين الهدى المحمدي ما نشروا به العلم في أصقاع الدنيا، وخلّفوا تراثاً ضخماً من العلم الشرعي الذي لا تزال الأمة تهتدي به، إضافة إلى بقية الأئمة المجتهدين من تلامذة الأئمة الأربعة، عليهم سحائب الرحمة والرضوان.

وأزواجه، وذرياته، وقراباته[1]، والصحابة أجمعين. ونذكرهم بالخير، ونثني عليهم، وندعوا لهم بالخير، ونترحم عليهم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونحب من يحبهم، ونبغض من يبغضهم، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[2]، وحبهم دين

---

(١) جاء في الصحيح عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:
(قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، بماء يدعى خماً، بين مكة والمدينة، فقال: «أما بعد، أيها الناس، أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي، فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً).
ـ صحيح الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي، رقم الحديث (٣٦ ـ ٢٤٠٨) ٨/ ١٩٠.

(٢) أي على غير سبيل أهل السنّة والجماعة ممن تمسك بكتاب الله تعالى وسنّة نبيه محمد ﷺ.
وفي كلام المصنف إشارة إلى الرافضة بشكل عام، وهم الذين رفضوا بيعة الصحابة الكرام وأبغضوهم وسبوهم وشنّعوا عليهم. يقول الإمام الطحاوي رحمه الله:
(ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد بريء من النفاق). قال الشارح: لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول ﷺ كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولص بدين النصرانية، فأظهر التنسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله. ثم لما قدم عليّ الكوفة أظهر الغلوّ في علي والنصر عليه، ليتمكن بذلك من اعتراضه وبلغ ذلك علياً، فطلب قتله فهرب منه إلى قرقسيا (قرب الفرات) وخبره معروف في التاريخ، وتقدم أنه من فضّله على أبي بكر وعمر جلده جلد المفتري. وبقيت في نفوس =

وإيمان[1]، وبغضهم كفر وطغيان، ونحسن القول فيهم، ونسكت عما جرى

= المبطلين ضمائر بدعة الخوارج من الحرورية والشيعة، ولهذا كان الرفض باب الزندقة، كما حكاه أبو بكر بن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين، والتبري من تيم وعدي وبني أمية وبني العباس وأن علياً يعلم الغيب، يفوض إليه خلق العالم. . . وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم)، انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٤٠.

(١) لقوله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).

رواه البخاري في فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب قول النبيّ ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٤/ ١٩٥، وفي رواية للإمام مسلم: (لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه). كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، رقم الحديث (٢٢٢ ــ ٢٥٤١) ٨/ ٣٣٣.

وروى الإمام الترمذي وأحمد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليبلغ الحاضر الغائب، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يفلته).

ــ سنن الترمذي رقم الحديث ٣٨٦١، في المناقب باب فيمن سب أصحاب النبيّ ﷺ.

ــ وفي مسند الإمام أحمد ٤/ ٨٧.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وأخرج البيهقي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: =

بينهم رضي الله عنهم أجمعين[1].

[١٦٨] **فصل:** وما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد[2] والمناعة من معاوية لعلي. وعلي رضي الله عنه/ كان مصيباً في [٢٤/ أ]

= (وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة فاغرورقت عينا عمر)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٢٠٧.

(١) ما جرى بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من اختلاف، مرجعه إلى أن كل واحد كان يرى الحق إلى جانبه وفقاً لما وصل إليه اجتهاده، وعليه فإن السكوت على ما جرى بينهم أولى، لأن القدح والذم في واحد منهم أمر غير جائز للأحاديث التي مر ذكرها، ولكثرة مناقبهم وفضائلهم وأعمالهم وأخلاقهم الحميدة، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:
«اعلم أن الناس في الصحابة والخلفاء إسراف في أطراف، فمن بالغ في الثناء حتى يدعي العصمة للأئمة ومنهم متهجم على الطعن يطلق اللسان بذم الصحابة فلا تكونن من الفريقين، واسلك طريق الاقتصاد في الاعتقاد، واعلم أن كتاب الله مشتمل على الثناء على المهاجرين والأنصار، وتواترت الأخبار بتزكية النبيّ ﷺ إياهم بألفاظ مختلفة كقوله: (... خير الناس قرني ثم الذين يلونهم) رواه البخاري في الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ٣/ ١٥١، وفي صحيح مسلم: في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم الحديث (٢١٤ ــ ٢٥٣٥) ٨/ ٣٢٦ وما من واحد إلا وورد عليه ثناء خاص في حقه يطول نقله، فينبغي أن تستصحب هذا الاعتقاد في حقهم ولا تسيء الظن بهم، كما يحكى عن أحوال تخالف مقتضى حسن الظن، فأكثر ما ينقل مخترع بالتعصب في حقهم ولا أصل له، وما ثبت نقله فالتأويل متطرق إليه، ولم يجز ما لا يتسع العقل لتجويز الخطأ والسهو فيه وحمل أفعالهم على قصد الخير وإن لم يصيبوه)، الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص١٥٢.

(٢) كلام المصنف رحمه الله تعالى صحيح: =

جميع ما عمل من خروجه وصلحه وغيرهما، دار الحق حيث دار كرم الله وجهه ورضي الله عنه رضى الأبرار.

وقد قيل: لكل مجتهد نصيب وكل مجتهد مصيب إذ ظن علي أن تسليم قتلة عثمان[1] رضي الله عنه مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر

= (إذ المشهور من قتال معاوية لعلي ومسير عائشة رضي الله عنها إلى البصرة، والظن بعائشة أنها كانت تطلب تطفئة الفتنة ولكن خرج الأمر من الضبط، فأواخر الأمور لا تبقى على وفق طلب أوائلها، بل تنسل عن الضبط.

والظن بمعاوية أنه كان على تأويل وظن فيما كان يتعاطاه، وما يحكى سوى هذا من روايات الآحاد فالصحيح منه مختلط بالباطل، والاختلاف أكثره اختراعات الروافض والخوارج وأرباب الفضول الخائضون في هذه الفتون، فينبغي أن تلازم الإنكار في كل ما لم يثبت، وما ثبت فيستنبط له تأويلاً، فما تعذر عليك فقل: لعل له تأويلاً وعذراً لم أطلع عليه، واعلم أنك في هذا المقام بين أن تسيء الظن بمسلم وتطعن عليه وتكون كاذباً، أو تحسن الظن وتكف لسانك عن الطعن وأنت مخطىء مثلاً والخطأ في حسن الظن بالمسلم أسلم من الصواب في الطعن فيه)، المرجع السابق ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(١) هذه أول فتنة وقعت في الإسلام بين المسلمين وهي مقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله تعالى عنه صهر النبيّ ﷺ، الإمام العادل الكريم الشهيد ذي النورين «فالذين قاموا بها وجنوا جنايتها فريقان خادعون ومخدوعون. وقد وقعت هذه الكارثة في شهر الحج وكانت عائشة أم المؤمنين قد خرجت إلى مكة مع حجاج بيت الله ذلك العام فلما علمت بما حدث في مدينة الرسول أحزنها بغي البغاة على خليفة نبيّهم، وعلمت أن عثمان كان حريصاً على تضييق دائرة الفتنة فمنع الصحابة من الدفاع عنه، وبعد أن أقام الحجة على الثائرين في كل ما ادعوه عليه وعلى عماله، وكان الحق معه في كل ذلك وهم على باطل... واجتمعت عائشة بكبار الصحابة وتداولت الرأي معهم فيما ينبغي عمله وقد عرف القراء ما كانوا عليه من نزاهة، =

يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها، فرأى التأخير أصوب، وظن

= وفرار من الولاية وترفع عن شهوات النفس، فرأوا أن يسيروا مع عائشة إلى العراق ليتفقوا مع أمير المؤمنين علي على الاقتصاص من السبئيين الذين اشتركوا في دم عثمان، وأوجب عليهم الإسلام الحد فيه.

ولم يكن يخطر على بال عائشة وكل الذين كانوا معها وفي مقدمتهم طلحة والزبير المشهود لهما من النبيّ ﷺ بالجنة أنهم سائرون ليحاربوا علياً، ولم يخطر ببال علي أن هؤلاء أعداء له وأنهم حرب عليه، وكل ما في الأمر أن أولئك المتنطعين الغلاة الذين انخدعوا بدعوة عبد الله بن سبأ واشتركوا في قتل عثمان انغمروا في جماعة علي، وكان فيهم الذين تلقنوا الدعوة له وتتلمذوا على ذلك الشيطان اليهودي في دسيسة أوصياء الأنبياء ودعوى خاتم الأوصياء، فجاءت عائشة ومن معها للمطالبة بإقامة الحد على الذين اشتركوا في جناية قتل عثمان، وما كان علي ــ وهو من هو في دينه وخلقه ــ ليتأخر عن ذلك إلا أنه كان ينتظر أن يتحاكم إليه أولياء عثمان.

وقد بعث أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب القعقاع بن عمرو إلى البصرة وقابل أم المؤمنين واتفق الجميع على محاكمة قتلة عثمان، ونجحت سفارة القعقاع واتفقا على الصلح، ولكن المتهمين بقتل عثمان والمشتركين في الفتنة أصابهم الغم وأدركهم الحزن من اتفاق الكلمة وأيقنوا أن الصلح سيكشف أمرهم وتسلم رقابهم إلى السيف الحق وقصاص الخليفة فباتوا يدبرون أمرهم فلم يجدوا سبيلاً لنجاتهم إلا أن يعملوا على إفساد الصلح (وهكذا كان).

ــ راجع في ذلك: الكامل لابن الأثير وقصة الصلح وبداية الفتنة ٣/ ١٢٣.

ــ وكذا فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٦٠ ــ ٦١، وحملة رسالة الإسلام الأولون، لمحب الدين الخطيب، بذيل مختصر التحفة الاثني عشرية لشاه عبد العزيز الدهلوي اختصار الآلوسي ص٣٦٣ ــ ٣٦٤.

ــ وكذا العواصم من القواصم لأبـي بكر بن العربـي ٢/ ٣٩٤ وما بعدها.

معاوية[1] أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب العزل من الإمامة، وتعرض دماء للسفك.

وقد قيل المصيب واحد، فلم نذهب إلى تخطية علي رضي الله عنه دنو[2] تحصيل أصلاً، فثبت تخطية معاوية بالضرورة[3].

---

(١) حدث ذلك عندما استنصر أبناء عثمان بن عفان بمعاوية رضي الله عنهما (ووكلاه في طلب حقهما من قتلة أبيهما، فلما بلغه فراغ علي كرم الله وجهه من وقعة الجمل ومسيره إلى الشام خرج من دمشق حتى ورد صفين في نصف المحرم، فسبق إلى سهولة المنزل وقرب من الفرات، فلما ورد الأمير رضي الله تعالى عنه دعاهم إلى البيعة فلم يفعلوا، وطلبوا منه قتلة عثمان، وكانوا قد انحازوا إلى عسكره ولهم عشائر وقبائل لم يمتازوا بأعيانهم فمال رضي الله عنه إلى التأخير حتى يمتازوا ويتحقق القاتل من غيره فأبى معاوية إلا تسليم من يزعمونه قاتلاً)، ذيل مختصر التحفة الاثني عشرية «حملة رسالة الإسلام» ص٣١٦ ــ ٣١٨.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) الخلاف في تخطئة معاوية رضي الله عنه فيه خلاف بين العلماء، بناء على أنه كان مجتهداً فيما ذهب إليه، للقرائن التي كانت بين يديه. إلا أنه كان الأجدى المضي في التفاوض للتوصل إلى اتفاق ينهي الفتنة إلا أن الأمور لم تسر وفق الأماني.

ولهذا فقد (دارت الحرب بين الطرفين، وأهل السنّة يقولون: إن علياً كرم الله وجهه في كل ذلك على الحق لم يفترق عنه قيد شبر، وأن مقاتليه في الوقعتين مخطئون. . . .

وأن هذا الخطأ مبني على اجتهاد مأجور وأن صاحبه لا يخرج من الملة لا كما تقول الخوارج والشيعة. ومعاوية آلمه ذلك ولا أدل على ذلك إلا ما أخرجه ابن الجوزي عن أبي صالح قال: قال معاوية لضرار: صف لي علياً: فقال: أو تعفيني؟ قال بل تصفه (عدة مرات): قال: أما ولايته فإنه والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً (إلى أن قال) فكأني أسمعه يقول: يا دنيا يا دنيا إلي تعرضت أم بي =

= تشوقت؟ هيهات هيهات غيري غرّي غيري، قد بنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطوك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال: فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية: رحم الله تعالى أبا الحسن كان والله كذلك. . .).

انظر المرجع السابق ص٣٢٠.

كما روى الأثبات أن عائشة رضي الله تعالى عنها قد آلمها أيضاً هذا الموقف وكانت كلما تذكرت هذه الوقائع تبكي، وقد جاء في ذلك: أن علياً رضي الله عنه حينما ظهر في موقعة الجمل على خصومه جاء إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال «غفر الله لك» قالت: ولك، وما أردت إلا إصلاح. ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار في البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة. . . وزارها بعد ثلاث ورحبت به وبايعته وجلس عندها. فقال رجل: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة. فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مئة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعل، ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع. وأذن لمن نجا من الجيش أن يرجع إلا أن يحب المقام، وأرسل معها أربعين امرأة، وسير معها أخاها محمداً. ولما كان اليوم الذي ارتحل فيه جاء علي كرم الله وجهه فوقفت على الباب وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت:

«يا بني لا يغتب بعضكم بعضاً، إنه والله ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في القديم إلا ما كان بين المرأة وأحمائها، وإنه لمن الأخيار. فقال علي كرم الله وجهه: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها زوجة نبيّكم ﷺ في الدنيا والآخرة وسار معها مودعاً أميالاً وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم. وكانت رضي الله تعالى عنها بعد ذلك إذا ذكرت ما وقع منها تبكي حتى تبل خمارها. . . وفي ندمها وبكائها لما كان دليل على أنها لم تذهب إلى ربها إلا وهي نقية من غبار تلك المعركة. على أن في كلامها ما يدل على أنها كانت حسنة النية في ذلك). =

[١٦٩] **فصل:** في مسائل متفرقة: واعتقد أن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، والعبد مكتسب لهما، ويعتقد الحلال حلالاً والحرام حراماً، والحق حقاً، والباطل باطلاً، ولا يكون سباباً ولا طعاناً في الصحابة[1]، وأهل البيت، والتابعين وتبع التابعين،

= ـ البداية والنهاية ٦/ ٢١١ ـ ٢١٤.

مختصر التحفة الاثني عشرية، الذيل ص٣١٣ ـ ٣١٤.

وانظر: كذلك: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص٢٤٦.

(١) سبقت الإشارة إلى أنه لا يجوز سبّ الصحابة أو بغضهم، لأن النبيّ ﷺ قد شهد لهم بالخيرية، وبالغ في النكير على من طعن فيهم. وعليه فإن جمهور أهل السنّة يرون أن أهل بدر في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن، كما يرون أنه ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ بل ولا عن الذنب، ولا يجوزون أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه، وهذا متفق عليه بين المسلمين، ولو لم يتب منه فالصغائر تمحى باجتناب الكبائر عند جماهيرهم، بل وعند الأكثرين منهم أن الكبائر تمحى بالحسنات التي هي أعظم منها، وبالمصائب المكفرة وغير ذلك، وإذا كان هذا أصلهم فيقولون: ما ذكر من الصحابة من السيئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لا يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك؛ فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه إنهم من أهل الجنة. فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحدهم على موجب النار لم يقدح ذلك في استحقاقهم للجنة.

ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يعلم أن أولئك المعنيين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة وليس لنا أن نشهد =

ومن بعدهم من أئمة الدين واعتقادهم، ولا مرتكباً شيئاً من المحرمات والمنهيات مستحلاً له يحكم بكونه مسلماً حقاً، ولا نرى السيف على أحد من المسلمين إلا من وجب عليه ذلك بحق[1]/ [٢٤/ ب] ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم[2]، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين

= لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز ذلك في خيار المؤمنين.

والعلم بتفاضل أحوال كل واحد منهم باطناً وظاهراً، وحسناته وسيئاته، واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته، فكان كلامنا في ذلك كلاماً فيما لا نعلمه والكلام بلا علم حرام. فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خير من الخوض في ذلك بغير علم.

ورحم الله تعالى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز القائل بحق ما شجر بين الصحابة من أمور: تلك دماء قد طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا.

وقد روي هذا أيضاً عن الإمام الشافعي رضي الله عنه).

ـ انظر مختصر منهاج السنّة للذهبي ص٢١٩ ـ ٢٢٠، وكذلك يراجع المواقف في علم الكلام للإيجي ص٤١٣.

(١) جاء في الصحيح قول المصطفى ﷺ: (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة). صحيح الإمام مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، رقم الحديث (٢٥ ـ ١٦٧٦) ٧٦/ ١٧٩.

(٢) انظر متن العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٢٩.

وقد ورد في طبقات ابن سعد عن زيد بن أسلم: أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله). انظر: الطبقات لابن سعد ١٤٩/٤.

قال الإمام النووي في المجموع: =

مؤمنين[1] ما لم يظهر منهم خلاف ونتبع السنة والجماعة[2]، ونجتنب البدعة

= الصلاة وراء الفاسق صحيحة ليست محرمة، لكنها مكروهة، وكذا تكره وراء المبتدع الذي لا يكفر ببدعته وتصح، ونص الشافعي في «المختصر» على كراهة الصلاة خلف الفاسق والمبتدع، فإن فعلها صحت، وقال مالك: لا تصح وراء فاسق بغير تأويل، كشارب الخمر والزاني. وذهب جمهور العلماء إلى صحتها.
انظر المجموع ٢٥٣/٤، شرح المهذب وانظر تعقيب الميداني في شرحه للعقيدة الطحاوية ص١٠٨.

وجاء في الصحيح فيما رواه البخاري بسنده عن عبيد الله بن عدي بن خيار، أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما ترى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج؟ فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم...).
صحيح الإمام البخاري، كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع ١/ ١٧١.

(١) أخرج الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته).
ـ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة ١/ ١٠٢.

(٢) قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].
وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].
ولقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].
وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].
ويقول المصطفى ﷺ: (أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...). =

والضلالة والأهواء المختلفة الردية، ونحب أهل الخير والسداد، ونبغض أهل الشر والفساد[1]، ولا نخالف جماعة المسلمين، ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً[2]، وما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن،

= أخرجه الترمذي رقم الحديث ٢٦٧٦.
وأبو داود رقم الحديث ٤٦٠٧.
وابن ماجه رقم الحديث ٤٢.
والإمام أحمد في المسند ٤/١٢٦ ـ ١٢٧.

(١) كمال الإيمان واتباع وصايا القرآن يوجبان محبة أهل الخير والعرفان، فلا تكتمل محبة الله تعالى إلا إذا أحب المرء ما يحبه الله ورسوله يقول المصطفى ﷺ:
(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار).
ـ رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١/٩ ـ ١٠.
ـ وفي مسلم بلفظ قريب، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن، رقم الحديث (٦٧ ـ ٤٣) ١/٢٨٨.

(٢) ولقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].
ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
والتفرق والتمزق فيهما ضياع للأمة وتبديد لشملها، وأخطر ما يكون في أمر الدين، ولهذا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].
كما أن أهل الكتاب قد ذمهم المولى عزّ وجلّ بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٦].
كما بيّن النبيّ ﷺ أثر افتراق الأمم بسبب اختلافهم بقوله: (إن أهل الكتابين افترقوا =

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله[1] ولا نخرج العبد من

= في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـ يعني الأهواء ـ كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة).

ـ أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢.

ـ وأبو داود رقم الحديث ٤٥٩٧.

ـ والدارمي ٢/ ٤١١.

ـ وابن ماجه ٣٩٩٢، ٢/ ١٣٢٢.

وفيه من الزيادة (واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار) وهو حسن.

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاردة القاصية فإيّاكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد).

مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ و٥/ ٣٤٣.

(١) توسط أهل السنّة والجماعة في مسألة مرتكب الكبيرة، وقد أوضح المصنف رحمه الله ذلك بقوله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله).

فالمرجئة يذهبون إلى القول بأنه: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

والمعتزلة يقولون: بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر، فهو في منزلة بين المنزلتين، أما الخوارج فهم يكفرون المسلم بكل ذنب.

ويستند أهل السنّة في قضية عدم التكفير بارتكاب الكبيرة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وعليه فإنه لا يجوز إطلاق حكم الكفر على أحد من الناس ما لم تقم براهين وبيّنات قاطعة على كفره.

ويتحدد الكفر بعدة قرائن منها: ما كان قولاً أو عملاً أو اعتقاداً، كالشرك بالله، وإنكار وجوده تعالى وجحود كل كمال يوصف به.

أما من يقع في المعصية دون الإشراك بالله تعالى، فإن الله تعالى قد فتح باب التوبة والمغفرة أمامه ليتوب من الذنب، ويدخل هذا تحت عموم قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا =

الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه[1]، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء،

= دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] وعليه يمكن بيان المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، أن المراد به القاتل الذي يستحل القتل ويكون مصراً عليه ولا يرى التوبة لازمة.

أما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، فالمراد من ذلك أولئك الذين أنكروا وجود الله تعالى وأعرضوا عن أحكامه ورفضوا شريعته.

أما المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، فهي تختص بمن مات على الإشراك بالله تعالى وعبادة غيره وكذا من جحد وجوده تعالى.

أما الأقوال التي تستوجب التكفير فهي كل قول يصدر عن واحد يصرح فيه صراحة بإنكار معلوم من الدين بالضرورة كإباحة الزنا أو الربا أو القتل أو الاستهزاء بالدين وأركانه، أو ما كان على سبيل السخرية، أو التحقير بكل ما يمت إلى الدين بصلة، كسنّة النبيّ ﷺ وكتاب الله تعالى وما جاء به من أحكام.

أما الأفعال: فيدخل تحتها كل ما يخالف شرع الله تعالى أصولاً وفروعاً، كاتخاذ الأصنام وعبادتها، أو عبادة مظاهر القوى الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والسجود لها، أو التزيي بأزياء ولباس أهل الكتاب الخاصة بهم كإزار الرهبان ومسوحهم وأرديتهم.

ـ انظر التفتازاني في: شرح العقائد النسفية ص١٠٨، وشرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٣٢، وكبرى اليقينيات الكونية للدكتور البوطي في مبحث «الردة».

(١) أي لا نحكم على العبد بالكفر أو الارتداد أو الخروج من الدين إلا إذا جحد أركان الإيمان وأركان الإسلام وهي الأصول التي اعتبر مسلماً حينما التزم بها.

ـ راجع تعقيب الميداني على شرح العقيدة الطحاوية بهذا الخصوص ص٩٧ ـ ٩٨. =

والتفاضل بينهم بالتقوى، والمخالفون في أصول الدين هم أهل الأهواء والبدع[1]، ولا ننزل أحداً من المسلمين جنة ولا ناراً[2]، ولا نشهد عليهم

= وقول المصنف هذا فيه رد على الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وفيه تقرير لما قال أولاً: (أنه لا نكفر أحداً من أهل القبلة، بذنب ما لم يستحله). انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٢/٤٥٨ ـ ٤٥٩.

(١) أهل البدع والأهواء، مثل: المشبهة، والمعتزلة والجهمية والجبرية والخوارج والرافضة والقدرية، وغيرهم ممن خالف جماعة أهل السنّة والجماعة، في أصول اعتقادها واتبع هواه وكذا من خالف الضلال.

ـ راجع في ذلك: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥.

ـ وكذا التبصير في الدين للإسفراييني ص١٩، ٢٧، ٤٥، ٦٣.

ـ ومقالات الإسلاميين للأشعري ص٦٦، ٩٠، ١٦٧، ٣٣٨.

ـ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٦٥ ـ ٢/ ١١ ـ ٢٣ ـ ٦٨ ـ ٩٤ ـ ١٤٣.

(٢) لا يجوز التألي على الله تعالى، وعليه فلا يجوز الجزم بدخول أحد الجنة أو النار من غير نص أو دليل وبرهان، لاختصاص ذلك بأمر الباري عزّ وجلّ، فلا يحق لأحد تقرير أمر يتعلق بمصير غيره في الآخرة إلا عن علم وإخبار من الشرع، لأننا لا نعرف بواطن الأمور وما يمكن أن يموت عليه الإنسان أو يختم له، أو ما كان من إخبار النبيّ ﷺ فهو حق وصدق، لأنه مبلغ عن الله تعالى ما أمره، من مثل أخبار العشرة المبشّرين بالجنة، فهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وللعلماء في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا نشهد لأحد إلا للأنبياء وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث. =

بكفر ولا شرك ولا نفاق، ما لم يظهر منهم ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى[1]، ونشهد للأنبياء عليهم السلام بالجنة ولمن شهد له رسول الله ﷺ،

= والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين: (أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير، فقال النبيّ ﷺ: «وجبت» ومر بأخرى فأثنى عليها بشر، فقال وجبت. وفي رواية كرر وجبت ثلاث مرات فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: (هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض).

ـ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت ٢/ ١٠٠.

ـ في صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن أثنى عليه خير أو شر من الموتى (٦٠ ـ ٩٤٩) ٤/ ٢٢.

ويقول المصطفى ﷺ: (توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيء).

ـ أخرجه ابن ماجه: ٤٢٢١.

ـ الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤١٦ ـ ٤٦٦ من حديث أبـي بكر بن زهير الثقفي عن أبيه وسنده حسن.

فأخبر ﷺ أن ذلك مما يعلم به أهل الجنّة وأهل النار).

انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبـي العز ٢/ ٥٣٨.

(١) سبقت الإشارة إلى بيان ما يحكم على الإنسان بالردة أو الكفر وضوابط هذا الأمر، وعليه فإن المسلمين مأمورون بأخذ ظواهر الأمور، وترك بواطنها إلى الله تعالى، لأنه يعلم السر وأخفى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ =

ونرجو للمحسنين من المؤمنين، ولا نأمن عليهم، ونشهد لهم بالجنة[1]، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم، ولا . . . .

= رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات: ١١ ـ ١٢].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقول المصنف: (ما لم يظهر منهم ذلك)، أي إن ظهر تصريح واضح بهذا الكفر أو بما يلزم منه. قال الميداني: (وليس لنا أن نلزمهم بلازم مذهبهم، ونحكم عليهم على مقتضاه بكفر أو شرك أو نفاق، فإن في ذلك جرأة على الله تعالى. ففي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

(أي رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما).

أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال ٧/ ٩٧.

ـ وفي مسلم بلفظ قريب، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه، رقم الحديث (١١١ ـ ٦٠) ١/ ٣٢٥.

ونقل رحمه الله تعالى عن الإمام الأشعري قوله: (في أشياء كثيرة ضلل بعضهم بعضاً وبرىء بعضهم من بعض فصاروا فرقاً متباينين وأحزاباً متشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم). مقالات الإسلاميين ص٣٤، كما نقل كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذا المعنى عند قوله (لا أرد شهادة أحد من أهل الأهواء إلا الخطابية فإنهم يعتقدون حل الكذب).

ونقل كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فيما حكاه عنه صاحب المختصر في المنتقى قوله:

(إنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة، وحكى ذلك أبو بكر الرازي مثل ذلك عن الكرخي وغيره)، راجع شرح العقيدة الطحاوية للميداني ص١٠٩.

(١) لأن الأمر يتعلق بعالم الغيب، ولا ندري بما يختم لصاحبه عند الموت.

نقنطهم[1]، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة[2] /[٢٥/ أ]. والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن. وأكرمهم عنده أطوعهم له، والله عزّ وجلّ مولى المؤمنين[3] وأن الكافرين لا مولى لهم.

---

(١) التآخي والتراحم مطلوب من المؤمنين، وعلى المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ٩ ـ ١٠].

وقول المصنف نخاف عليهم ولا نقنطهم: أي نخاف على المؤمنين من وساوس الشيطان، وأعوانه من شياطين الجن الذين يحاولون اجتيالهم بشتى الطرق، فالمحافظة على المؤمن والخوف عليه من الانزلاق في بؤر الكفر والفساد يحميه من عقائد الشرك والبهتان، كما أن في تبصير المؤمن بأمور دينه ودنياه، وحضه على الاستغفار في حال المعصية، وحمله على الصبر عند الشدائد والمحن، وتذكيره بعفو الله تعالى ومغفرته، من المطالب التي اهتمت بها الشريعة وندبت إليها المسلمين.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبـي العز ٢/ ٤٥٦.

(٣) إيمان المؤمن وتقواه موصل إلى الولاية والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

والجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٤].

[١٧٠] **فصل**: ونعتقد أن الغسل(١) والوضوء(٢) والتيمم(٣) والمسح(٤) على

---

(١) في هذا الفصل يختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه به، مسترشداً بما نقله عن الطحاوي رحمه الله تعالى، وقد تناول فيه مجمل التكاليف الشرعية وما يتعلق بها من فروع، وهي العبادات التي أتم الله بها هذا الدين وأكمل بها شريعته إلى يوم الدين.
مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
وقد بدأ المصنف ذلك بالغسل، والمراد به هنا إزالة الحدث الأكبر، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ [المائدة: ٦].

(٢) وقد ورد ذلك في الآية السابقة حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

(٣) كما ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦]، تمام الآية السادسة من السورة السابقة.

(٤) هذه العبارة مما ورد في العقيدة الطحاوية.
وقد أشار إليها فضيلة الشيخ وهبي غاوجي في هامش ملتقى الأبحر حيث قال:
(قلت ومن هنا جاء في العقيدة الطحاوية على مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى (ونرى المسح على الخفين) لعله يريد بذلك بيان مخالفة الشيعة الذين لا يرون المسح على الخفين، بل على الرجلين ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد كشف العيني في البناية بطلان ما استندوا إليه من نصوص والحمد لله.
(ثم قال) وقد ثبت جوازه بالسنّة، قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: ما قلت بالمسح حتى جاءني مثل ضوء النهار، قال ابن أبي حاتم: رواه عن رسول الله ﷺ أحد وأربعون صحابياً. ومثله عن أحمد، وذكره في المغني. وذكر العيني في شرح =

الخفين، والصلاة[1]، والزكاة[2]، والصوم[3]، والحج[4]، والجمعة[5]، والجماعة[6]، . . . .

= معاني الآثار للطحاوي سبعة وستين صحابياً. وأشار إلى مخرج كل واحد بإشارة لطيفة. قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (من أنكر المسح على الخفين يخاف عليه الكفر. . .) وقد استشهد بما جاء في الحاكم والبيهقي من قوله ﷺ: (إذا توضأ أحدكم ولبس خفيه فليمسح عليهما وليصل فيهما ولا يخلعهما إلا من جنابة).

ـ انظر ملتقى الأبحر، لإبراهيم الحلبي، شرح وتحقيق، الشيخ وهبي غاوجي ص٣٣.

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ويقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٦].

(٢) قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١].

ويقول أيضاً: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

(٣) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(٤) قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ويقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٥) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

(٦) جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، =

والأذان(١)، والإقامة(٢)، والجهاد(٣)، والصلاة على ....

= فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث).
ـ رواه الإمام البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق، ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣.
ـ وفي صحيح مسلم، بلفظ قريب منه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن الخروج من المسجد، رقم الحديث (٢٥٧) ٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

(١) جاء في الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة).
ـ رواه الإمام البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء ١/ ١٥٢.
ـ والإمام مسلم بلفظ قريب منه، في كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن، رقم الحديث (١١ ـ ٣٨٤) ٢/ ٣٢٠.

(٢) جاء في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه: (أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة أي لفظ قد قامت الصلاة فإنها تكرر مرتين).
ـ في البخاري، كتاب الأذان باب الإقامة واحدة إلا قوله قد قامت الصلاة ١/ ١٥١.
ـ وفي صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة، رقم الحديث (٢ ـ ٣٧٨) ٢/ ٣١٣.

(٣) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].
وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].
وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة: ٤١]. =

الجنازة[١]، وصلاة العيدين[٢]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]،

= ويقول: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقد جاء في الصحاح والسنن مما رواه الشيخان وأصحاب السنن في كتاب الجهاد أحاديث كثيرة فلتراجع.

(١) جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: (من تبع جنازة وصلّى عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ من دفنها فله قيراطان، قيل وما القيراطان، قال مثل الجبلين العظيمين).

— رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن ٢/٨٩ ـ ٩٠.

— وفي مسلم بلفظ «مثل أحد» كتاب الجنائز، رقم الحديث (٥٦) ٤/١٨.

(٢) روى أبو داود بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم خيراً منهما «يوم الأضحى ويوم الفطر).

— سنن أبي داود، باب صلاة العيدين ١: ٦٧٥ رقم الباب ٤٥.

— والنسائي، كتاب صلاة العيدين ٣/١٧٩.

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبيّ ﷺ كبر في عيد اثنتي عشرة تكبيرة، سبعاً في الأولى وخمساً في الآخرة).

— مسند الإمام أحمد ١/٧٣.

— سنن ابن ماجه إقامة ١٥٦، ١/٤٠٧.

— سنن الترمذي: باب التكبير في العيدين رقم الحديث ٥٣٤، ٢/٢٤.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. =

وصلة الرحم[1]، وطاعة الوالدين[2]، وغير ذلك من جميع أوامر الشرع حق

= وجاء في سورة لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧].

(١) جاء النهي عن قطيعة الرحم في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٤].

ومما ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله).

ـ رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله ٧/ ٧٢.

ـ وفي صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، حديث (١٧ ـ ٢٥٥٥) ٨/ ٣٥٤.

وفي رواية: (عن ابن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه).

ـ صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من وصل من بسط له في الرزق بصلة رحمه ٧/ ٧٢.

ـ وفي صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم رقم الحديث (٢٠ ـ ٢٥٥٧) ٨/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨].

ومن ذلك أيضاً: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ =

وصدق، والكف عن أذى الجار وعن جميع الناس واجب[1]، والكذب، والغيبة والنميمة والبهتان[2]، وشهادة ....

= ﴿تَعْمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان: ١٤ ـ ١٥] وكذا ما ورد في سورة [الأحقاف: ١٥].
كما جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين وذلك في الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك»).

ـ صحيح البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٧/ ٦٩.

ـ وفي صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، رقم الحديث (١ ـ ٢٥٤٨) ٨/ ٣٤٣.

كما جاء في رواية: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رغم أنفه، رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر: أحدهما لا كلاهما ثم لم يدخل الجنة).

ـ صحيح مسلم، المرجع السابق، حديث رقم (٩ ـ ٢٥٥١) ٨/ ٣٤٩.

(١) قال الله تعالى: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].
كما جاء في الصحاح ما يدل على احترام الجار وكف الأذى عنه.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ٢٨﴾ [غافر: ٢٨].
وقوله: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢﴾ [الطور: ١١ ـ ١٢].
جاء في ذلك قوله ﷺ في الصحيح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند =

= الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً).

ـ في صحيح البخاري كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ٧/ ٩٥.

ـ وفي صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، رقم الحديث (١٠٣ ـ ٢٦٠٧)، ٨/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ وفي الباب أحاديث أخرى.

وكذلك جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبيّ ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

ـ البخاري، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق ١/ ١٤.

ـ وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث (١٠٦ ـ ٥٨)، ١/ ٣٢٢.

وجاء النهي عن الغيبة والبهتان في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وجاء في الصحيح عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: (إن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته). صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة رقم الحديث (٧٠ ـ ٢٥٨٩)، ٨/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(١) قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

وجاء في الصحيح عن أبـي بكرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان =

وإيقاد نار الفتنة بين المسلمين حرام[1].

وكذا لعن المسلم[2]، ودعاء السوء وإن كان ظالماً حرام، ولكن يقول: اللهم إن كان من أهل التوبة فتب عليه وإن لم يكن من أهلها فكف شره عنا وعن جميع المسلمين، وكذا الطعن في أئمة الدين[3]

= متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت). صحيح مسلم، باب بيان الكبائر وأكبرها، كتاب الإيمان، رقم الحديث (١٤٣ ــ ٨٧)، ٣٥٩/١.

(١) تحريم إيقاد نار الفتنة بين المسلمين، لأنه مضر بالعلاقات الأخوية بين المسلمين، وقد حث القرآن الكريم على التعاون ونبذ الإثم والعدوان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

(٢) في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً).
صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث (٨٤ ــ ٢٥٩٧)، ٨/ ٣٩٣.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي).
ــ رواه الترمذي وقال: حديث حسن، كتاب البر، باب ما جاء في اللعنة، رقم الحديث ٢٠٤٣، ٣/ ٢٣٦.

(٣) قوله وكذا الطعن في أئمة الدين وعلماء السلف:
لتجرؤ بعض ضعاف النفوس على النيل من الأئمة بحجة أنهم وضعوا الأسس العلمية السليمة من فقه، وأصول، وطرق لاستنباط الأحكام، ظناً من هؤلاء المرضى أن الأئمة يبتدعون أمراً في الدين لم يكن على عهد النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام، وعليه فإننا لا نزال إلى يومنا هذا نرى أناساً يطعنون بأئمة الدين وينالون منهم، وقد =

وعلماء السلف، وارتكاب جميع المنهيات حرام، وأن دين الله في السماء واحد وهو الإسلام[1]، ونسأل الله الثبات على الإسلام،

= نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

قال الإمام الطحاوي: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)، وقد استشهد المصنف بهذه العبارة سابقاً في الدفاع عن أئمة الدين.

ولو وجد من أئمة الدين بعض الاجتهادات المرجوحة فإنه ينبغي أن نجد لهم العذر في ذلك وجماع الأعذار في ذلك ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبيّ ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنّة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠]. انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٤١.

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المصنف اعتمد في هذا الفصل الأخير (١٧٠) على كتاب الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى، سابق الذكر في أمكنة متفرقة من الكتاب المذكور. والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد والحمد لله رب العالمين. =

فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً.

والله أعلم.

تم كتاب «الغزنوي» في أصول الدين، بحمده وعونه وحسن توفيقه، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين آمين، سنة ١١٣٩، بعد ألف ومئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد أفقر العباد إلى الله تعالى أحمد بن أبـي الخير المرحومي، غفر الله ولمن دعا له بالرحمة آمين.

● ● ●

= وكان الفراغ من تحقيق هذا المصنف، والتعليق عليه، ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر جمادى الأولى من عام ألف وأربعمائة وستة عشر للهجرة الشريفة، الواقع في ٦/١٠/١٩٩٥م.

وكتبه: د. عمر وفيق الداعوق.

مدرّس العقيدة والأديان بكلية الدراسات الإسلامية والعربية. دبـــي.

الفهـارس

[١]

فهرس الآيات الكريمة

● ● ●

[٢]

فهرس لأطراف الحديث

• • •



[٣]

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أبو منصور الماتريدي، حياته وآراؤه العقدية. د. بلقاسم بن حسن الغالي، تونس، دار الترقي للنشر، ١٩٨٩م.

٣ ـ أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي (ابن العربي) (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر.

٤ ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، بتحقيق الحافظ العراقي، دار الفكر، بيروت.

٥ ـ إرشاد الأنام في عقائد الإسلام، محمود صالح البغدادي، ط١، دار عبادة، دار البراء ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٦ ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مصر، مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

٧ ـ أركان الإيمان، الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٨ ــ الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد البيهقي (ت٤٥٨هـ)، بيروت، ط١، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٩ ــ إشارات المرام من عبارات الإمام، كمال الدين البياضي الحنفي، تحقيق: يوسف عبد الرزاق، ط١، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

١٠ ــ الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١ ــ أصول الدين، المشهور بـ«معالم أصول الدين»، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٢ ــ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبو بكر أحمد الحسيني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٣ ــ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ الحلبي، حلب، دار القلم العربي، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٤ ــ أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٥ ــ أفغانستان، صلاح الدين السلجوقي، مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية، مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

١٦ ــ الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٧ ــ إمام أهل السنّة والجماعة «أبو منصور الماتريدي» وآراؤه الكلامية، د.علي عبد الفتاح المغربي، القاهرة، مكتبة وهبي، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٨ ــ الإمامة العظمى عند أهل السنّة والجماعة، عبد الله بن عمر الدميجي، الرياض، دار طيبة، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٩ ـ إنجيل يوحنا في الميزان، د. محمد علي زهران، مصر، الزقازيق، دار الأرقم، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢٠ ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٢١ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشافعي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، دار الجيل، بيروت.

٢٢ ـ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، بدر الدين بن جماعة (ت٧٢٧هـ)، تحقيق: الشيخ وهبي سليمان غاوجي، دار السلام، ط١، مصر، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٣ ـ البداية والنهاية، أبو الفداء، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ.

٢٤ ـ البدور السافرة في أمور الآخرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٩٠م.

٢٥ ـ الباز الأشهب، المنقض على مخالفي المذهب، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد منير الإمام، دار الجنان، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٦ ـ البعث والنشور، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٧ ـ تاج التراجم، القاسم ابن قطلوبغا، تحقيق: إبراهيم صالح، دار المأمون، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢٨ ـ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تحقيق: د. السيد يعقوب بكر، مصر، دار المعارف ١٩٧٧م.

٢٩ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٨٢م.

٣١ ـ تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ط٤، ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

٣٢ ـ تأويلات أهل السنّة، أبو منصور الماتريدي السمرقندي الحنفي، تحقيق: جاسم محمد الجبوري، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.

٣٣ ـ تبصرة الأدلة، نجم الدين أبو حفص، عمر بن محمد النسفي (أبو المعين) (ت٥٠٨هـ)، تحقيق: كلود سلامة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٠م.

٣٤ ـ التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٥ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٣٦ ـ تراجم رجال القرنين، السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، لأبي شامة المقدسي بيروت، دار الجيل، ط٧، ١٩٧٤م.

٣٧ ـ التصريح بما تواتر في نزول المسيح، الشيخ محمد شفيع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٥، دار القلم دمشق، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٣٨ ـ التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، المعروف بالسيد الشريف، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.

٣٩ ـ تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٠ ـ تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء، ابن كثير، المكتبة الشعبية.

٤١ ـ تفسير القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٢ ـ التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

٤٣ ـ التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، تحقيق: حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة الحديثة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤٤ ـ تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٤٥ ـ تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: د. سليمان دنيا، ط٥، دار المعارف بمصر.

٤٦ ـ التوحيد، أبو منصور الماتريدي، دار الجامعات المصرية.

٤٧ ـ جامع الأصول، مجد الدين أبو السعادات الجزري، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. مطبعة الملاح، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٤٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

٤٩ ـ الحذر في أمر الخضر، الملا علي القاري، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، ط١، ١٤١١هـ.

٥٠ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٥١ ـ خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٥٢ ــ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢م.

٥٣ ــ حملة رسالة الإسلام بذيل مختصر التحفة الاثنى عشرية، تحقيق: شاه عبد العزيز الدهلوي، الجامعة السلفية بناريس، الهند ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥٤ ــ جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، د. فايد حماد عاشور، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٥ ــ الجواهر المضية في تراجم الحنفية، لمحيي الدين أبـي محمد عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابـي الحلبـي، ودار العلوم بالرياض.

٥٦ ــ الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٥٧ ــ الداعي إلى الإسلام، لكمال الدين أبو البركات الأنباري، تحقيق: سيد حسين باغجوان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٥٨ ــ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دانة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩١م.

٥٩ ــ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه الجزيرة الهندية، د. محيي الدين الألوائي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٠ ــ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مصر المكتبة التوفيقية.

٦١ ــ دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٦٢ ــ الدولة العباسية، محمد الخضري بك، تحقيق: محمد العثماني، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦٣ ـ رؤوس المسائل، جار الله أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٦٤ ـ رسائل العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار، تحقيق: د.محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٥ ـ رسائل في بيان عقائد أهل السنّة والجماعة، محمد بن درويش الحوت البيروتي، ط٢، عالم الكتب ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٦٦ ـ رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجندي، مؤسسة علوم القرآن، سوريا، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٦٧ ـ روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، دار إحياء التراث العربـي، ط٤، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٦٨ ـ الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، الحسن بن عبد المحسن المشهور بأبـي عذبة، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٦٩ ـ الروضتين في أخبار الدولتين، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي الشافعي، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٧٠ ـ زبدة التواريخ، صدر الدين أبو الحسن الحسيني، تحقيق: د.محمد نور الدين، بيروت، دار إقرأ، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٧١ ـ سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية بيروت.

٧٢ ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٧٣ ـ سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله الدارمي (ت٢٥٥هـ)، ط: دار إحياء السنَّة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤ ـ سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت٣٠٣هـ)، ط: دار الكتب العلمية، ودار الكتاب العربي.

٧٥ ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٦ ـ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، والكليات الأزهرية.

٧٧ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٨ ـ شرح أسماء الله الحسنى، للفخر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٧٩ ـ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبي القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٨٠ ـ شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني المسماة تحفة المريد، لإبراهيم البيجوري، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٨١ ـ شرح جوهرة التوحيد، شرح الشيخ عبد الكريم التتان ومحمد أديب الكيلاني، ط١، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، وط: دار البشائر دمشق، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٨٢ ـ شرح العقيدة الطحاوية، عبد الغني الميداني الحنفي الدمشقي، تحقيق: مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٨٣ ـ شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري، ط١، بيروت، دار الباز ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٨٤ ـ شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ)، تحقيق: د.أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٨٥ ـ شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبـي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٨٦ ـ شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة. عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٨٧ ـ شرح المواقف في علم الكلام، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، الموقف الخامس، تحقيق: د. أحمد المهدي، مكتبة الأزهر، مصر.

٨٨ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ)، المؤسسة المصرية العامة، مصر.

٨٩ ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٩٠ ـ صحيح أشراط الساعة، مصطفى أبو النصر شلبـي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، جدة السعودية.

٩١ ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتب الإسلامي، استانبول، تركيا ١٩٧٩م.

٩٢ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها، ١٣٤١هـ، وطبعة أخرى، تحقيق: عصام الصبابطي وآخرون، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، دار أبـي حيان، مصر.

٩٣ ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي.

٩٤ ـ ضوء جديد على شرح جوهرة التوحيد، د. محمد رشاد عبد العزيز دهمش، ١٩٨٩م.

٩٥ ـ طبقات الحنابلة، القاضي أبو الحسين محمد بن أبـي يعلى، دار المعرفة، بيروت.

٩٦ ــ طبقات سلاطين الإسلام، استانلي بول، تحقيق: زيد فرحات، بيروت، دار العالمية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩٧ ــ الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي.

٩٨ ــ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو.

٩٩ ــ ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥.

١٠٠ ــ عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، الحافظ ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ودار الفكر.

١٠١ ــ العقيدة النظامية، للجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث مصر، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٠٢ ــ العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، مطابع الشروق، بيروت.

١٠٣ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: قصي محب الدين الخطيب، القاهرة. دار الريان للتراث.

١٠٤ ــ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، مصر، تحقيق: محمد نصار الحلبي، ط٢، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.

١٠٥ ــ فتاوى ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت٦٤٢هـ)، مطبعة الحضارة العربية، دار الوعي حلب، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٠٦ ــ الفرق بين الفِرَق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة.

١٠٧ ــ الفوائد البهية في تراجم أئمة الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، مكتبة خير كثير، كراتشي، باكستان.

١٠٨ ــ قصص الأنبياء، أبو الفدء إسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، مكة المكرمة، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، مكة المكرمة، مطبعة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٠٩ ــ القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق الدسوقي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

١١٠ ــ القول الفصل، مصطفى صبري، دار السلام، القاهرة، بيروت، حلب ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

١١١ ــ الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١١٢ ــ كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٩، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١١٣ ــ الكتاب المقدس، مجموعة من علماء اللاهوت، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ١٩٧١م بيروت ــ لبنان.

١١٤ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ).

١١٥ ــ كشف القناع المرنى عن مهمات الأسامي والكنى، بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: أحمد محمد نمر الخطيب، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

١١٦ ــ لمع الأدلة في قواعد أهل السنّة والجماعة، للجويني، تحقيق: د. فوقية حسين، عالم الكتب، بيروت.

١١٧ ــ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي مكتبة أسامة الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١١٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١١٩ ــ المجموع شرح المهذب، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٢٠ ــ مجموع الفتاوى، لابن تيمية، أحمد عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٣٩٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢١ ــ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب، بيروت، دار الكتاب العربي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٢٢ ــ المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٢٣ ــ مختصر سنن أبي داود للمنذري، مكتب السنّة المحمدية، القاهرة.

١٢٤ ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧٠١هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.

١٢٥ ــ المسائل الخمسون في أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق: د.أحمد السقا حجازي، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، دار الجيل المكتب الثقافي، بيروت، القاهرة.

١٢٦ ــ المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢٧ ــ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.

١٢٨ ــ المضنون به على غير أهله (ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٢٩ ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، توزيع دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٣٠ ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربـي، بيروت.

١٣١ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربـي، بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٣٢ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربـي.

١٣٣ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت٥٠٣هـ)، تحقيق: نديم مرعشلي.

١٣٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، د. أ. ي. ونسنك، ليدن ١٩٣٦، مصورة.

١٣٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تركيا ١٩٨٤م.

١٣٦ ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) فخر الدين الرازي، دار الفكر بيروت.

١٣٧ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده، تحقيق: كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، مصر.

١٣٨ ـ المغني في أصول الفقه، جلال الدين أبو محمد عمر الخبازي (ت٦٩١هـ)، تحقيق: د. محمد مظهر بقا، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

١٣٩ ـ مقارنة الأديان (المسيحية)، د. أحمد شلبـي، ط٣، مكتبة النهضة المصرية.

١٤٠ ـ مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل (ت٣٣٠هـ)، تحقيق: محيـي الدين عبد الحميد، ط٢، النهضة المصرية، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١٤١ ـ مقدمة الغزنوي، أحمد بن محمد الغزنوي، تحقيق: الشيخ خليل الميس، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٤٢ ــ المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٤٣ ــ الملائكة، حقيقتهم وجودهم، صفاتهم، أحمد حسن الشيخ، جروس برس ١٩٩١م، طرابلس، لبنان ط١.

١٤٤ ــ الملائكة والإيمان بهم، ناجي داور، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠١هـ، ١٤٠٢هـ.

١٤٥ ــ ملتقى الأبحر، إبراهيم محمد الحلبي (ت٩٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ وهبي غاوجي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، بيروت.

١٤٦ ــ الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٥٨هـ)، دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٤٧ ــ من أصول الفكر السياسي الإسلامي، د. محمد فتحي عثمان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٤٨ ــ المنتظم في تاريخ الأمصار والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤٩ ــ المنتقى من منهاج السنّة، مختصر منهاج السنّة للذهبي، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٧٤هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

١٥٠ ــ المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد، د. نشأت عبد الجواد ضيف، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٥١ ــ المواقف في علم الكلام، للقاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

١٥٢ ــ الميسر في أصول الفقه، د. إبراهيم محمد سلقيني، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

١٥٣ ــ النبوّة والأنبياء، محمد علي الصابوني، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، مكة المكرمة.

١٥٤ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين ابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة، مصر.

١٥٥ ــ النصرانية في القرآن الكريم، الأمير محمد بن سعد آل سعود ١٣٩٨هـ، رسالة ماجستير، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

١٥٦ ــ النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تحقيق: ج، نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب المهتدي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٥٧ ــ النظام السياسي في الإسلام، د. محمد عبد القادر أبو فارس، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٠م، الأردن، عمان.

١٥٨ ــ نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. الشيخ وهبي سليمان غاوجي، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٥٩ ــ الوثيقة الرسمية لإنجيل برنابا، تحقيق: عبد العزيز حسين أبو العلا، الكويت، ط١، دار الوثائق الكويت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٦٠ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن خلكان، دار صادر، تحقيق: إحسان عباس، بيروت.

● ● ●

[٤]

فهرس موضوعات الكتاب

رقم الفصل	الموضوع	رقم الصفحة

الكتـاب

رقم الفصل	الموضوع	رقم الصفحة

رقم الفصل	الموضوع	رقم الصفحة

القضـاء والقـدر

الشفاعـة

الجنـة والنـار

رقم الفصل	الموضوع	رقم الصفحة

الإيمــان

الإسـلام والإيمـان

الإمــامــة

الموضوع		رقم الصفحة

الفهـارس:

● ● ●

صدر حديثاً

الرّوح القدس جبريل عليه السلام

في اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام

بحث في

«مقارنة الأديان»

تحقيق وتعليق

د. عمر وفيق الدّاعوق

دار البشائر الإسلامية